

Al-Tarbia

Ala Shaikh Ali Al-Nawli Bin Al-Jamra

التربية

على منهج أهل السنة والجماعة



جميع وترتيب الدكتور

أحمد فرير

مقرر الدين في دار الحديث والاسلام

Al-Shaikh Ahmad Farid

التربية

على منهج أهل السنة والجماعة

التربية

على منهج أهل السنة والجماعة

جمع وترتيب

أحمد فريد

الدار العالمية للنشر والتوزيع بالإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُقَدِّمَةٌ

«نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَسْنَ الْخَاتِمَةِ»

الحمد لله الذي عم برحمته جميع العباد، وخص أهل طاعته بالهداية إلى سبيل الرشاد، ووفقهم بلطفه لصالح الأعمال ففازوا ببلوغ المراد.

أحمده حمد معترف بجزيل الأرفاد^(١)، وأعوذ به من وبيل الطرد والإبعاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم المعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، موضح سبيل الهدى والسداد، قانع الجاحدين والملحدين من أهل الزيف والعناد، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين الأجواد، صلاة تبلغهم بها نهاية الأمل والمراد.

ثم أما بعد،،،

فإن من أهم ما تبذل فيه الحيات، وتنفق فيه الأوقات، وتهتم به الدعوات، الجانب التربوي في الدعوة، فبه يتجدد نشاطها، وتفتح به زهراتها، وتطيب ثمراتها، فبالتربية تصح العقائد، وتعمق المفاهيم الصحيحة، وتغرس الأخلاق النبيلة، وينشأ الصغار على ما درج عليه الكبار، قال بعض السلف: لا يزال الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخر. وهل قامت دولة الإسلام، وارتفع دين الملك العالم إلا بتربية الصحابة الكرام على يد المربي الأول الذي تشرفت البشرية برؤيته، واستضاءت المعمورة ببركة دعوته؟!!

فقد كان أكبر هم النبي ﷺ تربية الصحابة الكرام بمكة بدار الأرقم ابن أبي الأرقم بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت:

(١) الأرفاد: الإعطاء والإعانة.

فرض الله - عَزَّ وَجَلَّ - على نبيه ﷺ قيام الليل فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولاً كاملاً، واحتجز الله - عَزَّ وَجَلَّ - خاتمة السورة اثني عشر شهراً، ثم نزل بعد ذلك التخفيف^(١).

وقصدت ﷺ فرض قيام الليل بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَرْمِلُ^(١) قَوْلَ اللَّيْلِ لِأَلَيْلًا^(٢) نَصْفَهُ، وَأَوَّاقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا^(٣) أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [الزَّيْل: ١-٤].

وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَصْفَهُ، وَثُلُثُهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّخْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ﴾ [الزَّيْل: ٢٠].

ليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل الحدود، وإنما كان ذلك كذلك تربية لهذه الأمة ورفعاً لمستواها الإيماني، وكان مما يميز القرآن المكي تقرير وتكرير أمور الآخرة على القلوب والأسماع، حتى يصير المسلم وكأنه يراها بعيني رأسه، وكذا كثرة القصص الذي يسلي المؤمنين ويزيد ثقتهم بنصر الله رب العالمين، فلما نزلت الحدود والتشريعات بعد ذلك سارع الصحابة ﷺ إلى امتثال أوامر الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار، تعني سورة المدثر، وهي ثاني سورة نزولاً، وفيها يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا لِمَلَائِكَةٍ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٢٨] إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ^(٣١) فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ^(٣٢) عَنِ الْمُجْرِمِينَ^(٣٣) [المدثر: ٣٨-٤١].

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام.

(١) رواه مسلم (٢٦/٦) «صلاة المسافرين»، وأحمد (٥٤/٦)، وأبو داود (١٣/٨) «قيام الليل»، والنسائي (١٩٩/٤) «قيام الليل».

ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً.

أنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَنُ وَآمُرُ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة.

فلا شك في أن النبي ﷺ في مكة كان أكبر همه تربية الصحابة الكرام، ومن أجل الاهتمام بالتربية أمروا بكف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

[النساء: ٧٧]

ومن أجل الاهتمام بالتربية أيضاً نهوا عن رد الاعتداء بالاعتداء، وأمروا بالعفو والصفح كما قَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٤]، حتى لا يشغلوا بالمعارك الجانبية عن التفرغ للتربية، ولئن قال البخاري رحمه الله: العلم قبل القول والعمل، فقد قال الصحابة رضي الله عنهم ما هو أبلغ من ذلك وهو أن الإيمان قبل العلم، كما روى الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عشنا برهة من الدهر، وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وقال على رضي الله عنه: رأيت أصحاب رسول الله ﷺ، فلم أر اليوم شيئاً يشبههم، كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سُجَّداً وقياماً، يراوحن بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تهادوا كما يמיד الشجر يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع، فوالله لكأني بالقوم باتوا غافلين.

فلا شك في أن النبي ﷺ اهتم بتربية الصحابة الكرام، وسقاهم القرآن ورقاهم بالقيام والصيام، حتى صاروا شמוש ضياء وأقمار هداية، وفتح الله - عزَّ وَجَلَّ - بهم البلاد وقلوب العباد، وتكونت الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة في فترة

كأنها لحظات من عمر الدنيا، بعد ثلاثة عشر عامًا من ابتداء البعثة النبوية المباركة، ثم توالى الانتصارات، وانتشر الضوء، وعم الخير، فجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى عم الإسلام جزيرة العرب ثم سطع النور بعد ذلك في المشارق والمغارب، حتى دق المسلمون أبواب «فينا» في أوروبا ووصلوا إلى حدود الصين في آسيا، وكان هذا ببركة تربية الصحابة على الإسلام، وبذهم لإعزاز دين الملك العلام.

فما العز للإسلام إلا بظلمهم وما المجد إلا ما بنوه فشيّدوا

وعلى هذا الهدى المبارك درج السلف عليهم السلام من التابعين فمن بعدهم، فكانوا يهتمون بتربية الناشئة على الإيمان الصحيح، والخلق النبيل، والآداب السنية، والسنن المصطفوية، وهذه أمثلة من اهتمام السلف بالتربية:

مما يروى في كتب «التاريخ والأدب» أن الفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب فأعجب بمنظره، فسألها عنه فقالت: إذا أتم خمس سنوات دفعته إلى المؤدب، فحفظ القرآن قتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه، ولقن مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرس وتفرس ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ^(١).

وروى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفیان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني، إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء. وأخلاق الأدباء، وتهدهم بي وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء...».

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» للدكتور عبد الله ناصح علوان (١/ ١٥١) ط. دار السلام.

وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: «يا أحر: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرن به ساعة وإلا وأنت مغتنم فائدة تقيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومُه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة».

وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: «علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال، وجنبهم السفلة والخدم، فأنهم أسوأ الناس أدباً، ووقِّرهم في العلانية وأنبئهم في السر، واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار». وذكر الراغب الأصبهاني أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية يقول لهم: ما أشد ما مركم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا^(١).

وإذا كان السلف يهتمون بالتربية مع أنهم كانوا يعيشون في أجواء إيمانية ينعمون بالتحاكم إلى شريعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ويدعون إليها فكيف بالمسلمين اليوم وقد تحكم فيهم عدوهم، وحرّموا من شريعة ربهم، وابتليت بلادهم بالمحن المتتابة، والفتن المتنوعة، ورمتهم قوى الشر والشرك عن قوس واحدة، واجتمعت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض، وانتشرت في بلادهم الأفكار العلمانية، وعشش في ديارهم دعاة الإلحاد والإباحية، وساعدتهم وسائل الإعلام الخبيثة من الجرائد والمجلات والتلفاز والفيديو واستقبال البث المباشر في نشر الإباحية والفجور والتبرج والسفور، فأجهزوا على ما تبقى عند المسلمين من تعزز بالعقيدة وغيرة وحياء.

(١) بتصرف من «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٤٣-١٤٤).

والدُّعاة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أضعف من أن يواجهوا هذه الأمواج المتلاطمة والتيارات الجارفة، وهم مقهورون مضطهدون في أكثر بقاع الأرض، تلفق لهم التهم، ويزج بهم خلف الأسوار، ويضيق عليهم إذا أرادوا أن يتحركوا بدين الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولدين الله - عَزَّ وَجَلَّ - فهذا على الصعيد العام، أما على صعيد الساحة الإسلامية فاختلاف الجماعات في الدعوة، وتربية الأفراد على التعصب لفكر الجماعات وقيادتها وإن كانت مخالفة لفكر السلف ومنهج السلف. وكذا ادعاء بعض الجماعات أنها الفرقة الناجية وأن باقي الجماعات عادية تصير إلى الهاوية والنار الحامية، والعجيب أيضاً أن هذا الاختلاف موجود فيمن ينتسبون إلى فكر أهل السنة والجماعة، ويعتقدون معتقدهم، فتجد في البلد الواحد سلفيات متعددة، لتعدد اللافئات والقيادات، وإن دل ذلك على شيء فأول ما يدل عليه الخلل التربوي في هذه الجماعات، فكان الواجب عليهم تربية الناس على الولاء لاعتقاد السلف، وفكر السلف، الولاء للجماعة التي أشار إليها النبي ﷺ حينما تكلم عن اختلاف الأمة، وأخبر أن الفرقة الناجية هي الجماعة وفسر العلماء رواية الجماعة بالرواية الأخرى في قوله ﷺ: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١)، فالمقصود بالجماعة جماعة الصحابة قبل أن تظهر البدع والاختلاف كما قال مالك رَحِمَهُ اللهُ: لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، وكذا من كان على معتقد الجماعة الأولى وفهمها للكتاب والسنة، فمهما كان ولاء الأفراد للجماعة الأولى ومعتقدهم، تألفت القلوب، واجتمعت على الحق، وحصل مقصود الشرع في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

فما أحوج المسلمين في هذا الواقع الأليم إلى تلمس خطى رسول الله ﷺ في التربية، ودراسة أخلاق ومؤهلات الجيل الأول الذي رباه رسول الله ﷺ، وإعداد منهج تربوي قائم على العلم والدراسة المتأنية، والاهتداء بأنوار القرآن والسنة النبوية والسيرة المصطفوية، ثم وضع هذا المنهج وهذه الدراسة موضع التنفيذ. فتخرج من السطور إلى الصدور، ومن الصدور إلى الدور فتصير واقعاً عملياً يقصد به تربية جيل على نمط الجيل الأول.

قال إمام دار الهجرة مالك رَحِمَهُ اللهُ: «لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها».

فلا يتصور عز حقيقي للإسلام وخلافة إسلامية على منهاج النبوة حتى يتضح هذا الفكر، وينتشر هذا الفهم وهو أن يربى الناس على اعتقاد السلف، وكذا فهمهم للكتاب والسنة، وما كانوا عليه من أخلاق سنية وآداب مصطفوية، ومن تصور أن الإسلام يمكن أن ترتفع رايته بأناس ما تربوا تربية صحيحة، أو كانوا على عقائد تخالف اعتقاد السلف، وفكر يخالف فكر السلف فهو واهم، فالشيعة أقاموا دولة ولكنها دولة شيعية وليست إسلامية وإن أطلقوا عليها إسلامية، فالإسلام في جانب وأصحاب العقائد الخربة في جانب، وكذا من تصور أن الإسلام يقوم بالمهارات السياسية والمسالك البرلمانية، أو بضربة خاطفة يُراق فيها دم شخص أو أشخاص وفي غفلة من الزمن يمكن للإسلام وأهله، فكل ذلك من أحلام اليقظة ومما لا يشهد له شرع ولا واقع. وقد تعددت التجارب المعاصرة التي تبين فساد تلك المسالك والمهالك، كتجربة الجزائر وتركيا، وبعض الجماعات الإسلامية في مصر، فلم يبق إلا أن يرجع الناس إلى هدي الأنبياء وسنتهم وطريقتهم في تعبيد الناس لله - عَزَّ وَجَلَّ -، والارتقاء بهم وبأحوالهم وأخلاقهم حتى يراهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - أهلاً للتمكين، فيملكهم البلاد ورقاب العباد».

فهذا جهد المقل في التربية على منهج أهل السنة والجماعة، وقد استفدت فيه من كتب وأبحاث علماء ومفكرين نحسبهم مخلصين، أدلى كل واحد منهم بدلوه، منهم من بين أهمية التربية لإعادة بناء الدول الإسلامية، ومنهم من لفت النظر إلى أهمية دراسة الجليل الفاضل جيل الصحابة عليهم السلام، ومنهم من بين مؤهلاتهم وأخلاقهم التي جعلتهم سادة وقادة، ومنهم من بين أهمية التربية العقائدية أو الفكرية. وقد كان جهد الباحث في تأليف هذه الأقوال، وتنسيق هذه الأزهار، حتى اكتمل البنيان، واتضح الحق لكل ذي عينان.

وقد اشتمل البحث على سبعة فصول رئيسية:

- البَصَلُ الْأَوَّلُ - في بيان معنى التربية وأهميتها لإعادة بناء دولة الإسلام.
 البَصَلُ الثَّانِي - في بيان المؤهلات التي أهلت الصحابة عليهم السلام لقيادة البشرية.
 البَصَلُ الثَّالِثُ - في بيان أنواع التربية المطلوبة لبناء جيل على نمط الجيل الأول جيل الصحابة عليهم السلام.

ويشتمل على:

- ١ - التربية العقائدية.
- ٢ - التربية الفكرية.
- ٣ - التربية الإيمانية.
- ٤ - التربية الخلقية.
- ٥ - التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية.
- ٦ - التربية الجسدية الجهادية.
- ٧ - التربية على العفة والاستعفاف.
- البَصَلُ الرَّابِعُ - الهدى القرآني في التربية.
- البَصَلُ الْخَامِسُ - الهدى النبوي في التربية.
- البَصَلُ السَّادِسُ - وسائل التربية.

ويشتمل على:

- ١ - التربية بالقدوة.
- ٢ - التربية بالموعظة.
- ٣ - التربية بالقصة الهادفة.
- ٤ - التربية بالأمثال.
- ٥ - التربية بدراسة التراجم.
- القطب الثاني - المنهج التطبيقي العملي التربوي.

ويشتمل على:

- ١ - اختيار المربين.
- ٢ - منهج التربية الفردية.
- ٣ - منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد).
- ٤ - المنهج العام للتربية.

وقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي، وأذبت فيه عقلي وفكري، ورجوت أن أكون فيه متبعًا لا مبتدعًا، وأسميته «التربية على منهج أهل السنة والجماعة»، وأرجو أن يسد ثغرة في المكتبة الإسلامية، وأن ينفع الله به شباب الصحوة وسائر البرية، والله أسأل أن يوفقنا وسائر الإخوان للعمل بما فيه، ونصيحة مخالفه، وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحُجَّةٌ على العباد أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

معنى التربية وأهميتها

تعريف التربية

يقول الأستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي: إن كلمة تربية مأخوذة من ربا يربو، بمعنى نما ينمو، أو «يزيد» ومن معاني التربية بلوغ الشيء كماله على وجه التدريج. ولم يُعرف استخدام لفظ: «تربية» إلا في العصر الحديث؛ إذ كان العرب في القديم يستخدمون لفظ «التأديب»، وكانوا يطلقون على المعلم اسم «المؤدب».

ولقد ورد مفهوم التربية بمعناها الحديث في القرآن الكريم في موضعين اثنين، أحدهما: في سورة الإسراء حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

والثاني: في سورة الشعراء حيث يقول المولى سبحانه: ﴿قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فَيَنَّا وَلِيدًا وَلَكِيتَ فَيَنَّا مِنْ غُمِّكَ سَيْنًا﴾ [الشعراء: ١٨].

والتربية بوجه عام هي: تشكيل اتجاهات الأفراد وفق قيم معينة وإعانتهم على تكوين النظرة السليمة إلى الحياة، وهي تقترن بالتعليم الذي يصقل ملكات هؤلاء الأفراد وينمي مواهبهم واستعداداتهم في شتى المجالات.

والتربية الإسلامية معناها: تنمية ملكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغ كماله العقلي والنفسي. وتنمية قدرات المجتمع كذلك من أجل تحقيق تطور أفضل، وتقديم اجتماعي أكمل. وفق المبادئ والقيم الإسلامية.

ولا يجوز في الإسلام أن تقتصر التربية على تلقين الإنسان المعلومات، أو اكتساب المهارات الفنية، وإنما تهدف التربية إلى أبعد من ذلك، فهي تهدف إلى تهذيب الأخلاق،

سواء في ذلك أخلاق الأفراد، أو أخلاق المجتمع، ومن الواضح أن الاقتصار على العلم المادي وحده ينحرف بالفرد والمجتمعات إلى ضرور لا نهاية لها، فلا بد إذا من أن يقرن التعليم بالأخلاق^(١).

ونقل أبو الحسن الندوي عن جون ديوي هذا التعريف العام للتربية: أن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالإقناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز، وتسليحها بالدلائل العلمية إذا احتيج إليها، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة، وأن أفضل تفسير لنظام التربية هي أنها السعي الحثيث المتواصل الذي يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة^(٢).

ويقول كذلك: «هي وظيفة اجتماعية، بمعنى أنها من ضرورات كل جماعة إنسانية تريد أن تحافظ على بقائها، وتتطور في سلم الرقي، وأنها يجب أن تتم في ضوء فلسفة اجتماعية، وفي مواقف اجتماعية كذلك، وأن الغاية من التربية هي إنشاء مواطنين يقومون بالوظائف الاجتماعية، التي منها الإبقاء على الثقافة، وترقيتها، وإصلاح عيوبها»^(٣).

فهذا مفهوم عام للتربية عند جميع الأمم والشعوب.

(١) «مجلة الوعي الإسلامي» عدد [٩٣] جمادي الأولى [١٤٠٩] مقال بعنوان «قيم هي أساس التربية» [٣١، ٣٠] بتصرف.

(٢) «محاضرات الجامعة الإسلامية» ٣٦٦-٣٦٧ من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، «الموسم الثقافي» [١٣٩٦-١٣٩٧].

(٣) «محاضرات الجامعة الإسلامية» [٣٧٩-٣٨٠] بتصرف.

أما التربية بالمنظور الإسلامي السلفي الذي نقصده ونهدف إليه وننادي به فهي العمل على بناء أفراد بعقائد سلفية صحيحة، ومفاهيم إسلامية نقية وأخلاق زكية، وأعمال مرضية، وتجهيزهم كلبات لإعادة بناء المجتمع المسلم.

وبتعبير أخصر وأقرب: تربية جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم، يعتقدون معتقدهم، ويتهجون نهجهم في فهم الكتاب والسنة، ويقتدون بهم في أخلاقهم وأعمالهم وسمتهم.

فالواجب على الآباء والمربين أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتمسوا خطاه ويقفوا أثره! كيف ربي النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام؟ وكيف سقاهم القرآن؟ وكيف رقاهم في درجات الإيمان؟ حتى صاروا ببركة تربيته صلى الله عليه وسلم قمماً شامخة في سماء المجد والرفعة، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والجهاد والجلاد، والصيام، والقيام، والدعوة لدين الملك العلام، وكانوا على أعلى مستوى من الإخلاص، والمحبة لله - عزَّ وجلَّ -، والتوكل عليه، والرضا به، فبارك الله - عزَّ وجلَّ - في دعوتهم، وسارت شمس الإسلام ببركة جهادهم وصبرهم تنير المعروف من الأرض، من مات منهم أفضى إلى موعود الله - عزَّ وجلَّ - له بالجنة، ومن عاش صار أميراً على قطر من الأقطار، أو مصر من الأمصار، وبقيت الأمة ببركة جهادهم وبذلهم منيعة الجانب، شامخة البنيان، راسخة الأركان، حتى خرج الناس عن منهاجهم، وظهرت البدع والفرق، وتسابق الناس إلى الدينار والدرهم، وضعفت الأحوال الإيمانية، والمفاهيم السلفية حتى صارت بلاد المسلمين كلاً مباحاً لكل ظالم ومعتد، ومرتباً خصباً لترويج الأفكار الهدامة، ونشر المذاهب الباطلة، فعشش في بلاد المسلمين دُعاة العلمانية والإباحية، وصار المسلم الملتزم بدين الله - عزَّ وجلَّ - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أذل من الشاة، فصار الإسلام غريباً في بلاده، مُطارداً من أهله وعشيرته، وهل بعد هذه الغربية غربة، وبعد هذا البلاد بلاء، فإلى الله المشتكى. فلا شك في أن التربية هي الخطوة الأولى لبناء المجتمع المسلم وإقامة

الخلافة الإسلامية التي بَشَّرَ بعودتها رسول الله ﷺ والتي حين تعود لا بد أن تكون على منهاج النبوة كما أخبر النبي ﷺ .

فعلى الدعاة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يبدءوا بها بدأ به النبي ﷺ حتى ينتهوا بإذن الله إلى ما انتهى إليه من عز الإسلام والمسلمين، فما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى قرت عينه بنصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا وعم الإسلام جزيرة العرب، ثم فتح الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان البلاد شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا حتى استنار أكثر المعروف من الأرض بدعوة الإسلام، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وسيبلغ بإذن الله دينه ما بلغ الليل والنهار، فلا بد من معرفة المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم للنصر والتمكين، والوصول إلى رضا رب العالمين، ثم تربية أجيال الصحو على ما تربي عليه الصحابة الكرام، وقبل البدء بهذه التربية ينبغي أن يعلم أن الصحابة كانوا في زمن لم تكن فيه بدع وأهواء، وإنما ظهرت البدع في آخر عصرهم، مصداقا لقول النبي ﷺ: «فإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسْيرِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(١)، وقوله ﷺ: «وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة...»^(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول».

(١) رواه أحمد (١٢٦/٤، ١٢٧)، وأبو داود (٣٥٩/١٢، ٣٦٠) «عون السنة»، والترمذي (١٠/١٤٤) «عارضضة العلم»، وابن ماجه (٤٣) «المقدمة»، والدارمي (١/٤٤، ٤٥) «اتباع السنة»، وقال الترمذي: «حسن صحيح وصححه الألباني».

(٢) رواه أبو داود (٤٥٧٢) السنة، والدارمي (٤٢١/٢)، وأحمد (١٠٢/٤)، والحاكم (١/١٢٨) وقال الحاكم هذه أسانيد تقوم به الحجة في تصحيح هذا الحديث ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ وصححه شيخ الإسلام والشاطبي وهو في الصحيحة رقم (٢٠٤).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان.

وإنما ظهرت البدع في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللهُ، وقد نادى علماء العصر وأئمة المسلمين بما يسمى «بالتصفية والتربية» فلا بد من صحوة علمية مترشدة، تقوم بتصفية التراب الإسلامي مما علق به عبر القرون والأجيال، ثم تربية أجيال الصحو على الإسلام الخالي من البدع والخرافات والمذاهب الباطلة والأقوال العاطلة على الهدى النبوي المبارك وعلى منهج السلف رَحِمَهُ اللهُ.

قال العلامة الألباني بركة الزمان وحسنة الأيام: لابد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين «التصفية والتربية».

وأردت بالأول منهما أمورًا، تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة الصحيحة ونحوها.

الثاني- تصفية الفكر الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث- تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المنكرة.

وأما الواجب الآخر فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكر، تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، دون أي تأثير بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا شك فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة التي يهملها حق إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كل في مجاله واختصاصه، وأما بقاءنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متواكلين على فضل ربنا، أو خروج المهدي، ونزول عيسى صائحين بأن الإسلام دستورنا،

جازمين بأننا سنقيم دولتنا، فذلك محال بل وضلال لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية معاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَوْمٌ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرَّعْدُ: ١١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(١).

من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم» وهذا كلام جميل جداً، ولكن أجهل منه العمل به.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٥].

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم لا بد لك مع ذلك من العناية بتربية نفسك ومن يلوذ بك، تربية إسلامية صحيحة، لا شرقية ولا غربية، وتخليقها بالأخلاق المحمدية، وبذلك يصلح قلبك، وتسعد في الدنيا قبل الآخرة، وما الأمر الهام الذي ينشده دعاة الإسلام إلا أثر من آثار هذه السعادة، إذا أخذوا بأسبابها التي تجمعها كلمات: «التصفية والتربية».

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٢٤] (٢).

فهذا شيخ المحدثين وقد عاصر الدعوات المعاصرة في أكثر من نصف قرن من الزمان: يرى أن السبيل إلى عودة الإسلام لا بد أن يكون على أساس تنقية الإسلام أولاً من العقائد الباطلة، والآراء الفقهية التي لا تستند على دليل صحيح من الشرع المتين، ثم تربية شباب الصحوحة على هذا الدين الخالص والإسلام المصفى، فنكون بذلك قد اهتدينا بهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الكرام.

(١) رواه أبو داود [٣٤٤٥] «اليبوع»، وصححه الألباني بطرقه في «الصحيحة» رقم [١١].

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (مقدمة المجلد الثاني).

وهذا المفكر الإسلامي «سيد قطب» رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ في مذكراته التي نشرت بعنوان: «لماذا أعدموني» وهي من آخر ما كتبه الأستاذ:

خرجت من السجن وفي تصوري صورة خاصة محددة لما يجب أن تكون عليه أية حركة إسلامية في الظروف العالمية والمحلية الحاضرة، وصورة لخطوات المنهج يجب أن تسير عليه وقد ذكرت ذلك من قبل، ولكنني أخصه هنا قبل البدء في التفاصيل:

١ - المجتمعات البشرية بجملتها قد بعدت عن فهم وإدراك معنى الإسلام ذاته، ولم تبعد فقط عن الأخلاق الإسلامية والنظام الإسلامية والشريعة الإسلامية وإذن فأية حركة إسلامية يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام، ومدلول العقيدة، وهي أن تكون العبودية لله وحده، سواء في الاعتقاد بالوحيته وحده، أو تقديم الشعائر التعبدية له وحده، أو الخضوع والتحاكم إلى نظامه وشريعته وحدها.

٢ - الذين يستجيبون لهذا الفهم يؤخذ في تربيتهم على الأخلاق الإسلامية، وفي توعيتهم بدراسة الحركة الإسلامية، وتاريخها، وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية، والعقبات التي كانت في طريقه، والتي لا تزال تتزايد بشدة وبخاصة من المعسكرات الصهيونية والصليبية الاستعمارية.

٣ - لا يجوز البدء بأي تنظيم إلا بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة، ومن الأخذ بالخلق الإسلامي في السلوك والتعامل، ومن الوعي الذي تقدم ذكره.

٤ - ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية هي نقطة البدء، ولكن نقطة البدء هي نقل المجتمعات ذاتها حُكُمًا ومُحَكِّمًا عن الطريق السالف إلى المفاهيم الصحيحة، وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير في اتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامي، وتحكيم الشريعة الإسلامية.

٥ - وبالتالي لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب في الحكم يحى من أعلى ولكن عن طريق تغيير في تصورات المجتمع كله، أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله، وفي قيمه، وأخلاقه، والتزامه بالإسلام، يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لا بد منها في حسمهم.

٦ - في الوقت ذاته تجب حماية هذه الحركة وهي سائرة في خطواتها، بحيث إذا اعتدي عليها وعلى أصحابها يرد الاعتداء^(١).

وهذه الخطوات نوافقه عليها رَحِمَهُ اللهُ وهي لا تختلف كثيراً عن المنهج السلفي الذي يهدف إلى تغيير عقائد الناس، وتطهير قلوبهم وتعيدهم لله - عَزَّ وَجَلَّ - . فالمعركة الأولى مع النفوس كما قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرَّعْدُ: ١١]

فإذا رَأَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أهلاً للتمكين يسر لنا أسباب التمكين، ومن علينا به كما قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [الْبُرُج: ٥٥].

إلا أن البند السادس لا نوافقه عليه، وليس عليه دليل من كتاب أو سنة، ولعل هذا البند الأخير كان هو السبب في إخفاق دعوته، والتعجيل به رَحِمَهُ اللهُ.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى حَفِظَهُ اللهُ في كتابه «الحل الإسلامي فريضة وضرورة، وتحت عنوان «حتى تنجح الحركة الإسلامية»: إنما تنجح الحركة الإسلامية في تحقيق الحل الإسلامي وإقامة المجتمع الإسلامي واستئناف حياة إسلامية إذا توفر لها أمور ثلاثة:

(١) نقلاً عن مذكراته التي نشرت بعنوان «لماذا أعدموني» (٤٣، ٤٤).

١ - جيل مسلم:

الأمر الأول جيل مسلم تقوم الحركة على تكوينه تكوينًا إسلاميًا صحيحًا متكاملًا. يكون هذا الجيل بمثابة الدعائم أو الركائز للمجتمع الإسلامي المنتظر.

وإذا كان دُعاة الاشتراكية يصرون على أن المجتمع الاشتراكي لا يبنيه إلا الاشتراكيون، فدعاة الإسلام أولى أن يقولوا: إن المجتمع المسلم لا يبنيه إلا المسلمون.

ولهذا لم يقيم المجتمع الإسلامي والحكم في المدينة إلا بعد تكوين الجيل الإسلامي في مكة، وعلى مناكب هؤلاء ومن انضم إليهم من خيار الأنصار قامت الدولة المسلمة، ولقد سئل أحد الدعاة الإسلاميين يومًا: كيف يتصور حكم إسلامي راشد؟

فأجاب: بإحدى طريقتين: إما أن ينتقل الإيمان إلى قلوب الحاكمين وإما أن ينتقل الحكم إلى أيدي المؤمنين.

ولو أن الإيمان يسهل انتقاله إلى قلوب الحاكمين بالفعل لاختصرت الطريق اختصارًا، وكفى الله المؤمنين القتال.

ولكن يبدو أن هذا ليس أكثر من حلم لذيد لا يمت إلى الواقع بصلة، فإن من شب على شيء مات عليه، وهؤلاء الحكام قد شبوا وشاخوا على العلمانية، وتعلمذوا صغارًا وكبارًا على الفكر الغربي بشقيه، فبهيات أن يولوا وجوههم شطر غيره، ولو كان هذا الغير هو دينهم الذي ورثوه عن آبائهم، والذي ارتضى الله لهم ارتضوه نظريًا لأنفسهم، فلم يبق إذن إلا الشطر الثاني، وهو أن ينتقل الحكم إلى أيدي المؤمنين، أيدي الجيل المسلم الذي آمن بالإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا ورابطة ونظام حياة.

٢ - قاعدة جماهيرية إسلامية:

والأمر الثاني الذي يجب أن يتوافر للحركة الإسلامية الناجحة، وجود قاعدة جماهيرية لها من كافة طبقات الشعب، وذلك عن طريق رأي عام إسلامي يُناصر الفكرة

الإسلامية، ويجب دعائها، ويكره أعداءها، ويحرص على انتصارها فلا يكفي أبدًا أن تربي الحركة جيلًا مسلمًا مخلصًا لا يحس به الشعب ولا يعرفه ولا يتحمس له، لأنه في عزلة عنه، يكلمه من بعيد، وينظر إليه من فوق.

٢ - التغلب على المعوقات:

الأمر الثالث الذي يجب أن يتوافر لنجاح الحركة الإسلامية هو التغلب على المعوقات والموانع التي تقف حائلًا بينها وبين الوصول إلى أهدافها وغاياتها بكل سبيل، إذ لا يكفي لقيام أمر أن تتحقق موجباته بل لا بد أن تنتفي معوقاته أيضًا، أو كما يقول أهل الأصول الفقهية: وجود المقتضي وانتفاء المانع.

ومن المعوقات من جهة الشعب: الجهل بالإسلام - اليأس من انتصار الحركة الإسلامية - الخوف من الاضهاد المتكرر.

وهناك معوقات من جهة القوى المناوئة: مثل وجود نفوذ أجنبي قوي، وجود حكم عسكري علماني، وجود ظروف إقليمية أو دولية معاكسة، وهناك معوقات من داخل الحركة:

❁ منها: اختلاف الكلمة قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

❁ ومنها: حُب الدنيا، وهو يفتح منافذ واسعة لشياطين الجن وشياطين الإنس، ينفذون منها إلى قلوب الدعاة، فيسبل لعابهم إلى المناصب، وتطلع نفوسهم إلى المكاسب.

❁ ومنها: حُب الذات وهو فرع من حب الدنيا أو جزء منه، ونعني به أن يحرص عضو الحركة على البروز والظهور، وألا يعمل إلا في الصدارة أو الصفوف الأولى وأن يجري وراء بريق الشهرة والبحث عن الأضواء^(١).

(١) «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» (١٩٧-٢٠٣) باختصار ط. مكتبة وهبة.

ويقول الأستاذ محمد قطب: استعرضنا فيما مضى بعض القضايا التي تدور في ساحة العمل الإسلامي ويجدر بنا في ختام هذا الفصل المتعلق بالصحة الإسلامية أن نلخص المهمة الملقاة على عاتق الدعوة في هذه المرحلة من تاريخها: «إن الدعوة مكلفة بواجب تبليغي، وواجب تربوي، مقتدية في ذلك بالمنهج النبوي في فترة الدعوة الأولى بمكة».

فأما الواجب التبليغي حين تسنح الفرص بلقاء الدعوة مع الجماهير فهو تعليمهم ما جهلوه من حقيقة لا إله إلا الله، وارتباطها الوثيق بتحكيم شريعة الله، والتأكيد لهم بأن ما أصاب المسلمين في حاضرهم من الذل والهوان والضعف والتخلف وغلبة الأعداء عليهم إنما كان سببه تفريغ لا إله إلا الله من مضمونها الحقيقي، وجعله كلمة تتعلق باللسان فحسب، وأن هذا ليس هو الإسلام الذي أنزله الله.

إنما الإسلام الذي يرضى الله عنه في الدنيا والآخرة هو نطق لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضاها، وتأدية الفرائض، وأن المسلمين لن يعودوا إلى التمكن في الأرض بأي مذهب من المذاهب، ولا أي منهج من المناهج المستوردة من الشرق أو الغرب، إنما بالرجوع الحق إلى الله أي عبادته وحده بلا شريك، سواء فيما يختص بالعقيدة، أو ما يختص بالشعائر التعبدية، أو ما يختص بتحكيم الله في كل أمر من الأمور، وأن استيراد المذاهب من الشرق والغرب خلال قرن من الزمان لم يزددهم إلا ضعفًا وهوانًا وذلة وضياعًا وبعدًا عن التمكن والاستقرار.

وأما الواجب التربوي: فهو أخطر ما تقوم به الدعوة في الحقيقة لأنه هو طريق الخلاص، وهو عمل دائم مستمر لا يتوقف مهما كانت الأحوال، في الشدة والرخاء سواء، في السعة وفي الضيق سواء.

والتربية المطلوبة - لإقامة القاعدة الإسلامية - تهدف إلى إخراج نماذج فذة، لا مجرد إخراج مسلمين عاديين، نماذج تكون كالأعمدة الراسية في البناء، لتحمل ثقل البناء فيما بعد.

وهذا يحتاج أولاً إلى عقيدة صافية لا غش فيها ولا بدع ولا انحرافات، كعقيدة السلف الأول، خالية من كل ما علق بها خلال الأجيال من إضافات وانحرافات خرجت بها عن عقيدة التوحيد الخالصة الصافية، وكادت تردّها وثنية جاهلية.

ويحتاج ثانياً إلى إدراكٍ واعٍ لمقتضيات هذه العقيدة، ومقتضياتها هي كل التكاليف وكل التوجيهات التي جاءت في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسنة رسوله ﷺ، ومن عظمة هذه التكاليف والتوجيهات، ومن شمولها لكل جوانب النفس، وكل جوانب الحياة كانت عظمة هذا الدين، وعظمة الأمة التي حملت هذا الدين، وأنشأت به ذلك الواقع الضخم الذي شهده التاريخ.

ويحتاج ثالثاً إلى تربية تحول هذه العقيدة إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع، وهذه التربية تحتاج إلى ترسيخ معاني الألوهية وتعميقها حتى تصبح يقيناً قلبياً ينبني عليه سلوك واقعي، يقيناً لا يزلزله الابتلاء والشدة، ولا يزلزله الرخاء والسعة.

تحتاج إلى ترسيخ أخلاقيات لا إله إلا الله: حتى تصبح حقيقة سلوكية تنبثق انبثاقاً ذاتياً من داخل النفس، وأخلاقيات لا إله إلا الله من السعة والشمول، بحيث تشمل كل سلوك يقوم به الإنسان، فالأخوة من أخلاقيات لا إله إلا الله، والتكافل من أخلاقيات لا إله إلا الله، والجلد والصبر من أخلاقيات لا إله إلا الله، والشجاعة من أخلاقيات لا إله إلا الله، والنظام والانضباط من أخلاقيات لا إله إلا الله، ومعرفة الحق واتباعه من أخلاقيات لا إله إلا الله.

وتحتاج إلى الوعي السياسي بأحوال العالم المعاصرة، وأحوال المسلمين في ظروفهم الراهنة، ومكايد الأعداء ومؤامراتهم الدائمة ضد الإسلام، وتدسسهم إلى حياة المسلمين بالغزو الفكري وغيره من وسائل الحرب، وتحتاج إلى الوعي الحركي الذي لا يتعجل الخطى قبل أوانها، وفي الوقت نفسه لا يدع الفرصة تغفل منه دون أن يستفيد منها.

وتحتاج إلى موازنة في داخل الفرد وفي داخل الجماعة بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، بحيث لا يكون الفرد مستبدًا، ولا ناشزًا، ولا يكون في الوقت ذاته إمعة يساير المجموع إن أخطأ أو أصاب.

ولا تكون الجماعة مستبدة طاغية تسحق شخصية الفرد، ولا مفككة لا رابط لها ولا اتحاد، وتحتاج إلى وعي فقهي يعرف به الفرد ماذا يأتي وماذا يدع، ومتى يسمع ويطيع، ومتى يفضي به السمع والطاعة إلى الهلاك.

ومن أجل متطلبات هذه التربية وهي كثيرة وشاقة، وخاصة في أمة كادت تنسلخ من كل مقومات الإسلام، فلا ينبغي التعجيل في خطواتها، ولا ينبغي التعجيل في إدخال الجماهير في الدعوة على النطاق الواسع قبل أن يتيسر العدد الكافي من الدعاة والمربين الذين تربوا هم أنفسهم على المنهج الصحيح، والذين يستطيعون بدورهم أن يربوا على المنهج الصحيح، فهذا التعجيل لا يخدم الدعوة في شيء، إنها يعوقها في الحقيقة عن المسير^(١).

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حَفِظَهُ اللهُ في كتابه «خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية» .. وتحت عنوان «الطريق إلى بعث الأمة الإسلامية»: «لا نستطيع أن نتصور أمة صالحة كاملة إلا بتصور جماعة لها عقيدة واحدة ومنهج واحد في الحياة، وبهذا تتحدد مقومات الأمة على النحو التالي: الجماعة، العقيدة (الإيمان)، والمنهج (الشريع). أما الأفراد المسلمون فهم كثير والحمد لله، فهم يعدون بمئات الملايين، ولكن حالهم فكما عرفت في الفصلين السابقين.

وأما العقيدة الواحدة فموجودة باقية، ولكنها تحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: تخليصها مما علق بها عبر القرون من الانحراف والتأويل السخيف المشوه لحقيقتها والخرافة.

الأمر الثاني: نقلها من بين الآيات والأحاديث وبطون الكتب إلى الصدور.

وأما المنهج فموجود أيضاً باق إلى يوم القيامة، ولكنه يحتاج إلى أمرين أيضاً:

الأمر الأول: تنقية هذا المنهج من البدع والانحراف والتأويل.

الأمر الثاني: وضع هذا المنهج موضع التنفيذ.

وبهذا سيتحدد العمل في ثلاث دوائر أساسية. ولكنه سيتفرع إلى شعب كثيرة.

الدائرة الأولى: تحديد العقيدة الواحدة وتصفيتها من الشوائب.

الدائرة الثانية: تخلص الشريعة الإسلامية وتنقيتها من البدع والغلو والتفريط.

الدائرة الثالثة: تهيئة الفرد المسلم ليقبل العقيدة الواضحة والشريعة الغراء السمحة

الكريمة^(١).

وبعد هذه النقول الطيبة لجماعة من العلماء والمفكرين، وهم كما ترى من جماعات مختلفة من جماعات الدعوة الإسلامية، والجميع يتفق على ضرورة التربية وأهميتها لإعادة بناء الإسلام، ورفع راية الملك العلام، اختلفت التعبيرات والتصورات، ولكنهم يتفقون على ضرورة التربية، والمخالف لهم ما خالفهم عن علم وهدى، ولكن عن عاطفة وهوى، واندفاع لا يستند إلى أدلة شرعية، أو حتى نظرة واقعية.

فالذين ينادون بتحكيم الشريعة مطالبون بتحكيم الشريعة في هذه القضية، كيف الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين؟ وكيف الوصول إلى الهدف المنشود والوعد الموعد

وهو انتصار الإسلام، ورفع راية الملك العلام؟

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

[الاحزاب: ٢١]

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الاحزاب: ١٥٨].

(١) خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[يُوسُف: ١٠٨]

فالاقتداء والاهتداء برسول الله ﷺ واجب في كل الأحوال وفي جميع القضايا، والتماس البركة والعزة في هديه المبارك ﷺ مما ينبغي أن يتقرر في قلب كل مسلم مخلص يرجو الله واليوم الآخر.

كيف بدأ النبي ﷺ الدعوة المباركة، وكيف انتقل بها من مرحلة إلى مرحلة، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا.

هل بدأ بالصدام المسلح مع الجاهلية الجاهلاء في فترة الاستضعاف وقلة العدد والعُدَد، أو أمر هو وأصحابه الكرام بكف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، أي بالتربية بالعبادات والصبر على الضيم، وتحمل الإيذاء والاستهزاء والتعذيب والتكذيب.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النِّسَاء: ٧٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الْحَاجَّة: ١٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي يصفحوا عنهم، ويتحملوا الأذى منهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلال والجهد.

وقال النبي ﷺ لما استأذنه أهل يثرب ليلة العقبة أن يميلوا على أهل منى فيقتلوهم: «إنا لم نؤمر بذلك»^(١).

(١) «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (١٤٩/٤) ط. دار المعرفة، بيروت. والحديث رواه ابن هشام عن ابن اسحاق (١٨٧/٢-٩٢) مطولاً، وعنه أحمد (٣/٤٦٠-٤٦٣)، والطبراني (١٩/٨٧-٩١)، وأورده الهيثمي في المجمع (٤٢-٤٦)، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق وهو مدلس وقد صرح بالسماع، وقال الألباني: هذا سند صحيح وصححه ابن حبان كما في «الفتح» (٧/٤٥٧).

قال سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ: «ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة، ومن أهداف التربية والإعداد في مثل هذه البيئة تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من ضيم يقع على شخصه، أو على من يلوذون به».

وربما كان ذلك أيضًا لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ويعذبونهم ويؤذونهم بأنفسهم سيكونون من جُند الإسلام المخلصين، بل من قاداته ألم يكن عمر بن الخطاب من بين أولئك؟

وربما كان أيضًا لقلّة عدد المسلمين حينذاك، وانحصارهم في مكة حيث لم تبلغ الدعوة الى بقية الجزيرة^(١).

فقد كانت الفترة المكية فترة تربية وإعداد ونشر للدعوة، وتحمل لكل ألوان الأذى حتى صار الصحابة ببركة تربية النبي ﷺ ملوك الدنيا وقاداتها وساداتها، كما أنهم كذلك ملوك في الآخرة.

فينبغي على القائمين على جماعات الدعوة للدين المتين أن لا يهملوا التربية إهمالاً، وأن يعتبروا الوقت الذي يبذل والجهد الذي ينفق في التربية لا فائدة فيه ولا عائدة، استعجالاً للنتائج، ورغبة في سرعة قطف الثمر، فيسلكون من الطرائق ما يخالف ماضى عليه سيد الخلائق، ومن نظر بعين الإنصاف متجنباً الاعتساف يرى أن مثل هذه الطرائق لا تثمر إلا الفتن والويلات والانتكاسات للدعوة الإسلامية، وكذلك لهؤلاء الأفراد الذين لم يأخذوا حظهم من التربية، وقد ينحرف كثير منهم عن الصراط المستقيم، لأنه يعرض نفسه لما لا طاقة له به من البلاء، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها».

وصلح أمر أولها بالتربية الصحيحة، بالصيام والقيام وتلاوة القرآن كما صلح باتباع سنة النبي ﷺ، والدخول في شرائع الإسلام كافة كما صلح كذلك بالبذل والإنفاق والجهد والجلاد.

قال الأستاذ محمد قطب حفظه الله: «ويجب أن يكون واضحًا في أذهاننا كذلك أن المعركة بين الإسلام وأعدائه ليست معركة سريعة خاطفة، ولكنها معركة طويلة شاقة قد تستغرق عدة أجيال، فينبغي للقاعدة التي تنشأ للقيام بهذا العبء الضخم أن تربي لتكون طويلة النفس، شديدة الصبر، عميقة الإيمان بالله، عميقة التوكل عليه، مستعدة لما يتطلبه أمرها من المعاناة، قادرة على أن تبذل من نفسها، من جهدها ومالها ودمها وفكرها ما يحتاج إليه إزالة الغربة التي أملت بالإسلام اليوم، واستنقاذ الغناء من دوامة السيل، واستثباته مرة أخرى راسيًا في الأرض عميق الجذور، وحين تكون القاعدة بالمواصفات المطلوبة، بالحجم المناسب سيغير الله للناس لأنهم يكونون قد وفوا بالشرط.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] (١).

فغزة هذه الأمة ورفعتها ومجدها في التماس هدى النبي ﷺ، ونصر شريعته.

قَالَ الْعَالِي: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].
وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].
ونصر الله - عزَّ وجلَّ - في تحليل حلاله، وتحريم حرامه، وإقامة دينه، وإحياء شريعته بالدعوة إليها، والبذل في سبيل رفعها.

وانظر رحمك الله كيف خالفت طائفة من الجيش أمر رسول الله ﷺ ، فكانت الهزيمة يوم أحد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْآ أَصْـبَحْـتْـكُمْ مُّصِـيْبَةً قَدْ أَصْـبَحْـتُمْ مِثْلَـيْـهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فكيف إذا خالفت الجماعة كلها هدى رسول الله ﷺ ، وقدموا قول علمائهم ومفتيهم على هديه المبارك، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم.

وكانت الهزيمة كذلك في بداية غزوة حنين لتعلق قلوب بعض مسلمي الفتح بالأسباب، وضعف التوكل وانتظار الخير والنصر من الواحد الوهاب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

فهذه تربية عالية لهذه الأمة الغالية، تنقية مستمرة للقلوب والجوارح مما يسخط الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ويخالف شريعته، حتى تخلص توحيدها لله - عَزَّ وَجَلَّ - وتسلم قيادتها لرسوله ﷺ .

أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ ، وصاحب رسول الله ﷺ ، فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بعث الى أن فارقنا فالزمه، فإنه الأمر هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين.

ونختم بهذه الكلمة في أهمية التربية الجادة للأستاذ محمد بن عبد الله الدويش يقول حفظه الله: والأمة تعيش هذا العصر واقعا فريدا، ومرحلة ليست على مثال سابق، فعصور

التردي التي مرت بالأمة لم تصل إلى حد أن تسقط الحواجز بين الأمة وأعدائها، فتصبح تابعة لهم، مستوردة لمتاهجهم، ولقد كان الحكم في تلك المراحل للشيعة رغم الانحرافات في التطبيق، ولم تجرؤ الأمة على استبدال الشريعة وتنحيها إلا في هذا العصر.

ومناهج التربية والإعلام الوافدة إنما هي نتاج هذا العصر، والتي ساهمت مساهمة فعالة في تشكيل وصياغة عقلية مسلم هذا العصر ليخرج خليطاً متنافراً من ثقافات الشرق والغرب.

فالمشكلة التي تعانيها الأمة اليوم أبعد من أن تكون مجرد انتشار لمعاصٍ ظاهرة، وإخلاقاً بأحكام ظاهرة، وإن كان ما نذكر نذير خطر.

ومن ثم فالمشروع الإسلامي ما لم يأخذ على عاتقه إعادة صياغة متكاملة للفرد والمجتمعات الإسلامية في التفكير والتصورات والقيم والموازين فهو عاجز عن تحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

وهذا التغيير وإعادة الصياغة يحتاجان جهداً تربوياً ضخماً لتربية أدوات ووسائل التغيير من الدعاة والمصلحين، وجهداً لتربية مجتمعات المسلمين، ومن ثم كانت التربية الجادة ضرورة.

وحيث تنبأ التربية هذه المنزلة، وترقى إلى هذه الأهمية فهي تحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث، ومراجعة الأوضاع القائمة وغربلتها.

أما حين تكون مرحلة العواطف الجياشة، والحماسة المتأججة نهاية المطاف، ومنتهى الغايات فتصاغ البرامج التربوية للوصول لها وتحقيقها فحسب فلن تحقق الدعوة غايتها^(١).



الفصل الثاني

المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية

قبل أن نتكلم عن أنواع التربية المطلوبة، لابد لنا من وقفة مع هذا الجيل الفاضل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا على أعلى مستوى من الدين والخلق والإخلاص والتفاني في سبيل نصره هذا الدين فاستحقوا بذلك رضا الله - عزَّ وجلَّ - ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمانة للسماء فإذا ذهب النجوم أتی السماء ما توعده، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتی أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتی أمتي ما يوعدون»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأيي وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأيي وصاحب من صاحبني»^(٣).

(١) رواه البخاري (٢٥٨/٥، ٢٥٩) «الشهادات»، ومسلم (٨٧/١٦، ٨٨) «الفضائل».

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٣١) وأحمد (٣٩٨/٤، ٣٩٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٧٨/١٢)، وقال الحافظ في «الفتح» وإسناده حسن (٥/٧).

بل جعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - الصحابة الكرام مفاتيح نصر وعز ورفعة للمسلمين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس زمان فيغزو فثام من الناس فيقولوا: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فثام من الناس فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ - فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فثام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»^(١).

يقول الأستاذ محمد قطب تحت عنوان «كيف تربت الجماعة الأولى»: الجماعة الأولى هي الجماعة التي رباها رسول الله ﷺ على عينه، ومنحها كل جهده ورعايته وتوجيهه، والتي اجتمعت لها عناصر التربية الإسلامية بكل تمامها على يد أعظم مرب في التاريخ.

وإنها هي المقصودة أولاً بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كله، وحوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة وذلك التعدد وتلك الآفاق: عظمت حربية، وعظمت سياسية وإدارية، وعظمت نفسية، وعظمت روحية، وعظمت من كل نوع، وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات.

وتلك الأمة هي التي وضعت أسس التاريخ الإسلامي المقبل كله، ورسخت قواعده في الأرض، بما قدمت من مبادئ وقيم ومثل عليا مطبقة في عالم الواقع بصورة فريدة في التاريخ، صورة يلتقي فيها المثل والواقع، فلا تكاد تعرف من روعة العظمة المذهلة أيها الواقع وأيهم المثال.

(١) رواه البخاري (٢/٧) «فضائل الصحابة»، ومسلم (١٦٣/٨٣، ٨٤) «فضائل الصحابة»، وأحمد (٧/٣).

ولقد كان ذلك هو الثمرة الجنية للتربية الإسلامية في أعلى صورها على يد أعظم مرب في التاريخ^(١).

إلى أن قال:

ونحن مطالبون بدراسة وافية لتلك الجماعة الأولى، تفسر لنا أسرار عظمتها وبلوغها ما بلغت إليه من قمم شاخحة في كل مجال خاضته^(٢).

قال الدكتور السيد محمد نوح: «شهدت كتب التاريخ والسير أن الصحابة عليهم السلام ورضوا عنه عاشوا أعلى مراتب النصر والتأييد، ومن عجب أن هذا النصر وذلك التأييد ما كان في ميدان دون ميدان، وإنما كان في كل الميادين، وفي كل الأوقات.

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس الأمارة بالسوء فأجملوها بلجام الاستقامة والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى الله إن هي تمردت على هذا اللجام. وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في أرض المعركة، بحيث تمت لهم الغلبة على هذا العدو في أقصر وقت، وبأقل التكليف.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان الجن القاعد لهم بكل طريق، والمتربص بهم الدوائر، فلم يسمعوا لوساوسه وإغراءاته، ولم يعبثوا بكيده، وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع الدنيا ببريقها وزخارفها وزهرتها، فلم تفتنهم، ولم تشغلهم لحظة عن ربهم، وهكذا كان النصر حليفهم، وكان التأييد ديدنهم أينما حلوا وكيفما حلوا.

وما من شك من أن الناصر والمؤيد هؤلاء الأصحاب في كل وقت وفي كل ميدان إنما هو الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض، والذي اذا قضى أمراً يقول له كن فيكون.

(١) «منهج التربية الإسلامية» (١٥/٢) ط. دار الشروق.

(٢) «منهج التربية الإسلامية» (١٦/٢).

يبد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله لهم لم يكن عن محابة أو مجاملة، فإنه سبحانه لا يحب ولا يجامل، وإنما كان بسبب من هؤلاء، لقد تحلى هؤلاء بطائفة من الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر عليهم، والتأييد لهم من ربهم، وتبقى هذه الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سبباً في حصول النصر والتأييد من الله شريطة الالتزام والتحلي بها^(١).

وقال الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ: «هناك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان، وأن يقفوا أمامها طويلاً ذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها.

لقد خرجت هذه الدعوة جيلاً من الناس - جيل الصحابة رضوان الله عليهم - جيلاً مميزاً في تاريخ الإسلام كله، وفي تاريخ البشرية جميعه، ثم لم تعد تُخرج هذا الطراز مرة أخرى... نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ، ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم في مكان واحد، كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة.

هذه ظاهرة واضحة واقعة ذات مدلول ينبغي الوقوف أمامه طويلاً لعلنا نهتدي إلى سره^(٢).

ولا شك في أن رقي الصحابة الإيماني كان ببركة تربية رسول الله ﷺ لهم، وتزكية نفوسهم بالطاعات، وتعويدهم على الخضوع لرب الأرض والسموات، وقد كان ﷺ يفيض عليهم مما أفاض الله على قلبه من الأحوال الإيمانية والمعارف الربانية.

قال أبو الحسن الندوي: «ولم يزل الرسول ﷺ يربيه تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويزكي جرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول

(١) «من أخلاق النصر في جيل الصحابة» [٩-١٠] ط. دار ابن حزم.

(٢) «معالم في الطريق» [١٤] ط. دار الشروق.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزيدهم رسوخًا، في الدين، وعزوفًا عن الشهوات، وتفتانًا في سبيل المرضاة، وحنينًا إلى الجنة، وحرصًا على العلم، وفقهاً في الدين، ومحاسبة للنفس، يطيعون الرسول في المنشط والمكره، وينفرون في سبيل الله خفافاً وثقالاً، قد خرجوا مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقتال سبعًا وعشرين مرة في عشر سنين، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلي عن الدنيا، وهانت عليهم رزية أولادهم في نفوسهم، ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه، وبكل ما يشق على النفوس إتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة، فشطوا، وخفوا لامثال أمرها، وانحلت العقدة الكبيرة - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها، وجاهدتهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى، فكان النصر حليفه في كل معركة، وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى، ولا يكون لهم خيرة من بعد ما أمر أو نهى، حدثوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما اختانوا أنفسهم، وعرضوا أجسامهم للعذاب الشديد إذا فرط منهم زلة استوجبت الحد نزل تحريم الخمر والكثوس المتدفقة على راحتهم، فحال أمر الله بينها وبين الشفاة المتلمظة والأكباد المتقدمة، وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة.

حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة، ولا تبطرهم نعمة، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة، ولا تسحقهم قوة، ولا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم، وداعية إلى

دين الله، واستخلفهم الرسول ﷺ في عمله، ولحق بالرفيق الأعلى، قرير العين من أمته ورسالته^(١).

فلا شك في أن الصحابة رضوا الله عنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس وإن كان الراجح في قوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [الفتح: ١١٠]. أنها عامة في أمة محمد ﷺ، إلا أن الصحابة رضوا الله عنهم هم خير هذا الخير، فالواجب على الدعاة والمربين أن يدرسوا المؤهلات التي أهلت الصحابة رضوا الله عنهم لتبوأ أعلى المنازل، والوصول إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، حتى يجعلوا خصائصهم ومؤهلاتهم نصب أعينهم، وهم يقومون بواجب تربية أجيال الصحو الإسلامية، فغاية المربين إنشاء جيل على نمط الصحابة رضوا الله عنهم في عقيدتهم، وفهمهم للكتاب والسنة، وطاعتهم لله - عَزَّ وَجَلَّ - ولرسوله ﷺ، وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة، وبذلهم في الله - عَزَّ وَجَلَّ - طلباً لمرضاته، ورغبة في إعزاز دينه، ونشر رسالة رسوله ﷺ، وهذه جملة من هذه المؤهلات التي أهلت الصحابة رضوا الله عنهم لقيادة البشرية على سبيل الاختصار لا الحصر.

١ - تعظيمهم لأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأمر رسوله ﷺ :

كان الصحابة رضوا الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأوامر رسوله ﷺ عملاً بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضُلًّا مُبِينًا ﴾ [الإنجاب: ٣٦].

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (١٢٥-١٢٧) ط. وقفية الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]. فهذه زينب بنت جحش عليها السلام يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتاه زيد بن حارثة وحين يفتاحها في ذلك تأبى وتقول: لست بناكحته. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل فانكحيه» قالت: يا رسول الله أو أمر نفسي فينساها ما يتحدثنا إذا بالمولى سبحانه وتعالى ينزل هذه الآية على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فتقول: قد رضىته لي يا رسول الله منكحاً؟ فيقول: «نعم»، فتقول: إذن لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي^(١).

وهذا عقبة بن الحارث يتزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فتأتيه امرأة فتقول: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فيقول لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني ثم يركب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فيسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف وقد قيل؟» فيفارقها عقبة وتنكح زوجاً غيره^(٢).

ولما سقط مسطح بن أثاثه مع من سقط في حادثة الإفك، واتهام أم المؤمنين رضى عنها بالزنا من صفوان بن المعطل شق ذلك على أبي بكر وأهله وقال: هذا أمر لم تنتهم به في الجاهلية أبعد إذ أعزنا الله بالإسلام نتهم به؟ وحلف أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً فانزل الله - عز وجل - : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأمر: ٢٢].

وسمعتها أبو بكر فقال: بلى والله ياربنا إننا لنحب أن تغفر لنا. وعادله بما كان يصنع^(٣).

(١) «تفسير الطبري» (٩/٢/١٠) ط. دار المعرفة بيروت.

(٢) رواه البخاري (٢٢٢/١) العلم: الرحلة في المسألة النازلة.

(٣) رواه البخاري (٣٤٦/٨) التفسير: سورة النور مطولاً في قصة الإفك.

ومن ذلك موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستجابتهم لأمر الله - عزَّ وجلَّ - وأمر رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم وخروجهم إلى حمراء الأسد الغد من يوم أُحد، وقد دعاهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للخروج فخرجوا على ما بهم من جراح وألم، تعظيماً لأمر الله - عزَّ وجلَّ -، وأمر رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، وسجل الله - عزَّ وجلَّ - لهم هذا الموقف في كتابه الخالد ونزل قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ [الأنفال: ١٧٢-١٧٤].

٢ - صدقهم رضي الله عنهم في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم:

وقد وصف الله - عزَّ وجلَّ - المهاجرين الكرام بالصدق، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. ونزل فيهم رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الاحزاب: ٢٣].

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون. قال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد ابن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف،

أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الاحزاب: ٢٣] (١).

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك. قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: إن تصدق الله يصدقك. فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فَأَتَى به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه السهم حيث أشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه».

ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللَّهُمَّ هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك» (٢).

٢ - زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة؛

والزهد هو الرغبة عن الشيء لاستقلاله واستحقاره والرغبة فيما هو خير منه، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قَالَ الْعَالِي: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْفَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَنِيلاً﴾ [النساء: ٧٧]، وإنما سبق الصحابة عليهم السلام بقوة يقينهم

(١) رواه البخاري (٣٥٤، ٣٥٥) «المغازي»، ومسلم (٤٧/١٣، ٤٨) «الإمارة»، والترمذي (١٢/٨٠، ٨١) «عارضه التفسير».

(٢) رواه النسائي (٤/٦٠، ٦١) «الجنائز»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» رقم [١٨٤٥].

بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الصحابة سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد، واليقين، وصدق التوكل على الله - عزَّ وجلَّ -، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، ولا يوقد في بيت من أبياته نار^(١).

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبداً، وإزاراً غليظاً، فقالت: قبض رسول الله في هذين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَكْمًا حَشَوُهُ لِفِّ»^(٢).

فهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه، فعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقع ثلاث لبد بعضها على بعض. وعن عروة قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فإذا هو مضجع على طنفسة رحله، متوسد الحقيبة. فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقييل.

وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله^(٣).

(١) رواه البخاري (٢٨٣/١١) «الرقاق»، ومسلم (١٠٧/٨ - ١٠٨) «الزهد».

(٢) رواه البخاري (٢٨٢/١١) «الرقاق»، ومسلم (٥٧/١٤) «اللباس».

(٣) «حلية الأولياء» (١٠١/١).

٤ - شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا:

قال أبو الحسن الندوي: ولقد بعث الإيمان في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحينئذ غريباً إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض؟» قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟

قال: نعم. قال: بخ، بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بها كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل^(٢).

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي عليه السلام وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم.

فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل^(٣).

وفي يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم وأحاط بهم الصحابة فقال البراء بن مالك يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١٣٥].

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٦٨-٦٩) «الإمارة».

(٣) رواه مسلم (١٣/ ٦٩-٧٠) «الإمارة».

دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة - لعنه الله -.

قال الذهبي: بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم عليهم وشد عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوي جرحه^(١).

٥- قطع حبال الجاهلية وموالاته الله - عزَّ وجلَّ - ورسوله ﷺ والمؤمنين:

قال الدكتور السيد محمد نوح: وكان الواحد من الصحابة بمجرد أن يدخل في الإسلام يجتهد كل الاجتهاد أن يقطع حبال الجاهلية، وأن يخلع على باب هذا الدين كُلَّ ماضيه، بما فيه من سوءات وظلمات، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] (٢).

هذا عبد الله بن أبي بن سلول يبلغه أن رسول الله ﷺ يمر بأبيه وهو في ظل أطم فيقول: غبر علينا ابن أبي كبشة، فيأتي النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت أتيتك برأسه فيرد عليه النبي ﷺ قائلاً: «لا، ولكن برأباك، وأحسن صحبته» (٣).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/١٩٦).

(٢) «من أخلاق النصر في جيل الصحابة» [٥٢].

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣٠٨/٩)، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات والأطم المكان المرتفع.

وهذا حنظلة بن أبي عامر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما آذى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين فينهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ^(١).

وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى (يوم بدر) قال أبو عزيز: مر بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شد يدك به إن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي، فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

فسألت أمه عن أعلى ما فدى به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها ^(٢).

وقتل أبو عبيدة بن الجراح يوم بدر أباه، حيث تعرض له أبوه يريد أن يقتله ويتحاشاه أبو عبيدة، فلما أصر أبوه على قتله تمكن منه أبو عبيدة فقتله.

٦- استهانتهم بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء؛

وقد بين الله - عزَّ وجلَّ - أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ^(٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ^(٤) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ

[الحج: ٣٣-٣٥].

(١) ذكره الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣٦٠) وقال رواه ابن شاهين بإسناد حسن.

(٢) باختصار من «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٥٤) ط. الكليات الأزهرية.

وقال النبي ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»^(١).

فعلم الصحابة عليهم السلام حقارة الدنيا، وزيف زخارفها فاستهانوا بها فلم تبهرهم الأضواء، ولم تشغلهم الشهوات.

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية، وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنهارق والزرايى الحرير وأظهر اليواقيت والآلاتى الثمينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتوني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمح فوق النمارق فخرق عامتها، فقال له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(٢).

٧- حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف:

كان الصحابة عليهم السلام من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولا شك في أن من أسباب النصر والرفعة والعزة الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(١) رواه الترمذي (١٩٨/٩) «الزهد»، وقال: هذا حديث صحيح غريب وأخرجه الحاكم (٣٠٦/٤)، من طريق آخر وقال: صحيح الإسناد ورده الذهبي بقوله: (زكريا ضعفه).

قال: الألباني: والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه.

انظر: «الصحيحة» رقم [٩٤٣].

(٢) قصة ربعي بن عامر رواها الطبري في «تاريخه» (٣/ ٥٢٠) ط. دار المعارف.

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أخرج عبد الرزاق في «المصنف» من حديث قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان صدرا من خلافته كانوا يصلون بمكة ومنى ركعتين، ثم إن عثمان صلاها أربعاً، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع، ثم قام فصلى أربعاً، فقليل له: استرجعت ثم صليت أربعاً؟ قال: الخلاف شر^(١).

وأخرج أحمد في «المسند» عن رجل قال: كنا قد حملنا لأبي ذر رضي الله عنه شيئاً نريد أن نعطيه إياه، فأتينا الربة، فسألنا عنه فلم نجده، قيل: استأذن في الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهي منى فبينما نحن عنده إذ قيل له إن عثمان صلى أربعاً، فاشتد ذلك عليه، وقال قولاً شديداً، وقال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر وعمر، ثم قام أبو ذر رضي الله عنه فصلى أربعاً، فقليل: عبت على أمير المؤمنين شيئاً لم تصنعه؟ قال: الخلاف أشد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فقال: «إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوهم، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربة الإسلام..» الحديث^(٢).

ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي، وسأل ابن الكواء علياً رضي الله عنه عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة.

فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صلى الله عليه وسلم والبدعة ما فارقتها والجماعة - والله - جماعة أهل الحق والفرقة جماعة أهل الباطل وإن كثروا.

(١) رواه أبو داود [١٩٤٤] «عن المناسك»، وصححه الألباني «صحيح سنن أبي داود» رقم [١٧٢٦].

(٢) رواه أحمد (٥/ ٦٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢١٦) وعزاه إلى أحمد وقال فيه راو لم يسم وبقيته رجاله ثقات.

٨- مسارعتهم ﷺ إلى التوبة والإنابة إن بدرت منهم معصية:

قال أبو الحسن الندوي: وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية، وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة، وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وأزاع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين، ولا تتناوله يد القانون، تحول هذا الإيمان نفساً لَوَامَةً عنيقة، ووغزاً لاذعاً للضمير، وخيالاً مروّعاً لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً، تفادياً من سخط الله وعقوبة الآخرة^(١).

كما في قصة ما عَزَّ وَجَلَّ أقر عند رسول الله ﷺ على نفسه بالزنا فأمر بإقامة الحد عليه، ثم أتت الغامدية تقرأ على نفسها كذلك.

وربط أبو لبابة بن عبد المنذر نفسه في سارية من سواري المسجد، لما أحس بأنه قد خان الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسوله ﷺ حتى نزلت براءته.

وكذا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر، فاعترفوا بين يدي رسول الله ﷺ، وما تعللوا بالأباطيل والكذب كما فعل المنافقون، وأمر النبي ﷺ بمقاطعتهم حتى مر عليهم خمسون ليلة، ثم نزلت براءتهم من السماء، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من أسرع الناس إلى التوبة والإنابة والاعتراف بالذنب، كما أنهم دائماً أسرع الناس إلى الخير فرضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين.

٩- تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم:

كان الصحابة رضوان الله عليهم من التكافل والتناصر والمواساة ما يضرب به المثل امتثالاً لقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١٣٠، ١٣١].

وقد مدح الله - عزَّ وجلَّ - الأنصار الكرام بقوله تعالى: ﴿وَتُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [التَّحْرِيق: ٩].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك^(١).

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمهما لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهميم؟» قال: تزوجت. قال: «كم سقت إليها؟» قال: نواه من ذهب أو وزن نواة من ذهب.. شك إبراهيم^(٢).

وهذا صحابي آخر أثر ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعامه وطعام أولاده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأتها.

(١) رواه البخاري (٣١٧/٧) «مناقب الأنصار».

(٢) رواه البخاري (١٤٠/٧) «مناقب الأنصار».

فجعلنا يريناه أنها يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٩٠]»^(١).

وهذا أبو بكر الصديق يتزوج أسماء بنت عميس ليقوم على أمرها وأمر صغارها بعد مقتل جعفر بن أبي طالب الطيار في سرية مؤتة.

وهذا عبد الرحمن بن عوف يتزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت من مكة وحدها سراً، ليقوم عليها فلا تضيع ولا تفتن.

١٠- اتهامهم أنفسهم دائماً بالتقصير:

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يونس: ٥٣].

هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يدخل عليه عمر يوماً وهو يجبذ لسانه، فيقول له: مه غفر الله لك، فيرد عليه أبو بكر قائلاً: إن هذا أوردني شر الموارد.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن كان ولده عبد الله يضع رأسه في حجره فإذا أفاق قال لابنه: ضعه لا أم لك، وبلي، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي.

وهذا عمران بن حصين يدخل عليه بعض أصحابه، وكان قد ابتلي في جسده، فيقول له نفر منهم: إنا لنبأس لك لما نرى فيك. قال: فلا تبتأس بما ترى، فإن ما ترى بذنب وما يغفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [التوبة: ٣٠].

وهذا أبو الدرداء يصيبه المرض ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ويقولوا له: أي شيء تشتكي؟ فيقول: ذنوبي، فيقولون: أي شيء تشتهي فيقول: الجنة^(٢).

(١) رواه البخاري (١٤٩/٧) «مناقب الأنصار».

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٩/١٣) «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٨/١).

وهذه أساء بنت أبي بكر كانت تصدع فتضع يدها على رأسها، وتقول: بذنبي وما يغفره الله أكثر.

١١- أنفتهم واستعلاء الإيمان في قلوبهم:

قال أبو الحسن الندوي: وكان هذا الإيمان بالله رفع رأسهم عاليًا، وأقام صفحة عنقهم فلن تَنَحَّيَ لغير الله أبدًا، لا لملك جبار ولا لخبر من الأحرار، ولا لرئيس ديني ولا دنيوي، وملاً قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة والفخفة، فإذا نظروا إلى الملوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف وزينة فكأنهم ينظرون إلى صور ودمى قد كسيت ملابس الإنسان.

عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سباطين وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان أن اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله^(١).

١٢- تزكية نفوسهم بالعبادات:

ووعى الصحابة أيضًا ما قرره القرآن الكريم وطبقه الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم عمليًا من أن تطهير وتزكية النفس هما أساس التغيير المنشود، وأساس النجاح والنصر المنشود في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

إذ يقول - عز وجل - في كتابه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [التين: ٩]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الزمر: ١٤-١٥].

وإذ يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه من طول القيام وكان يقول: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٢).

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١٣٣].

(٢) رواه النسائي (٧/ ٦١) «عشرة النساء»، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥).

وعى الصحابة - رضوان الله عليهم - جميعاً ذلك كله فعملوا جاهدين على تمثله في أنفسهم بحيث صار واقعاً حياً ملموساً يتحرك في دنيا الناس، وتتحدث عنه كتب التراجم والسير والتواريخ، وتتناقله الأعداء في مجالسهم الخاصة والعامة وفي كتبهم.

هذا عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: «الصلاة»، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وعن نافع قال: كان ابن عمر يحبى الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يختم القرآن في ثلاث، وواظب على ذلك وهو طاعن في السن، حتى أدركته الوفاة.

١٢- ثباتهم أمام المطاعم والشهوات:

لا شك في أن قوة الإيمان في قلب العبد تجعله يترفع عن شهوات الدنيا وأغراضها الدنية، فيصون العرض، ويؤدي الأمانة، ويعف عن الغلول.

قال الطبري في «تاريخه»: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، وما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم لتقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، فاتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسألهم عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس^(١).

(١) «تاريخ الطبري» (١٩/٤) ط. دار المعارف.

١٤- حرصهم على الأخذ بأسباب القوة:

عملاً بقول الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقوله صلى الله عليه وسلم : «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم : «ارموا بنو إسماعيل فإن أباكمم كان رامياً»^(٢).

وصارع النبي صلى الله عليه وسلم ركاته، وكان ركاته من أشد الناس لا يصرع، وسابق بين الخيل.^(٣)

وكانت العضباء - ناقة النبي صلى الله عليه وسلم - لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها الأعرابي، وكان ذلك شق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «حق على الله ألا يرفع شيء في الدنيا إلا وضعه»^(٤).

يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، فقلت: أما تكرم كريماً ولا تنهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول صلى الله عليه وسلم : قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ذرني فلا سابق الرجل. قال: «إن شئت» فسبقتني إلى المدينة^(٥).

وهذا سعد بن أبي وقاص كان يقول لبنيه: أي بني تعلموا الرماية فإنها خير لعبكم.

(١) رواه مسلم (٢١٥/١٦) «القدر»، وابن ماجه [٦٤] «المقدمة».

(٢) رواه البخاري (١٠٦/٦) «الجهاد»، وأحمد (٥٠/٤).

(٣) رواه أبو داود [٤٠٦٠ عون] «اللباس»، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨/١٠) ..

(٤) رواه البخاري (٨٦/٦) «الجهاد والسير».

(٥) رواه أحمد (٢٦٤، ٣٩/٦)، وأبو داود [٢٥٦١] «الجهاد»، وصححه الألباني.

وكان عقبة بن عامر يختلف بين الغرضين وهو شيخ كبير فقيل له: تفعل هذا وأنت شيخ كبير يشق عليك؟ فقال: من تعلم الرمي ثم تركه فليس مِنَّا، وفي رواية: فقد عصى^(١).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن علم غلمانك العوم ومقاتلتكم الرمي.

فكانوا يختلفون في الأغراض، فجاء سهم غرب فقتل غلامًا وهو في حجر خال له لا يعلم له أهل، فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إلى من أدفع عقله؟ فكتب إليه عمر: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ، وَالْحَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ»^(٢).

١٥- استنصارهم بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وطلبهم العزة بما أعزهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - به:

فقد كان من هدي الصحابة الكرام أنهم يطلبون النصر من الله - عَزَّ وَجَلَّ - عملاً بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ عَزَيْزٌ حَكِيمٌ﴾

[الأنفال: ١٠]

أخرج ابن عبد الحكم عن زيد بن أسلم قال: لما أبطأ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه:

«أما بعد: لقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، وما ذاك إلا لما أخذتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمت أنك أن الرجل منهم مقام ألف رجل

(١) رواه مسلم (٩٦/١٣) «الإمارة».

(٢) رواه أحمد (٤٦/١)، وصححه أحمد شاكر [٣٢٣]، ورواه البيهقي في «الكبرى» (١٠/١٤).

على ما أعرف، إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، وأمر الناس أن يكونوا لهم صدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة، ووقت الإجابة وليعج^(١) الناس إلى الله، وليسألوه النصر على عدوهم».

فلما أتى عمروا الكتاب، جمع الناس، وقرأه عليهم، ثم دعا أولئك نفر فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبون إلى الله ويسألونه النصر ففتح الله عليهم.

وعن عياض الأشجعي قال: شهدت اليرموك وعليها خمسة أمراء: أبا عبيدة ويزيد ابن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض عليهم السلام، وليس عياض هذا الذي حدث - فقال: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه: أنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحضر جندًا الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فاستنصروه، فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم.

وكانوا عليهم السلام يطلبون العزة بما أعزهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - به من الإيمان والعمل بالإسلام، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب عليه السلام إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح عليه السلام فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فتزل عنها وخلع خفيه فوضعها على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعها على عاتقك

(١) أي: يرفعون أصواتهم.

وتأخذ بزمام ناقتك وتحوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشفوك، فقال عمر: أواه لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله^(١).

١٦- ثقتهم بنصر الله - عَزَّ وَجَلَّ :-

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «كان رسول الله ﷺ يث عناصر الثقة في قلوب رجاله ويفيض عليهم مما أفاضه الله على فؤاده من أملٍ رحيب في انتصار الإسلام وانتشار مبادئه وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغرب وقد اتخذ المستهزءون من هذه الثقة مادة لسخريتهم وضحكهم، كان الأسود بن عبد المطلب وجلساؤه إذا رأوا أصحاب النبي ﷺ يتغامزون بهم، ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض، الذين سيغلبون غداً على ملك كسرى وقيصر، ثم يصفرون ويصفقون^(٢).

ولقد كانت الآيات القرآنية تنزل بمكة تبشر بانتصار الإسلام، والصحابة رضي الله عنهم يعذبون في ربوع مكة، فتزل قول الله - عَزَّ وَجَلَّ - في سورة الروم: ﴿الْعَمَّ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١٠ ۝ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الرُّوم: ١-٥].

وكانت تبشر الآيات كذلك بهزيمة المشركين وانكسار شوكتهم فتزل قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝﴾ [القمر: ٤٥].

وهزمت جموع المشركين في أول لقاء بين الكفر والإيمان، في يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، كما بشر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وبشر رسول الله ﷺ بانتصار الإيمان وغلبة جند الرحمن في كل زمان ومكان، فقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾

(١) رواه الحاكم (١/ ٦١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) «فقه السيرة» للغزالي [١١٣].

[الرؤى: ٤٧].

وقال - عز وجل - : ﴿ وَإِنْ جُنَدَانَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وقال - عز وجل - : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [البقرة: ٥١].

وقال صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا رَوَيْ لِي مِنْهَا»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم : «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ نَبِيَّ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِثَ عَزِيزٍ أَوْ بَدَّلَ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

فكان من ثقة الصحابة الكرام بنصر الله - عز وجل - يتهمهم المنافقون بالغرور كما قال عنه : ﴿ إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ لَا دِينَ لَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول للروم وقد تحصنوا بالحصون: أيها الروم انزلوا إلينا فوالله لو كنتم معلقين بالسحاب، لرفعنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا.

ووقف الفارس المسلم على شاطئ الأطلنطي وقال: والله يا بحر لو أعلم أن وراءك أرضاً تفتح في سبيل الله لخضتكم بفرسي هذا.

(١) رواه مسلم (١٣/١٦)، «الفتن وأشرار الساعة»، والترمذي (٢٢/٩)، «الفتن»، وأبو داود (٤٢٣٢) «الفتن والملاحم».



الْفَصْلُ الثَّلَاثُ

أنواع التربية المطلوبة

تربية جيل على نمط الصحابة

[١] التربية العقائدية

فأول ما يجب أن يتربى عليه الشاب المسلم العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة عليهم السلام، فقد جعل الله - عزَّ وجلَّ - عقيدة الصحابة عليهم السلام هي المقياس للعقيدة الصحيحة، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧].

وبين - عزَّ وجلَّ - أن غاية خلق الجن والإنسان أفراد الله - عزَّ وجلَّ - بالعبادة ومعرفته - عزَّ وجلَّ - فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

كما بين - عزَّ وجلَّ - أن غاية الرسل وهدفهم تعبيد الناس لله - عزَّ وجلَّ - فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الحج: ٣٦].
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: «يَا مُعَاذُ مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَرُوا»^(١).

(١) رواه البخاري (٥٨/٦) «الجهاد»، ومسلم (٢٣٠-٢٣٢) «الإيمان».

وأول أمر في كتاب الله أمر بالتوحيد: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وما أتى الأمر بالتوحيد في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو في سنة رسوله ﷺ مع مجموعة من الأوامر إلا كان الأمر بالتوحيد أول الأوامر.

وما أتى النهي عن الشرك مع مجموعة من النواهي في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو سنة رسوله ﷺ إلا كان النهي عن الشرك هو أول النواهي، فما أمرت الرسل بشيء قبل التوحيد، وما نهت عن شيء قبل الشرك.

ولما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ لَيْسَ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا هُمْ عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»^(١) الحديث.

وهذا رُبَّعي بن عامر أحد تلامذة رسول الله ﷺ يلخص رسالة الدعاة في كل زمان ومكان فيقول: «إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا لَنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمَنْ جَوَرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ».

وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن تشتمل على نوع واحد من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، وكذا آية الكرسي وهي أعظم آية في كتاب الله ليس فيها إلا صفة الرب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد، وتربي أبناءها عليه، وتسقيهم العقيدة الصحيحة فهي دعوة على غير هدى المرسلين، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب قبيح، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح.

(١) رواه البخاري (٧/ ٦٦١، ٦٦٢) «المغازي»، ومسلم رقم [١٩] «الإيمان».

فهذه إشارة سريعة إلى أهمية التوحيد والتربية العقائدية، ولا ينبغي أن نفهم أن المراد بالتوحيد هنا توحيد الصانع، كما تفهم ذلك المعتزلة، أو التوحيد بمعنى اعتقاد وحدة الوجود والحلول كما تعتقد غلاة الصوفية، وإنما نقصد بالتوحيد ما علمنا إياه رسول الله ﷺ، ومضى عليه سلف الأمة الصالحين عليه السلام، ومعرفة الإله الواحد هو صلب هذا العلم حسب ما عرفنا الله - عَزَّ وَجَلَّ - بنفسه، وما عرفنا به رسوله ﷺ، وعلم التوحيد هو أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم.

وعلم التوحيد هو علم العقيدة، والعقيدة بمعنى الإيمان، والإيمان هو التصديق الجازم بلا شك ولا ريبه ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أصول: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأصول الستة هي التي أرسل الله - عَزَّ وَجَلَّ - بها نبيه محمداً ﷺ وكل رسول قبله كما قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى»^(١).

يقول الدكتور أنس كرزون: ولذلك كان الموضوع الأساسي في القرآن هو التوحيد، وكانت آيات القرآن تنزل في مكة المكرمة سنوات طويلة لتثبيت هذه العقيدة في القلوب، والرد على المعاندين الذين انحرفوا عنها، وقد ألزم الله المشركين بما أقروا به من الاعتراف بأن الله هو الخالق سبحانه فأقام الحجة عليهم بوجوب توحيد سبحانه وإفراده بالعبادة والطاعة، وأظهر عجز آلهتهم المزعومة، وأنها لا تملك ضرراً ولا نفعاً، وأن ما يحوط الإنسان من النعم إنما هو من عند الله سبحانه.

قَالَ تَجَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

كما أن آيات القرآن الكريم حافلة بالرد على أهل الكتاب الذين نسبوا لله الولد وغيرهم من أصناف الملحدين والمشركين، وإلزامهم الحجة بما لا يستطيعون إنكاره، من بديع صنع الله واستقامة نظام الكون، وعدم اضطرابه.

قَالَ تَجَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

[الأنبياء: ٢٢]

وقال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا ذُكِرَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وأبرز ما تركز عليه آيات القرآن الكريم في تثبيت عقيدة التوحيد إيقاظ الفطرة فالإنسان إذا انطمست فطرته وأظلم قلبه انحرف عن التوحيد، وادعى الاستغناء عن خالقه فإذا ألمت به الشدائد وأيقن بالهلاك لجأ إلى الله وحده وأخلص التوجه إليه بالدعاء، وأظهر افتقاره وتذلل لخالقه سبحانه، وسرعان ما ينكص على عقبيه، ويبتعد عن خالقه بمجرد زوال الخطر.

قَالَ تَجَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبَئٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَنْ أَنْجِيَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَجَبْتُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

ويقول عبد الله ناصح علوان: إن مسئولية التربية الإيمانية^(١) لدى المربين والآباء

(١) يقصد بالتربية الإيمانية هنا العقائدية، وقد أطلقنا في هذا البحث اسم التربية الإيمانية على الارتقاء بالأحوال الإيمانية للشباب.

والأمهات لهن مسؤولية هامة وخطيرة، لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات، بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام، وبدون هذه التربية. لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى، وهدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم، ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين، وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾

[مُحَمَّد: ١٢]

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي منه جانب العقيدة.. وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية هو أسلوب المربي الأول - صلوات الله وسلامه عليه -، حيث كان يسعى دائماً إلى أن يوجه الأولاد إلى ما يرفع من شأنهم ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم، وإليك أخي القارئ - بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحَقُّظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحَقُّظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/١٦٣، ١٦٤) ط. دار السلام، والحديث رواه أحمد (٤/٢٨٦، ٢٨٨)، والترمذي (٩/٣١٩، ٣٢٠) عارضة «أبواب القيامة»، وقال: حسن صحيح وحسنه الخافظ ابن رجب من طريق حنش.

فقد كان النبي ﷺ ينقي قلوب الصحابة وجوارحهم من الشرك الجلي والخفي، ويربيهم على التوحيد الخالص، ويعرفهم بربهم الذي خلقهم ورزقهم، حتى صار الصحابة الكرام أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.

وهذه أمثلة من سيرة النبي ﷺ تبين هذه التربية العالية، لهذه الأمة الغالية. عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر - وللمشركون سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا الشَّيْءُ الَّذِي فُتِنَ بِهِ النَّبِيُّ وَهُوَ يُنْفِئُ عَنْهُمْ كَمَا يُنْفِئُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمُوسَى ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» [الأنعام: ١٣٨] لَكُرْكَبُ سَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١).

وعن زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل: فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ»^(٢).

ومن ذلك ما رواه في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رحمه الله أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: «أَنْ لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»^(٣).

(١) رواه الترمذي (٢٨، ٢٧/٩) عارضة «الفتن»، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٢١٨/٥) وابن أبي عاصم في «السنة» [٧٦]، وعبد الرزاق [٢٠٧٦٣] وغيرهم، وحسنه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٣٣٣/٢) «صفة الصلاة»، ومسلم (٦٠، ٥٩/٢) «الإيمان»، ومالك (١٩٢/١) «الاستسقاء».

(٣) رواه البخاري (١٤١/٦) «الجهاد»، ومسلم (٩٥/١٤) «اللباس»، ومالك في «الموطأ» (٩٣٧/٢) «صفة النبي ﷺ»، والبيهقي في «شرح السنة» (٢٧، ٢٦/١١)، وقال مالك: «أرى ذلك من العين».

وعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تَعَلَّقَ تَيْمِمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَهُ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

ومن ذلك ما رواه مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحِدَّثًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»^(٢).

وعن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٣).

كما حرم صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر، فقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»^(٥).

كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرياء وهو من الشرك الأصغر.

فعن أبي هريرة مرفوعاً قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مِنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(٦).

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢١٦) «الطب»، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقيل: فيه خالد بن عبيد المعافري لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٦٧).

(٣) رواه مسلم (١٤/ ٢٢٧) «السلام» دون زيادة «فصدقه»، وهي عند أحمد (٤/ ٦٨) بسند صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٧/ ١٨ عارضة) «الإيمان والنذور»، وأبو داود [٣٢٣٥] «الإيمان والنذور»، وأحمد (٢/ ٦٨، ٦٩)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وحسنه الترمذي وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو داود [٤٩٥٩] «عون الأدب»، وأحمد (٥/ ٣٨٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٣٧].

(٦) رواه مسلم (١٨/ ١١٥) «الزهد»، وابن ماجه [٣٣٨٧] «الزهد».

وكذا سد النبي ﷺ كل الذرائع إلى الشرك، فحرّم إقامة المساجد على القبور، ونهى عن اعتقاد العدوى والتطير، ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله، ونهى عن المبالغة في المدح، وهو الإطراء، كما نهى عن التصوير.

وتعلم الصحابة رضي الله عنهم هذا التوحيد الخالص من رسول الله ﷺ فصاروا يعلمونه من يلوذ بهم، ومن يتبعهم، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى في يد زوجته خيطاً فيقطعه، ويقول: «لقد أصبح آل عبد الله في غنى عن الشرك». وروى وكيع عن حذيفة: «أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رقى لي فيه، فقطعه، وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك».

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أَلَا تَدْعُ صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِقًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(١).

فالواجب على القائمين بالدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والذين يرجون عز الإسلام والمسلمين الاهتمام بتربية الناس على العقيدة الصحيحة، والتنبيه الدائم لهم على ما يقعون فيه من أمور الشرك العلمية والعملية، لأن هذا هو هدي رسول الله ﷺ، وما ربي عليه الصحابة الكرام، وكل جماعة من جماعات الدعوة الإسلامية لا تهتم بأمور العقيدة، ولا تربي أبناءها على عقيدة السلف رضي الله عنهم فهي جماعة على غير هدى المرسلين، مهما رفعت من شعارات: الله ربنا، والقرآن دستورنا، إلا أن الواقع أن أفراد الجماعة لا يدرسون العقيدة الصحيحة، بل ومنهم من يقول: عقيدة السلف أسلم، وعقيدة الخلف أعلم وأحكم، وهذا القول عاطل باطل، ولو قاله عالم من العلماء، وكل كلام خالف الكتاب والسنة يضرب به عرض الحائط، فعقيدة السلف أسلم وأحكم وأعلم، بل الواجب على كل أفراد الأمة أن يعتقدوا معتقد السلف رضي الله عنهم كما قال العجائي: «فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا» [البقرة: ١٣٧]، وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ

(١) رواه مسلم (٣٦/٧) «الجنائز»، والترمذي (٢٦٩/٤) «الجنائز»، والنسائي (٨٩، ٨٨/٤)، وأبو

يُسْتَقْبَلُ وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيْنَ مِنْ بَعْدِي عُصْوًا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ^(١)، والسنة ما تركنا عليه رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وعقائد، وواقع الأمة يشير إلى أن الجيل الأول كان تقياً خالياً من البدع والاعتقادات الباطلة والأهواء الكاذبة، فلم يكن شيء من الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، وإنما ظهرت البدع في آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، ثم افترقت البدعة بدعاً، والفرقة فرقاً، فكيف مع ذلك يُقال عقيدة السلف أسلم، وعقيدة الخلف أحكم وأعلم سبحانه هذا بهتان عظيم.

ثم الواجب على المربين كذلك أن يحثوا الطلاب على استشعار معاني العقيدة، وتذوق حلاوتها، حتى يكون لها أثر في حياتهم وواقعهم، فإذا تربى المسلم على إثبات السمع والبصر لله - عَزَّ وَجَلَّ -، فإنه يستشعر اطلاع الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه، ومراقبته له، وعلمه بسرّه ونجواه، وقد كان أهل الجاهلية يتجرءون على معصية الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ويستخفون بالمعاصي ظناً منهم أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يراهم إذا استخفوا بها.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «وَقَفَ رَجُلَانِ سَمِيْنَانِ أَمَامَ الْكَعْبَةِ، فَسَأَلَ أَحَدُ مِنْهُمَا الْآخَرَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّنَا، فَقَالَ: يَعْلَمُ مَا نَجْهَرُ بِهِ، أَمَا مَا تُسِرُّ بِهِ فَلَا يَعْلَمُهُ»^(٢)، فكانت هذه عقيدة المشركين، أن الله يعلم ما ظهر ولا يعلم ما بطن، ونزل قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُطِّلَتْ: ٢٢].

قال الأستاذ عبد الله ناصح علوان: «وهذا النمط من التربية والمراقبة، قد وجه إليه المربي الأول عليه الصلاة والسلام في إجابته السائل عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٧/ ١٢٢) كتاب «المنافقين».

(٣) رواه البخاري (١/ ١١٤) «الإيمان»، ومسلم (١/ ١٥٧-١٦٠) «الإيمان».

وقد أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ إِنَّكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿[الأنفال: ٢٠٠-٢٠١].

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم وتأديبهم عليها، وإليك ما قصه الإمام الغزالي في إحيائه: «قال سهل بن عبد الله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتكم وداوم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرى، ثم قال لي خالي يوماً: «يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه، وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية»، وبهذا التوجيه السديد، والترويض المستمر، التربية الإيمانية الحقّة أصبح سهل رَحِمَهُ اللهُ من كبار العارفين، ومن رجال الله الصالحين بفضل خاله الذي أدبه وعلمه ورباه، وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة، وأنبأ مكارم الأخلاق^(١).

ولا شك في أن هذا أدب حسن، وتربية حسنة، وأحسن منها تربية النبي ﷺ وما صح عنه من أذكار وتعوذات، روى البخاري في «صحيحه» عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَى مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٦٠-١٦١).

وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي - أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ - فَإِنْ تَوَضَّأْتُ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(١).

قال ابن بطال: «وعد الله على لسان نبيه من استيقظ من نومه، ولهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه، يحمده عليها، ويتزهره عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير، والتسليم له وبالعجز عن القدرة إلا بعونه أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به، ويخلص نيته لربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -»^(٢).

قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري: «أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت، فأتاني آت فقرأ: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [البخ: ٢٤]»^(٣).



(١) رواه البخاري (٤٧/٣-٤٨) «التهجد».

(٢) «فتح الباري» (٥٠/٣).

(٣) السابق (٥٠/٣).

٢] التربية الفكرية

ويُقصد بها تربية شباب الصحوة الإسلامية على فكر السلف، وتعميق المفاهيم الصحيحة في نفوسهم، وتحذيرهم من المفاهيم الخاطئة التي يترى عليها شباب الإسلام في كثير من جماعات الدعوة الإسلامية، فتكون بذلك ثمرات التربية الصحيحة شبابًا تربوا على فكر السلف، وفهم السلف للكتاب والسنة، وكذا عندهم وقاية من الأفكار الخاطئة، والمفاهيم المخالفة لما كان عليه السلف عليه السلام، التي في الساحة الإسلامية، وهذا لا شك من البصيرة الواجبة في هذا المرحلة الراهنة وعلى ذلك ينقسم البحث في هذا الباب إلى قسمين:

(أ) مفاهيم ينبغي أن يترى عليها الشباب المسلم.

(ب) مفاهيم خاطئة يجب التنبيه عليها والتحذير منها.

(أ) مفاهيم صحيحة ينبغي أن يترى عليها الشباب المسلم:

١- ينبغي أن يترى الشباب المسلم على الأدب مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - ومع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عملاً بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [المجادلة: ١]، فيبدؤون بالشرع ثم يخضعون العقل له، فيقدمون الرواية على الدراية، والنص الشرعي على النظر العقلي، ويعتقدون أنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح، ويعتقدون بأن الأوائل الذين عاصروا التنزيل، واكتحلت أعينهم برؤية البشير النذير، كانوا أكثر دراية وفهماً للشرع الحنيف فالمعقول عندهم ما وافق هديه، والمجهول ما خالفه.

وهذه القاعدة الأولى من قواعد المنهج السلفي، وهي في الواقع أهم ما يميز أصحاب المنهج الصحيح والفكر السليم عن أصحاب المناهج المبتدعة التي تربى أبناءها على الخروج على سلطان الكتاب والسنة، وتقديم الآراء والأهواء وأقوال الشيوخ

والمعظمين على كلام الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو كلام رسوله ﷺ، وهذا المنهج كان واضحاً عند الصحابة رضي الله عنهم، يقول علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وقال عمر».

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الاحزاب: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٢- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ورفض التأويل الكلامي فظاهر الكتاب والسنة يجب القول به والمصير إليه حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد.

قال شيخ الإسلام: لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان:

أحدها- أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يُراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِي نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ومنه قول عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يتأول القرآن^(١).

(١) رواه البخاري (٣٤٩/٢) «صفة الصلاة»، ومسلم رقم [٤٨٤] «الصلاة».

والثاني- يراد بلفظ التأويل التفسير وهذا اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المشابه. فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون.

والثالث- أن يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى معنى آخر مرجوح يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ موافق لدلالة ظاهره، وهذا هو معنى التأويل عند المتأخرين، وتسمية هذا تأويل لم يكن في عرف السلف.

قال في موضع آخر: وطريقة التأويل طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم يقولون: إن ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يفهم منه، وهو إن كان لم يبين مراده، ولا يبين الحق الذي يجب اعتقاده، فكان مقصوده أن هذا يكون سبباً للبحث بالعقل حتى يعلم الناس الحق بعقولهم، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قلوبهم ليثابوا على ذلك، فلم يكن قصده لهم البيان والهداية والإرشاد والتعليم، بل قصده التعمية والتلبيس^(١).

٢- ومما ينبغي أن يتربى عليه شباب الأمة ألا يرفعوا أحداً من علماء الأمة إلى منزلة لا تنبغي إلا لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِالرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَنْهُنْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوْا﴾ [الحشر: ٧].

فرسول الله ﷺ وحده هو الذي نقبل كل ما قاله وما ذهب إليه، وندع ما خالفه، ومن دونه ﷺ من علماء المسلمين يؤخذ من قوله ويترك.

قال شيخ الإسلام: «إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ».

بهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، ومعرفة بمعانيها واتباعاً لها، تصديقاً وعملاً وحباً، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عادها^(١).

فينبغي أن يتربى الشباب المسلم على أن يكون حبهم للحق والسنة أكبر من حبهم للعلماء والمتبوعين، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم: «شيخ الإسلام حبيب إلى قلوبنا، ولكن الحق أحب إلينا منه» فأهل الحق والسنة هم أولى الناس برسول الله ﷺ يوم يدعى كل إنسان بإمامهم، فإنهم في الحقيقة لم يتخذوا إماماً دونه يأخذون كل ما جاء به ويدعون ما خالفه، فكل إمام عندهم من أئمة المسلمين يؤخذ من قوله ويترك، وكل كلام عارض عندهم الكتاب والسنة يضرب به عرض الحائط.

٤- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم محبة أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم وآل بيته الكرام فمن خصائص أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم والسننتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله - عز وجل - بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل،

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦-٣٤٧) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٢١/٧) «فضائل الصحابة»، ومسلم (٢٣/١٦) «فضائل الصحابة»، وأحمد (١١/٣).

ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»^(١).

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ^(٢) بل قد رضى الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة، وثابت ابن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلاثون بعثان، ويربعون بعلي رضي الله عنه، كما دلت الآثار ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.

وكذا حبة أهل البيت وموالاتهم، ومما يخص أهل بيت رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الاحزاب: ٣٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ٢٣].

وإجماع الأمة وتواتر الأخبار بشرع الصلاة عليهم في تشهد الصلاة فيجب لذلك حبهم، وتعظيمهم وتوقيرهم، واحترامهم والاعتراف بمناقبهم، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة، والتطهير، وأهل المناقب الجمية والفضل الشهير.

٥. ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم المحافظة على الجمعة والجماعات والأعياد ولا يدعونها لأوهى الأسباب.

قال شيخ الإسلام: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، ولا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم، فإن

(١) رواه البخاري عن علي رضي الله عنه (١٤٣/٦) «الجهاد».

(٢) رواه مسلم (٥٧/١٦) «الفضائل» عن أم مبشر الأنصارية وهي امرأة زيد بن حارثة.

كان الإمام مستورا لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره، بل ما زال المسلمون من بعد نبينهم يصلون خلف المسلم المستور، وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب ألا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب، كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سألته، ولم يقل أحمد إنه لا يصلي إلا خلف من عرف حاله.

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد شرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعاً، وجلده عثمان بن عفان على ذلك.

وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهماً بالإلحاد، وداعياً إلى الضلال^(١).

٦- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الاهتمام بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وأدلتها من الكتاب والسنة وكذا الاهتمام بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه، بوب الإمام البخاري في «صحيحه»: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٩]، فبدأ بالعلم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا قبل أن تسودوا»، وقال البخاري رحمته الله: «وبعد أن تسودوا، فقد تعلم الصحابة وهم كبار»^(٢).

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٠) باختصار.

(٢) «فتح الباري» (١/ ١٩٢) العلم.

وقالوا: إذا تصدر الحدث فاته خير كثير.

وقيل لابن المبارك: «إلى متى تطلب العلم؟ فقال: لعل الكلمة التي انتفع بها لم أتعلمها بعد». وقال الإمام أحمد: «حاجة الناس إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فالطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس».

وقال كذلك: «مع المحبرة إلى المقبرة».

وينبغي أن يعلم المسلم كذلك أن العلم هو ما قام عليه الدليل فهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الامة.

كما قيل:

العلم قال الله قال رسوله
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
قال الصحابة ليس بالتمويه
بين الرسول وبين قول فقيه

وقيل كذلك:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة
العلم ما كان فيه قال حدثنا
إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
وما سوى ذلك فوسواس الشياطين

٧- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، واعتقاد فضلهم، وحبهم في الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهداهم لنا خير من اجتهدنا لأنفسنا، ولا بأس بدراسة مذهب من المذاهب المتبعة بشرط عدم التعصب للمذهب، وأن يدور الطالب مع الحديث حيث دار، واعتقاد أن الأئمة مأجورون على كل حال، إما أجرًا كاملاً أو أجرًا ناقصاً، لأنهم بذلوا جهدهم في تحصيل أدوات الاجتهاد، وكذا تحري الحق في المسألة، لكن الواجب على طلاب العلم أن يكون اتباعهم لرسول الله ﷺ، فلم يتبعنا الله - عَزَّ وَجَلَّ - باتباع أبي

حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد - رحمة الله على الجميع -، ولكن تعبدنا باتباع رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والمضطر إلى التقليد الأعمى اضطرارًا حقيقيًا بحيث يكون لا قدرة له البتة على غيره، مع عدم التفريط لكونه لا قدرة له أصلًا على الفهم، أو له قدرة على الفهم وقد عاقته عوائق قاهرة عن التعلم، أو هو في أثناء التعليم ولكنه يتعلم تدريجيًا لأنه لا يقدر على تعلم كل ما يحتاجه في وقت واحد، أو لم يجد كفتًا يتعلم منه ونحو ذلك فهو معذور في التقليد المذكور للضرورة؛ لأنه لا مندوحة له عنه.

أما القادر على التعلم المفرط فيه، والمقدم آراء الرجال على ما علم من الوحي فليس بمعذور.

ولا يجوز لمن قلد إمامًا تقليدًا أن يقول هذا حلال أو حرام، لأن الحلال هو ما أحل الله على لسان رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة، والحرام ما حرمه الله ورسوله ﷺ، والمقلد لا يعلم هل أصاب إمامه حكم الله - عز وجل - أم لا، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٥٠]، فليس له إلا أن يقول: هذا رأي إمامي أو ما أفتى به إمامي.

٨- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم تعظيم حرمات المسلمين.

قال النبي ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(١). وقال ﷺ في أعظم محفل شهدته البشرية: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»^(٢).

(١) رواه مسلم [٢٥٦٤] «البر والصلة»، والترمذي (٨/ ١١٥) عارضة «البر والصلة».

(٢) رواه مسلم (٩/ ٨٢-١٨٤) «الحج»، وأبو داود (٥/ ٣٧٥-٣٧٧) «المناسك»، وابن ماجه (٢/ ١٠٢٥) «المناسك».

فلا يجوز للمسلم أن يستببح عرض أخيه لأدنى شبهة وكذا ماله ودمه، قال النبي ﷺ: «لَنْ يَزَالَ السَّرُّ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبِّ دَمًا حَرَامًا»^(١).

كان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى الكعبة ويقول: إن الله حرمك وشرفك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»^(٢).

قال ابن العربي: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالمسلم فكيف بالتقي الصالح^(٣).

٩- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم تحمل المسؤولية والمشاركة في العمل الجماعي: فإن الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - والعمل لإعزاز دينه ورفع رايته أكبر من أن يقوم بها فرد أو أفراد متناثرون ولكن الواجب على المسلمين التعاون والتضافر للقيام بالواجبات المفروضة على الأمة.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

يقول الأستاذ/ عباس محبوب: إن المسلمين في أغلب بلادهم قد نشئوا وتربوا على أساليب دكتاتورية في الحياة، وقد عجزت التربية السائدة عن القيام بدورها في تنشئة الشباب المسلم على تحمل المسؤولية وتقديرها، لأن النظام التربوي والسياسي لا يعطيان فرصة كهذه فالمعلم مقيد بنظم وأوامر مركزية تسلب منه حرية التصرف كمسلم تقي، وبالتالي تحمل المسؤولية، فينعكس ذلك على الطلاب الذين يتحركون وفق أوامر عليهم

(١) رواه البخاري (١٢/ ١٩٤) «الديات».

(٢) رواه البخاري (١٢/ ١٩٤) «الديات».

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ١٩٦).

تنفيذها، فلا تربي عندهم روح الشعور بالمسئولية والتقدير لها، والأهلية لها، ثم تحمل نتائجها مع أن التربية تضع في أول مهامها وواجباتها تعويد الطلاب على النظام والعمل، الذي يكون دافعه الشعور بالمسئولية، وهي تعني عند المسلم المسئولية أمام الله أولاً، ثم ولي الأمر ثانياً^(١).

١٠- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم حب الجهاد والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء، وإنما تروى بالدماء.

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: من المسائل الخطيرة والأمور الهامة التي يجب أن يهتم المربون بها ويوجهوا اعتناءهم الأكبر إليها تعميق روح الجهاد في نفسية الولد، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكره وقلبه ومشاعره ولاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام، وغربت شمس العزة الإسلامية عن الدنيا وأصبحت السيادة للطواغيت، واستلم زمام الأمور في أكثر بلاد الإسلام أناس لا هم لهم ولا غاية إلا أن ينفذوا مخططات أعداء الله والإسلام، سواء كانت هذه المخططات شيوعية، أو كانت استعمارية، أو كانت يهودية، أو كانت صليبية، فكان من نتيجة ذلك أن ألغيت الخلافة الإسلامية، واجتاحت المجتمعات موجات المادية الطاغية، وعواصف هوجاء من التحلل والإباحية، وتيارات متدفقة من الفكر الإلحادي، وأصبحت بلاد المسلمين هدفاً لكل طامع، وغاية لكل مريد، عسى أن يستعيدوا بجهدهم عز الإسلام ومجد المسلمين^(٢).

قال النبي ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(٣).

(١) «نحو منهج إسلامي في التربية» محاضرات الجامعة للعام الدراسي (١٣٩٦-١٣٩٧) ص [٣٨٥].

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ١٠٨٨) بتصرف.

(٣) رواه أبو داود [٣٤٤٥] «البيوع»، وقال الألباني: صحيح لمجموع طرقه الصحيحة رقم [١١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغُزْ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِه نَفْسُهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاقِ»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢).

١١- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم التنوع عن الفتوى:

قال ابن رجب رحمته الله: «ومن هذا القبيل - أي: طلب الشرف بالدين - كراهة السلف الصالح الجراة على الفتيا والحرص عليها والمسارة إليها والإكثار منها». قال علقمة: «كانوا يقولون: أجرؤكم على الفتيا أقلكم علماً».

وعن البراء قال: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة وما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه» وفي رواية: «فيرده هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون». وعن عمر بن عبد العزيز رحمته الله قال: «أعلم الناس بالفتاوى أسكتهم، وأجهلهم بها أنطقهم».

وقال سفيان الثوري: «أدركننا الفقهاء، وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من أن يفتوا، وإذا أعفوا منها كان أحب إليهم». وقال الإمام أحمد: «ليعلم المفتي أنه يوقع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسئول عن ذلك».

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان.

(١) رواه مسلم (٥٦/١٣) «الإمارة»، وأبو داود [٢٤٨٥ عون] «الجهاد»، والنسائي (٨/٦) «الجهاد».

(٢) رواه البخاري (١٣/٦) «الجهاد»، ومسلم (٢٧/١٣) «الإمارة».

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة، ويقول: «ما وجدت أحدًا تسأله غيري، وقال: قد تكلمت، ولو وجدت بدأ ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء».

وقال بعض العلماء لبعض المفتين: «إذا سُئِلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولاً»^(١).

١٢- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة قيمة الأوقات وتعميرها بالطاعات، فالوقت والنفس واللحظات والليل والنهار نعمة من أعظم نعم الله - عزَّ وجلَّ - على العباد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ﴾ (٣٣) وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ

[البقرة: ٣٣-٣٤]

فالله - عزَّ وجلَّ - سخر لنا الليل والنهار من أجل أن نعمر ساعاتها بالطاعات، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

قال بعض السلف: «من فاته طاعة الله - عزَّ وجلَّ - بالليل كان له من أول النهار مُستعْتَب، ومن فاته طاعة الله - عزَّ وجلَّ - بالنهار كان له من أول الليل مُستعْتَب».

وقال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»^(٣).

(١) شرح حديث ما ذُبحان جائعان لابن رجب الحنبلي [١٤] باختصار. ط. دار الفتح.

(٢) رواه البخاري (٢٣٣ / ١١) «الرفاق»، والترمذي (٢٣ / ٤) شاكر «الزهد».

(٣) رواه الترمذي (٢٥٣ / ٩) عارضة «صفة القيامة»، وقال: حسن صحيح وحسنه الألباني بشواهده في «الصحيحة».

وقد كان السلف عليهم السلام أحرص الناس على أوقاتهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها. قال رجل لأحد العلماء: قف أكلمك، فقال: أوقف الشمس، وكان بعضهم إذا جلس عنده الناس فأطالوا الجلوس يقول: أما تريدون أن تقوموا، إن ملك الشمس يجريها لا يفتري.

قال الحسن البصري: «أدرت أقوامًا كانوا على أوقاتهم، أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم».

وكانوا يقولون: «من علامة المقت إضاعة الوقت».

مات ابن لأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة فوكل بتغسيله ودفنه أحد جيرانه، لثلا يفوته درس من دروس شيخه أبي حنيفة رحمته الله.

١٣- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بواجبه بحسب القدرة والطاقة:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب خيرية هذه الأمة.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

فإنكار اليد واللسان بحسب القدرة والطاقة، وإنكار القلب واجب حتم، فإذا لم ينكر القلب المنكر دل على ذهاب الإيمان منه.

(١) رواه مسلم (٢٢/٢-٢٥) «الإيمان»، والترمذي (١٨/٩) «الفتن»، وأبو داود [١١٢٨]

«صلاة العيدين»، والنسائي (٨/١١١-١١٢) «الإيمان»، وابن ماجه [٤٠١٣] «الفتن».

سمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر. فقال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر.

فما هو الصراط المستقيم في القيام بهذه العبادة:

١- العلم: لا بد من العلم بالمعروف والمنكر، وكذا حال المأمور والمنهي.

٢- الرفق: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ»^(١).

٣- الصبر: قَالَ التَّجَالِي: ﴿وَأُمِّرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [النَّهْج: ١٧].

٤- النظر إلى المصالح والمفاسد: فإذا كان الأمر بالمعروف يفوت معروفاً أكبر أو ترتب عليه مفسدة أكبر يحرم الإنكار.

٥- الاستطاعة: قَالَ التَّجَالِي: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَيَقْلِبْهُ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

١٤- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة مراحل الدعوة إلى الله - عز وجل - والعبودية المطلوبة في كل مرحلة:

فحيث كان الصحابة الكرام مستضعفين بمكة لا دولة لهم ولا شوكة كانت العبودية في كف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتحمل الأذى، مع الاجتهاد في نشر الدعوة.

قَالَ التَّجَالِي: ﴿أَلْتَوَرَّ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النِّسَاء: ٧٧].

(١) رواه البخاري (٢٨٠ / ١٢) «الاستتابة»، ومسلم (١٤٦ / ١٦) «البر والصلة».

(٢) سبق تخريجه.

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الْحَاجَاتِ: ١٤].

ولما بايع الأنصار الكرام رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية أمر النبي ﷺ من كان بمكة بالهجرة إلى المدينة لإقامة الدولة الإسلامية وتقوية الشوكة، فصارت العبودية المطلوبة في هذه المرحلة في ترك الأهل والوطن والمال والهجرة إلى المدينة امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، ولما صار للمسلمين دولة وشوكة أذن في الجهاد والجلاد، وصارت العبودية في الجهاد والجلاد، وإراقة دماء الكفار وإزهاق أرواحهم، فالواجب على المسلم أن يكون بصيراً بزمانه فيحدد المرحلة التي تعيشها الدعوة، والواجب عليه في هذه المرحلة، فلا تحركه العواطف الهوجاء، بل ينبغي أن ينظر بعين الشرع لا الهوى، وأن يتحرك لإعزاز دين الله - عَزَّ وَجَلَّ - إذا تيقن أو غلب على ظنه أن فيما يقوم به فيه إعزاز لدين الله ورفع رايته.

وهذا أيضاً من البصيرة الواجبة في هذا الزمان حتى لا تضيع الجهود، وتزهق النفوس دون ثمرة يجنيها المسلمون إلا الولايات والانتكاسات، وإزهاق أرواح الشباب المسلم، رجاء مصالح متوهمة بدون مكاسب حقيقية، أو حتى نكاية بأعداء الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

١٥- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الثقة بنصر الله - عَزَّ وَجَلَّ - واليقين بوعد:

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الْحَاقَاتِ: ١٧٣].

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَكَاثَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّومِ: ٤٧].

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَإِنَّا لَا نَصِّرُهُ﴾ [٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [التَّحْقِيقِ: ٢٨].

فطبيعة الحرب بين أولياء الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأعدائه أن تكون سجلاً ينتصر المؤمنون في جولة من الجولات فتقوى شوكتهم وتزداد قوتهم، ويدال عليهم في جولة أخرى فيمحص الله ما في صدورهم، ويبتلى ما في قلوبهم، ويتخذ من شاء من الشهداء. ولكن الجولة النهائية لا بد أن تكون لأولياء الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والعاقبة في الدنيا والآخرة للمؤمنين وحزب الله الموحدين، لما حدثت الهزيمة يوم أحد، وظن الناس أن هذه آخر الجولات، وأن المسلمين لن تقوم لهم قائمة، قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، فالهزيمة يوم أحد لا يمكن أن تكون آخر الجولات: فسنة الله - عَزَّ وَجَلَّ - في عباده أن تكون العاقبة للمتقين والهلاك والدمار للكافرين والمكذبين.

والله - عَزَّ وَجَلَّ - قادر على إهلاك الكافرين والمكذبين كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِئَلُوا بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

فلا بد أن يتربى الشباب المسلم على الثقة بنصر الله، واليقين بوعده كما تربى الصحابة رضي الله عنهم، حتى دانت لهم المشارق والمغارب، ونظر الخليفة المسلم هارون الرشيد إلى السحابة في السماء، فقال: أمطري حيث تشائين فسوف يأتيني خراجك.

١٦- ومما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم معرفة الحضارة الإسلامية والمخططات اليهودية والنصرانية والماسونية التي تستهدف شباب المسلمين،

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: على المربين أن يعرفوا الولد منذ أن يعي ويميز الحقائق التالية:

(أ) خذوا هذا الإسلام وصلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة، لما يمتاز به من مقومات الشمول، والخلود، والتجدد، والاستمرار.

(ب) آباؤنا الأولون وما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عز وقوة وحضارة إلا بفضل

اعتزازهم بهذا الإسلام، وتطبيقهم لأنظمة القرآن.

(ج) الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام:

✽ المخططات الصهيونية الماكرة.

✽ والمخططات الاستعمارية الغاشمة.

✽ والمخططات الشيوعية الملحدة.

✽ والمخططات الصليبية الحاقدة.

هذه المخططات التي تستهدف بجماليتها محو العقيدة الإسلامية من الأرض، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والهدف البعيد والقريب من ذلك إخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الإسلام، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية، ثم بالتالي طمس معالم الإسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها إلى الإسلام!!

(د) الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ.

(هـ) وأخيراً يجب أن يعرف الولد أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل وأبي بن خلف، ولكن دخلناه بالرسول العربي - صلوات الله عليه - وأبي بكر وعمر.

ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك، ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد.

ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزى، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ومبادئ القرآن^(١).

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٢٨٦-٢٨٧).

١٧- ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على الخشونة والرجولة وترك التمتع والترفيه؛

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليمن قال: «إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمُ، فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيُسُوُّوا بِالتَّمَتُّعِينَ»^(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَسْمَعُونَ: أَنَّ الْبَذَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

والبذاة: هي رثاثة الهيئة، وقيل القشافة أي: التقشف.

وعن عبيد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتِكَ زائراً ولكني سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما أراك شعثاً وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه^(٣).

قال الخطابي: والإرفاة الإكثار من الزينة، والتدلل، والتدهن، والترجيل ونحو ذلك من أمر الناس، فأمر بالقصد في ذلك وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف فإن الطهارة النظافة من الدين^(٤).

قال الدكتور/ بدير محمد بدير ما ملخصه: «فطالبت السنة المطهرة بالتعود على التقشف لأن المتقلب في الترف والنعيم عندما يكبر يسترسل في الترف والملاذات، فيختار

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٣-٢٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية»، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٥٠)، وكذا المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٥٥)، وقالوا: رجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود [٤١٦١] «الترجل»، وابن ماجه [٤١١٨]، والحاكم (٩/ ١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٤١].

(٣) رواه أبو داود [٤١٦١] «الترجل»، والنسائي (٨/ ١٣٢)، وأحمد (٦/ ٢٢).

(٤) «معالم السنن» (٤/ ٢٠٨).

دائماً الطريق السهل، ولا يمكن أن يركب الصعب، وقد يهرب من المسؤولية ويجبن عند لقاء الأعداء بل قد يفر في معارك الرجال، وذلك لأنه نشأ نشأة لينية طرية لا رجولة فيها ولا خشونة، ولا صبر فيها ولا مصابرة، والأمة التي تنشئ جيلاً ناعماً لا يصلح لشدائد الحياة».

مرالنسيه يجرح خديه ولمس الحرير يدمي بندانه

(ب) مفاهيم خاطئة يتربى عليها الشباب المسلم ينبغي التنبيه عليها والحنر منها:

كثير من جماعات الدعوة في الساحة الإسلامية يربون أبناءهم على مفاهيم خاطئة، يظنون صحتها أو خطأها، ولكنها وسيلة توصلهم إلى الهدف الذي يهدفون إليه، وكونها وسيلة إلى هدف مشروع يكفي لأن تكون في ذاتها مشروعة، وهذا الظن ظن خاطئ، فالغاية لا تبرر الوسيلة، فمهما كانت الغاية مشروعة لا بد أن تكون الوسيلة كذلك مشروعة، ونحن لا نقصد بهذا المبحث التجريح بهم والطعن فيهم، فليس في ذلك مصلحة شرعية، وإنما نقصد النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، والله من وراء القصد ولذلك نكتفي بذكر هذه المفاهيم الخاطئة دون عزو إلى فرد أو جماعة اقتداء برسول الله ﷺ في قوله: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

١- فمن هذه المفاهيم الخاطئة التي تربى عليها بعض الجماعات من ينتسب إليها الاستهانة بأمر العقيدة،

فلا مانع من أن يضم صف الجماعة الجهمي والمعتزلي والصوفي. ما دام ولاؤهم لجماعتهم، وسمعهم وطاعتهم لقاداتهم، وليتهم يضمون هؤلاء الأفراد ذوي العقائد المخالفة ثم يتعلمون في داخلهم العقيدة الصحيحة، نتيجة لاهتمام الجماعة بأمر العقيدة، وتبنيها عقيدة السلف عليه السلام، فأى أمة تقام بهؤلاء الأفراد وقلوبهم شتى، وعقائدهم مختلفة شذر مذر، وهم مخالفون لأوجب الواجبات عليهم وهو معرفة الله - عَزَّ وَجَلَّ -

بالدليل، وإفراده تعالى بالعبادات، وكيف تأتلف قلوب هؤلاء الأفراد ويترابط هذا المجتمع مع اختلاف العقائد، ثم كيف تقوم بهم دولة الإسلام ويرفعون راية الملك العلام، مع هذه العقائد الباطلة المخالفة لعقيدة السلف عليهم السلام والخلافة حين تعود لا بد أن تعود على منهاج النبوة، فلا بد من جمع الناس على العقيدة الصحيحة، وتعميق الإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر في قلوبهم، وتحذير الأفراد وتحسينهم من العقائد الباطلة والأقوال العاطلة.

٢- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يرى عليها الشباب المسلم غرس بذور التقليد في قلوبهم وتربيتهم على التعصب لمذهب من المذاهب المتبعة بدلاً من تربيتهم على التعصب لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترك العمل بكل قول جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم بخلافه، مع أن الأئمة الأربعة دلوا الأمة على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترك أقوالهم إذا صح الحديث بخلافها، فقال الإمام الشافعي: إذ صح الحديث. فهو مذهبي، واضربوا بكتابي هذا عرض الحائط.

وقال الإمام أبو حنيفة: حرام على من لم يعرف دليلنا أن يتبع مذهبنا.

وأدهى من ذلك وأمر تربية الأفراد على الطاعة العمياء لقادة الجماعة، ويستدلون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(١).

ونسوا أو جهلوا أن طاعة الأمير مقيدة بطاعته الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو لرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - عَزَّ وَجَلَّ -.

ونسوا كذلك قول أبي بكر رضي الله عنه لما استخلف: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم».

(١) رواه البخاري (١٣/١١٩) «الأحكام»، ومسلم [١٨٣٤] «الإمارة»، واللفظ له وأوله: «من أطاعني فقد أطاع الله».

روى البخاري في «صحيحه» عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، وأمر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدت ناراً ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً فأوقدوا ناراً، فلما هموا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض.

فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً إنما الطاعة في المعروف»^(١).

٣. ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الشباب المسلم قولهم بأن كل مجتهد مصيب وأن الحق متعدد:

والحق أن الحق واحد لا يتعدد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَمَّ نَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَايِنًا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(٢)، فالمجتهد مأجور على كل حال، لأنه بذل جهداً في تحصيل أدوات الاجتهاد، وقصد الحق وبذل جهده في الوصول إليه، فإن وفق إلى الحق فله أجران وإن لم يوفق للحق فله أجر واحد وهو معذور.

أما استدلالهم على أن الحق متعدد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق»، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم^(٣).

(١) رواه البخاري (١٣/ ١٢٠) «الأحكام».

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٣٣٠) «الاعتصام»، ومسلم (١٢/ ١٣) «الأقضية»، وأبو داود (٣٥٥٧) «الأقضية».

(٣) رواه البخاري (٧/ ٤٧١) «المغازي».

قال الحافظ: «ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد فيستفاد منه عدم تأنيبه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كناية على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدل به الجمهور على عدم تأنيب من اجتهد، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعنف أحداً من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم»^(١).

٤- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قولهم لا إنكار في الخلافات:

فإن كانوا يقصدون المسائل الاجتهادية وهي التي لم يرد فيها بخصوصها نص، وكان مستند العلماء فيها القياس، أي يقيسون غير المنصوص عليه على المنصوص لتشابه بينهما فهذا حق، فلا ينكر عالم مجتهد على آخر في هذه المسائل الاجتهادية، ويجب على كل منهما أن يفعل ما أداه إليه اجتهاده، وكذا المسائل التي فيها نص غير واضح الدلالة، واختلفت فيه أنظار الفقهاء. أما المسائل التي وردت فيها نصوص من الكتاب أو السنة، والخلاف فيها غير سائغ فبعضهم يستدل بالأدلة الصحيحة الصريحة، والمخالف له يخالفه بقياس فاسد، أو باتباع للرأي والهوى، كمسألة التصوير، واللحية ومصافحة النساء، والسفر بغير محرم، فهذه ليست مسائل اجتهادية، والواجب على المسلم إذا بلغه الحكم من الكتاب والسنة أن يقول به ويذهب إليه، ولا يجوز أن يعارضه بقياس فاسد، أو خطأ مجتهد، فإذا اتبعت زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله، فتميع القضايا بهذه الطريقة يعود على جزء كبير من الشريعة بالهدم، وتصويب كل قول قاله عالم أو مال إليه فقيه ليس بصحيح، فهذه الأقوال قد تكون متعارضة فكيف يصح القول ونقيضه، فالله - عزَّ وجلَّ - ما تعبدنا باتباع كل عالم، ولكنه تعبدنا باتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال تعالى: **﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٨].

فكل من دلنا على حديث النبي ﷺ وأوقفنا على دليله من الكتاب أو السنة فنحن معه، وهذه منزلة الاتباع اللائقة بطلاب العلم، فلا يليق بطالب العلم التقليد، وكذا لا يجوز له الاجتهاد، لأنه لم يحصل أدوات النظر المباشر، فاللائق به أن ينظر في المسائل التي اختلف فيها ويتبع أكثرهم اتباعاً لرسول الله ﷺ، وأسعدهم بالسنة.

٥- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الشباب المسلم تقديم الآراء والأقضية الفاسدة على النصوص الصريحة الواضحة:

وهذا باب عظيم من أبواب الشر، وسوء أدب مع الله - عزَّ وجلَّ - ومع رسوله ﷺ لأنهم يعطلون بذلك ما يشاءون من نصوص الشريعة يعقوهم السخيفة وأفكارهم الرديئة، فإن كل قياس وإن كان حسناً من حيث النظر إذا صح الحديث بخلافه فهو مردود بالقادح المسمى فساد الاعتبار، وإنما يلجأ العلماء للقياس عند عدم النص، فهو كأكل الميتة للمضطر، وكما يقولون: إذا جاء الأثر بطل النظر، وإذا طلع الصباح أغنى عن المصباح.

٦- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها الأفراد في بعض جماعات الدعوة التعصب للجماعة وقادتها، وقطع الموالاة بينهم وبين أفراد بقية الجماعات:

وقد تكون هذه العصبية للجماعة ذريعة للوقوع في الجماعات الأخرى، أو لاستباحة أعراضهم بالغيبة والبهتان، وكذا تتبع العورات، واشتغال كل جماعة بعيوب الأخرى، فيكون التنازع والفشل وتضييع الجهود، وتمرص القلوب، وإن كانت هذه الآفة قد اختفت أو قل وجودها في بعض المناطق، فقد ظهرت في أماكن أخرى، والعجيب الغريب أن هذا التعصب موجود عند الجماعات التي تعتقد اعتقاد السلف، وتتهجج بهج السلف في فهم الكتاب والسنة، نتيجة لاختلاف اللافتات المرفوعة، فأسماء السلفية، وأنصار السنة، وأهل السنة، وأهل الحديث مسميات لمسمى واحد، وهم الذين يعتقدون اعتقاد

السلف، وينتهجون نهج السلف في فهم الكتاب والسنة، فلا ينبغي أن تكون هذه الأساء مدعاة للعصية والفرقة، وعلى الدعاة والمربين أن يربوا الناس على الولاء للجماعة الأولى جماعة الصحابة، ومن على شاكلتها عبر القرون، فتذوب بذلك هذه العصبية المقتية، إذا تربى أفراد هذه الجماعات التي تنتهج منهج السلف على الولاء للجماعة الأم، والمحبة لمن كان على هذا المنهج عبر القرون.

٧- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يتربى عليها بعض الأفراد في بعض جماعات الدعوة تقسيم الدين إلى قشور ولباب.

وهذا التقسيم من أجل إهمال ما أسموه بالقشور، بحجة أنهم مشغولون باللباب، وهذا التقسيم متهاافت لا دليل عليه من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ. بل الأدلة من الكتاب والسنة على خلافه. **قَالَ تَجَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البَقَّة: ٢٠٨]**، أي: في كل شرائع الإسلام، وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»^(١).

يقول الدكتور عمر الأشقر: «ومن هنا يجب الاعتناء بفعل الأعمال التي فرضها الله علينا أو حجب إلينا فعلها وترك ما نهى عنه من أعمال، لأن ذلك جزء من الإيمان، فالعمل المتروك وإن كان قليلاً ينقص من الإيمان بذلك المقدار، ومن هنا يجب أن يتنبه الذين يهونون من شأن العمل بسنة الرسول ﷺ والتزامها إلى خطورة موقفهم، وقد يتعدى بعض هؤلاء طوره فيصف أموراً من السنن أو الدين بأنها قشور ونسأل الله أن يعفو عن هؤلاء، فإن الدين كله لباب لا قشور فيه، وإن تفاوتت أمور الدين في الأهمية، ولا يفهم من قولنا هذا أننا لا نعتني بالأولويات في العلم والعمل والدعوة إلى الله، فهذا أمر ينبغي أن يكون مقررًا ومعلومًا، ولكن الذي ننكره هو ترك الجزئيات، ولوم الذين يلزمون أنفسهم بالصغير والكبير من أمر الإسلام، وسنة المصطفى ﷺ، وكم

يؤثر في نفسي مشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن ودخل عليه شاب وقال لعمر قولاً حسناً، فلما أدبر ذلك الشاب ليخرج، وكان ثوبه طويلاً دعاه عمر، وقال: يا ابن أخي قصر ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأرضى لربك. لم يمنعه ما هو فيه (الموت) أن يرشد الرجل إلى أمر يعده كثير من الناس اليوم من القشور التي لا يجوز أن يعنى بها^(١).

٨- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول أحد المفكرين المعاصرين المنظرين لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة يقول تحت عنوان: «الطريق إلى الصحة والنصر بإذن الله»:

«وبقدر ما ينجح المسلمون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل السياسي، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل التربوي والتعليمي، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في الشؤون المالية والاقتصادية، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في كل اختصاص بقدر ما ينجحون بهذا كله يكون ثقلهم حقيقياً، وبقدر ما يخفقون في هذا كله أو شيء منه فإن الغثائية فيهم ستستمر».

وهذا كلام منسلخ من الأدلة، وما هو إلا اتباع الظن، والظن كما قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿لَا يُغْنِي عَنْكَ الْحَقُّ شَيْئاً﴾ [الحجرات: ٢٨]، وأين هذا من هدى النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة الدولة الإسلامية، وتربية أصحابه بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، هل زج بالصحابة الكرام في تعلم المهارات السياسية، أو تعلم الاقتصاد حتى يكون لدعوته ثقل، أم رباهم بالتوحيد وسقاهاهم القرآن المجيد، وقام وقاموا معه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [الزُّمَر: ٢٠]، والذي يستغرب في هذا المنهج هو الاهتمام بالسياسة والاقتصاد وإهمال تعلم العقيدة، والارتقاء بأحوال الناس الإيمانية، والتربية على البذل والجهد وحب الاستشهاد، والاهتمام بالعلوم

(١) العقيدة في ضوء الكتاب والسنة «العقيدة في الله» [١٨] ط. مكتبة الفلاح، ودار النفائس، وانظر كذلك رسالة «بدعة تقسيم الدين إلى قشور ولباب» لمحمد أحمد بن إسماعيل حفظه الله.

التجريبية، وإهمال العلوم الشريفة الشرعية، وكلماتهم التي تتردد دائماً نحن نحتاج إلى الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، وهذا حق ولكن حاجتنا إلى العالم المسلم، والمربي المسلم، والمجاهد المسلم أشد.

وأترك الرد على هذا الفكر لصاحب المعالم والظلال رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: «حقيقة ما ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض، وفي كل جيل أن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة، وليس شيئاً آخر على الإطلاق، إن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة، إنها ليست معركة سياسية، ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها أو سهل حل إشكالاتها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة، إما كفر وإيمان، إما جاهلية وإسلام، ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله ﷺ المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد وهو أن يدع معركة العقيدة، وأن يداهن في هذا الأمر، ولو أجابهم - حاشاه - إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق».

إنها قضية عقيدة، ومعركة عقيدة، وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم، فإنه لا يعاديهم إلا لهذه العقيدة: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [النِّسَاء: ٨]، ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع^(١).

فرحمة الله على صاحب الظلال والمعالم الذي بذل عمره وجاد بروحه من أجل أن تتضح قضية من قضايا التوحيد، وهي أن الحكم من صلب العقيدة، ومن تمام التوحيد، فالحكم بغير شرع الله كفر والرضا بالكفر كفر ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُونُس: ٤٠].

(١) «معالم في الطريق» لسيد قطب رَحِمَهُ اللهُ ص [١٨٥-١٨٦] دار الشروق.

٩- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم الغلو والتنطع واتباع العاطفة الهوجاء التي لا تنضبط بضوابط الكتاب والسنة فيخرجون من الإسلام ويحكمون بالكفر على من تلبس ببعض المعاصي الظاهرة، وإن كانت هذه المعاصي لا تنافي أصل التوحيد، ولا يستحلها أصحابها.

وقد قال الطحاوي رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله...»^(١)، فالمعاصي بمجرد أنها لا تدل على خروج صاحبها من ملة الإسلام ودخوله في الكفر، وقد قال النبي ﷺ لمن لعن من شرب الخمر: «لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يجب الله ورسوله...»^(٢)، فالمعاصي لا تنافي أصل الإيمان، ولكن تنافي كمال الإيمان.

وقال الطحاوي رحمه الله كذلك: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه...»^(٣) فقد جعل الله - عزَّ وجلَّ - للإسلام باباً وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن فعل فعلاً أو قال قولاً يتنافى مع هذا الإقرار السابق يخرج به من ملة الإسلام إلى ملة الكفر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»^(٤).

(١) «شرح الطحاوي» (٢/ ٤٣٢) لابن أبي العز بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط. ط. الرسالة.

(٢) رواه البخاري (١٢/ ٧٧٩) «الحدود» رقم [٩٧].

(٣) «شرح الطحاوية» (٢/ ٤٥٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة».

وقال عليه السلام: «يُخْرَجُ مِنَ التَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله: «ولكن التشدد والتطرف الذي هو آفة الآفات، وغاية الشرور، وسبيل هدم الدين وتمزيق جماعة المسلمين هو الغلو في التكفير، والتنطع بإخراج المسلم عن الإسلام بالمعصية التي لا تبلغ درجة الكفر، واستحلال دمه وماله بذلك، وهذا النوع من الغلو هو الذي فرق أمة الإسلام على عهدها الأول، ففي طريقه استحلت طائفة من المسلمين دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، زاعمين أنه لا يسير على طريقة الشيخين، واستحلوا بعد ذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٢).

١٠- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يرمى عليها بعض الشباب المسلم التهور الحركي، وسرعة الانجراف على عمليات بائسة يائسة، لا يجني الإسلام والمسلمون منها إلا الويلات والانتكاسات، ولا يحصل بها المقصود من عز الإسلام والمسلمين، بل تستأصل بسببه الدعوة، ويذهب الدعاة خلف الأسوار، لا يتنفع بهم ولا ترتفع بهم راية الإسلام أو يستهان بدمائهم فلا يبقى لهم عين ولا أثر.

عن سليمان بن علي الربيعي قال: «لما كانت الفتنة - فتنة ابن الأشعث - إذ قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نظرائهم فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل وفعل؟ قال: وذكرنا من فعل الحجاج. قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تك عقوبة من الله، فما أنتم

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤٨١-٤٨٢) التوحيد، ومسلم [١٩٣] الإيمان مطولاً.

(٢) «فصول من السياسة الشرعية في الدعوة» [١٢٥-١٢٦] باختصار.

برادي عقوبة الله بأسيا فكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العليج. قال: وهم قوم عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث فقتلوا جميعاً^(١).

عن الحسن قال: «لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه فوالله ما جاءوا بيوم خير قط»^(٢).

ولا شك في أن تجربة الجزائر خير شاهد على أن هذه الشجرة لا تثمر إلا الحنظل، والمتبع لتاريخ الإسلام عبر القرون يزداد يقيناً بأن هذه الطريق كلها دماء وأشلاء؛ وليس فيها خير للإسلام وأهله.

بل تعتمد بعض الحكومات الجائرة والسلطات الجاهلية إلى افتعال مثل هذه الأفاعيل وبالإعلام الفاجر الكاذب يوهمون الدهماء والعامّة أنه من فعل الجماعات الإسلامية، حتى يبرروا استئصال النبت الإسلامي، وتشويه الصحوة، وضرب الحركة، وهذا تطرف حركي في هذه الدعوات كما أن الغلو في التكفير تطرف عقدي.

١١- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يرى عليها بعض الأفراد في إحدى جماعات الدعوة أن إنكار المنكر واجب باليد ولو ترقب على الإنكار منكر أكبر.

وهذا القول لا شك منكر يجب إنكاره، ولا يقوله من له أدنى حظ من العلوم الشرعية، لأن الشريعة أتت لتحصيل المصالح وتكثيرها وتقليل المفسد وإعدامها والواجب في كل حال من الإنكار هو إنكار القلب كما سمع ابن مسعود رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ومن لم ينه عن المنكر. فقال: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. وقال: يوشك من عاش منكم أن يرى منكراً لا يستطيع له غير أن يعلم الله من

(١) «طبقات ابن سعد» (١٦٣-١٦٤) ط. دار صادر.

(٢) «طبقات ابن سعد» (١٦٣/٧).

قلبه أنه له كاره، والأدلة على إبطال هذا القول كثيرة شهيرة، فمن ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فأنكر عليه الصحابة عليهم السلام ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه شرع في المفسدة ولو ث جزءاً من المسجد فلو أنكر عليه لما استطاع أن يقطع بوله ولأدى ذلك إلى تلوث أماكن أخرى من المسجد، وكذا لما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم اقتل ابن أبي المنافق فقال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

فتحمل النبي صلى الله عليه وسلم غدرات ابن أبي وإن كانت مفاصد، خشية هذه المفسدة العظمى، وهي أن يقول الناس: إن محمداً صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه.

١٢- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول بعض قيادات إحدى الجماعات الإسلامية وهي كالقانون عندهم، لا نتكلم في أمراض الأمة، ولا شك في أن هذا من أمراض هذه الجماعة، وعلامات بعدها عن هدى الرسل فإن من هدى الرسل معالجة أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وطاعة العزيز الحميد، فهذا شعيب - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - يقول لقومه:

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَوفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٨-١٨٣].

وقال لوط عليه السلام لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْبَنَاتِ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨٠-٨١].

[الأنعام: ٨٠-٨١]

فالرسل الكرام يعالجون أمراض الأمة بالإضافة إلى دعوتهم إلى التوحيد، وإذا تركت الأمراض تنخر في عظام الأمة فقد تقضي عليها، فلا ينفعها نصح الناصحين ووعظ الواعظين، وتحق الكلمة عليهم أنهم من أصحاب الجحيم.

١٣- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول بعض قادة إحدى جماعات الدعوة التي تستهين بطلب العلم، إن الصحابة لم يكن فيهم من العلماء إلا أربعة.

وهذا من الجهل البليغ والغفلة الشنيعة ولعلمهم يستدلون بحديث البخاري: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»^(١).

قال الحافظ: «ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوا وأزيد منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدم في (غزوة مؤتة) أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يُقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلاً»^(٢).

ولعلمهم بذلك يبررون إعراضهم عن العلم، وعزة العلماء فيهم، وتصدر من هو حديث عهد بالطاعة والعبادة للدعوة، وفاقد الشيء لا يعطيه، والدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا بد أن تكون على بصيرة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، ومن تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

١٤- ومن هذه المفاهيم الخاطئة قول أحد أئمة بعض الجماعات الإسلامية: أصل الأصول الحب في الله.

وهذا لا شك إهدار لفضل التوحيد، وجهل بالدين المجيد فأصل الأصول هو التوحيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

(١) رواه البخاري (٦٦٢/٨) «فضائل القرآن».

(٢) فتح الباري (٦٦٣/٨) وقوله في «غزوة مؤتة» الصحيح «حادثة بئر معونة» كما هو ثابت في السيرة.

فما أمرت الرسل بأمر قبل التوحيد، ولا نهت عن شيء قبل الشرك، وكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد ولا تجعل التوحيد نصب عينها فهي دعوة على غير هدى المرسلين.

والحب في الله ثمرة من ثمرات محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والمحبة عبادة قلبية، وهي جزء من التوحيد، لا يكفي لدخول الجنة والنجاة من النار، فمن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

والقلب في سيره إلى - عَزَّ وَجَلَّ - مثله مثل الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فإذا سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران وإذا قطع الرأس مات الطائر وإذا كسر الجناحان أو أحدهما صار عرضة لكل صائد وكاسر.

١٥- ومن المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم عدم الاهتمام بالهدى الظاهر واعتباره من سفاسف الأمور التي لا ينبغي الاشتغال بها فيعطلون بذلك نصوصاً كثيرة: كالأمر بإعفاء اللحي وحف الشوارب، وكذا النهي عن التشبه بالكفار، واتباع سنتهم، وكذا إهمال النساء أوامر الحجاب الشرعي، وما دروا أن صلاح الظاهر هو عنوان صلاح الباطن وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه».

الواجب على المسلم أن يدخل في جميع شرائع الإسلام، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فالواجب على المسلم أن يتقوا ظاهره وباطنه لشرع الله، وأن يعظم شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

وإصلاح الظاهر لا يشغل بحال من الأحوال عن إصلاح الباطن، بل يعين عليه، ويدفع إليه فمهما كان العبد ملتزماً في الظاهر بشرع الله فإنه يستحي من المخالفات

الظاهرة، لأنه ينتسب في الظاهر للشرع المتين، وقد حكى أحد الدعاة وفقه الله أن رجلاً أخبره أنه كان يريد أن يقترب من معصية معينة وكان المانع له من هذه المعصية وجود اللحية في وجهه، فسول له الشيطان حلق لحيته، فلما حلقها قارف المعصية ولم يجد ما يحجزه عنها، فنسأل الله السلامة والعافية.

١٦- ومن هذه المفاهيم الخاطئة التي يرى عليها بعض الشباب المسلم عدم التوازن في تحصيل العلوم الشرعية فقد يصل طالب العلم إلى أدق مسائل علم التجويد والقراءات وهو جاهل بالتوحيد أو فقه العبادات، كما يتعمق بعض الطلاب في علم الحديث حتى يظن أنه في رتبة شعبة وسفيان، وهو بعد لم يحصل القدر الواجب من العلوم الشرعية، فهو جاهل بالتوحيد والفقه والتفسير فدراسة العلم بهذه الطريقة غير المتكافئة قد توقع الطالب في شيء من العجب أو الكبر، وتظهر هذه الآفات في كتب المتعلمين الذين يوهمون الأئمة ويزاحمون كبار المحققين بأقوالهم واجتهاداتهم فيقول الواحد منهم: وهم يحبى، وفي الغالب هو الواهم فليس بالأمر الهين توهيم هؤلاء العلماء وتخطئتهم، لأنهم جبال في الحفظ والإتقان، ولعل المتعالم اختلط عليه راو باسم راو آخر في نفس الطبقة، أو صحح حديثاً بظاهر السند والحديث معلول عند العلماء، وعلى كل حال الواجب على طالب العلم أن يكون متوازناً في تحصيل العلوم الشرعية، وأن يبدأ بالأهم فالأهم.



[٢] التربية الإيمانية

ويقصد بها العمل على زيادة الإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - واليوم الآخر، وتعميق معاني الإيمان، والارتقاء بالقلوب حتى تجدد حلاوة الإيمان، وتحب طاعة الرحمن وتنأى عن الفسوق والعصيان، وانظر طريقة القرآن في تعميق الإيمان بالآخرة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، كان القرآن المكي يقرر ويكرر أمور الآخرة على قلوب الصحابة رضي الله عنهم، حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعيني رؤوسهم، فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون طلباً لجنة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورغبة في رضاه، فتارة يخبر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالآخرة خبراً مؤكداً كما قال التعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]، وتارة يقسم الله - عَزَّ وَجَلَّ - بوقوعها كما قال التعالى: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْجَأَتِ وَقْرًا ﴿٢﴾﴾ [التوبة: ١٥-١٦].

وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها كما قال التعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سج: ٣].

وتارة يذم الله - عَزَّ وَجَلَّ - المكذبين بها كما قال التعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْثُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وتارة يمدح المؤمنين بها كما قال التعالى: ﴿لَيْسَ إِلَٰهٌ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَٰهَ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وتارة يخبر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بقرب القيامة، كما قال التعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿١﴾ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا﴾ [الحج: ٦-٧]، ﴿وَمَا يَذْكُرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأنعام: ٦٣].

فالإيمان كما قرر السلف يزيد وينقص، يزيد بكثرة الأدلة وقوتها، وينقص بالجهل، والغفلة، والمعاصي، ومهما ازداد الإيمان يسهل على العبد الطاعات والبعد عن المعاصي

والعثرات، ومهما نقص الإيمان تعثر العبد في الخطيئات، وسقط في الظلمات، وأعرض عن رب الأرض والسموات قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...»^(١)، فكان ما يميز القرآن المكي الإكثار من ذكر الآخرة، وكذا اشتماله على القصص القرآني الذي يتسلى به الصحابة الكرام وهم يعانون أشد ألوان العذاب بمكة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعني سورة المدثر، وهي ثاني سورة نزولاً، وفيها يقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأُنْفُورِ ﴿٨﴾ [المدثر: ٨]، وَقَوْلُهُ - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿٣١﴾ [المدثر: ٣١]، وَقَوْلُهُ - جلَّ وعَلا -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْعَجْرِينَ ﴿[المدثر: ٣٨-٤١]، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولو نزل: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً.

وأُنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب: ﴿بِئْسَ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة.

ومأربى الله - عزَّ وجلَّ - به الإيمان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فرض قيام الليل في ابتداء الدعوة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: فرض الله - عزَّ وجلَّ - على نبيه ﷺ قيام الليل، فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولاً كاملاً، واحتجز الله - عزَّ

(١) رواه البخاري (٣٣/١٠) «الإشربة»، ومسلم (٤١/٢) «الإيمان».

قال النووي: القول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: «لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا الآخرة» - «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤١/٢).

وَجَلَّ - خاتمة السورة اثني عشر شهراً، ثم نزل بعد ذلك التخفيف^(١).

وإنما قصدت ﷺ الأمر بقيام الليل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ ۖ قُمْ أَيْلًا ۖ قَلِيلًا ۖ ۝٢ يَصْفَهُ ۖ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝﴾ [الزمر: ١-٤]. وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي إِلَيَّلٍ وَخُمُسَهُ ۖ وَثُلُثَهُ ۖ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ ۖ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۝﴾ [الزمر: ٢٠]، أليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل الحدود، ولئن قال الإمام البخاري: «العلم قبل القول والعمل، واستدل بقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكِ﴾ [محمد: ١٩]، فلقد قال الصحابة رضي الله عنهم ما هو أبلغ من ذلك، هو أن الإيمان قبل العلم، وقبل العمل.

روى الحكم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن».

وكان الواحد منهم يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله - عزَّ وجلَّ -، فهكذا تربي الإيمان في قلوب الصحابة حتى صار أرسخ من الجبال، وأعلى من السحاب، وظهرت بركات هذا الإيمان في مواقفهم الإيمانية فكانت على أعلى مستوى في البذل والتضحية في سبيل الله - عزَّ وجلَّ - وصدق الأخوة وصدق التوبة والولاء والبراء والصدق مع الله - عزَّ وجلَّ - ومع رسوله ﷺ، وكان من بركات هذا الإيمان كذلك انتصارات في كل ميدان، وعلو ورفعة وعزة في الدنيا والآخرة، ولا شك في أن أعمال القلوب وعباداتها أجل وأعلى من أعمال الجوارح فالإخلاص والصدق والتوكل والمحبة أعلى من أعمال الجوارح، بل هي ثمرة لأعمال الجوارح، ولا يتفجع العبد

(١) رواه مسلم (٢٦/٦) «صلاة المسافرين»، وأحمد (٥٤/٦)، وأبو داود (١٣/٨) عون «قيام الليل»، والنسائي (١٩٩/٤) «قيام الليل».

بطاعات جوارحه حتى يكون الباعث لها الإخلاص والمحبة وغير ذلك، وبالأحوال الإيمانية والأعمال القلبية فاق الصحابة رضي الله عنهم من هم أكثر منهم صلاة وصياماً واجتهاداً كما قال ابن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهدي في الدنيا وأرغب في الآخرة.

كان في التابعين ثلاثون تابعيً لو قيل لأحدهم القيامة غداً لما استطاع أن يزيد شيئاً، ولكن الصحابة كانوا أفضل منهم، لما تقرر في قلوبهم من معاني الإيمان، وما تهيأ لهم من الأحوال، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيض عليهم مما أفاض الله - عزَّ وجلَّ - على قلبه من الأحوال الشريفة والمعاني اللطيفة والمعارف القلبية.

قال أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا^(١)، فبمجرد أن فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسوا بتغير القلوب، ولذا ندب العلماء إلى مجالسة العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين.

فصحبة الزهاد والعباد ترغب في الزهد والعبادة، وصحبة البطالين أهل الشهوات والغفلات تسكب في القلوب الغفلة والشهوة، كما يقال: المجالسة سبب المجانسة، فمن جالس المسرورين سرى إلى نفسه السرور، ومن جالس المحزونين سرى إليه الحزن، ويقولون كذلك بأن النفس كالريح إذا مرت بالطيب حملت منه وإذا مرت بالخبث حملت منه فنسأل الله أن يطيب قلوبنا بمحبته، وجوارحنا بطاعته، وأن يوفقنا لمجالسة الصالحين من عباده، ويؤهلنا لدخول الجنة، والنجاة من النار.

(١) رواه الترمذي (١٣/ ١٠٤-١٠٥) «المناقب»، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه [١٦٣٠] «الجنائز»، والحاكم (٣/ ٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، وأقره الذهبي وصححه الألباني.

فالتربية الإيمانية هي الارتقاء بالأحوال الإيمانية لشباب الصحوة وتغذية شجرة

الإيمان في قلوبهم، وإنما يتم ذلك - إن شاء الله - بأمور:

١- منها تعميق معرفتهم بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته:

فكلما ازداد علم العبد بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته يزداد حباً لله - عَزَّ وَجَلَّ -، وتوكلاً وخشية وإناية، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [قَطَا: ٢٨]، وقال النبي ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»^(١)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً».

وقيل للإمام الشافعي يا عالم: فقال: إنما العالم من يخشى الله.

فمهما علم العبد من صفات ربه الجليل - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يزداد إيماناً بأنه أهل أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يُكفر، فالنفس مفطورة، على محبة الكمال والجمال، وكذا محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وإذا تدبر العبد في أسماء الله - عَزَّ وَجَلَّ - وصفاته علم أن أسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأنه - عَزَّ وَجَلَّ - هو وحده المتصف بصفات الربوبية كخالق والإماتة والإحياء والتربية بالنعم وهو - عَزَّ وَجَلَّ - هو وحده الذي يجب التحاكم إليه، والرضا بحكمه، والكفر بكل حكم يخالف حكمه، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يُونُس: ٤٠].

وكذا هو وحده المستحق لكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، فإنه وحده الإله الحق وما سواه آلهة لا تستحق عبادة من العبادات لأنه وحده الذي اتصف بصفات الربوبية وبالأسماء الحسنى والصفات العلا، ولأنه وحده القادر على جلب جميع المنافع لعباده، ودفع جميع المضار، وهو الذي تأله القلوب، وتنجذب إليه محبة وتوكلًا وإناية وخشية.

(١) رواه البخاري (٥١٣/١٠) «الأدب»، ومسلم (١٠٦/١٥) «الفضائل»، وأحمد (١٨١، ٤٥/٦).

قال النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها أو قيامه بعبوديتها فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباد، واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له، مطرقًا واقفًا بين يديه، وقوف العبد الدليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه، معروض عليه، مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم، كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإمامة والإحياء، والتولية، وتقلب الدول، ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء: ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [التجدة: ٥]، فمن أعطى المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، ولا قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواتمه وإرادته، وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء وكذلك إذا أشهد قلبه

(١) رواه أحمد [٢٨٦-٢٨٨]، والترمذي (٩/٣١٩-٣٢٠ عارضة) «أبواب صفة القيامة»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأصح طرق الحديث طريق حنش الصنعاني التي أخرجها الترمذي وهو إسناد حسن لا بأس به.

صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه الأصوات على كثرتها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد. كما أن خلق الخلق جميعاً وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة^(١).

وقال الدكتور ضياء الدين الجماس: «إن التفكير الدائم المستمر بأسماء الله تعالى وفهم معانيها يجعل القلب محباً لهذه الذات العظيمة الكاملة الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي، فالمفكر في هذه الطريق سيشعر بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود مرات ومرات، حتى يُجِلَّ الله ويعظمه، ومن يجِلُّ الله يغفر له فيصفو قلبه، ويشعر بالقرب من حضرة الله، لا أقول قرب مكان، بل مكانة ومعرفة ومحبة».

وفي الحديث الشريف: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ مَاشِيًا أَقْبَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَهْرُولًا»^(٢)، والله أعلى وأجل.

وهكذا تكون العلاقة الرائعة الجميلة بين العبد وربّه، لينقله من الإيمان إلى التقوى فالإحسان^(٣).

٢- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان تلبر القرآن وأحاديث النبي ﷺ فإن من صفات المؤمنين أنهم يزدادون إيماناً بسماع القرآن وتلاوته، قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

(١) نقلاً عن «معارج القبول» (٥٨/١) لحافظ أحمد. ط. السلفية.

(٢) رواه مسلم (١٢/١٧) «الذكر والدعاء وحسن الظن». قال النووي: والباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، وقال الباجي: وهو أربعة أذرع «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/١٧).

(٣) «التفكير في الأسماء طريق العلماء» [١٩] ط. دار الهجرة.

وَقَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

ولذا ندبنا الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلى قراءة القرآن وسماعه وتدبره فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال العلامة السعدي - عليه رحمة ربنا العلي -: «إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن، ومعارفه، ما يزداد به إيماناً كما قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].»

وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضاً ويوافق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف تيقن أنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزْيِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه من التناقض والاختلاف أموراً كبيرة، قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهذا من أعظم مقويات الإيمان يقويه من وجوه كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة، والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير فكيف إذا أحسن تأمله، وفهم مقاصده وأسارته، ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [الأنفال: ١٩٣]، وكذلك معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله، وكلها من محصلات الإيمان ومقوياته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسنة رسوله ﷺ ازداد العبد إيماناً و يقيناً.

فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة للإيمان، والمقوية له، قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فاستخرج بركة القرآن - التي من أهمها حصول الإيمان - سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها، كما ذكر أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع المعتدي على الدين من اعتدائه.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ أَلَمْ يَذَبُرُوا الْقَوْلَ ﴾ [البُحُور: ٦٨]، أي: فلو تدبروه حق تدبره لمنعهم مما هم عليه من الكفر والتكذيب، وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به.

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿ بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ﴾ [يُونُس: ٣٩]، أي: فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه لمنعهم من التكذيب، وأوجب لهم الإيمان^(١).

٣- ومما يتربى به الإيمان في قلوب شباب الإسلام معرفة النبي ﷺ، وقد كان يكفي من عاصره ﷺ أن ينظر في وجهه الكريم فيرى علامات الصدق ودلائل النبوة كما قال حسان:

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وكما حدث من عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكان حبراً من أحبار اليهود، فلما هاجر النبي ﷺ إلى طيبة الطيبة، ذهب ونظر إلى وجهه ثم قال: «أشهد بأن وجهك ليس بوجه كذاب»، ودخل في الإسلام. وصار من خيار أصحاب النبي ﷺ وبشره النبي ﷺ بالجنة دار السلام، فمعرفة النبي ﷺ وما جبل عليه من الأخلاق الكريمة، وما أيده الله - عزَّ وجلَّ - به من المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، ومعرفة سيرته ﷺ، وما أيده الله - عزَّ وجلَّ - به من الانتصارات، والعصمة من الناس، ومن المحبة في قلوب أتباعه، فكل ذلك مما يزيد إيماننا بالله - عزَّ وجلَّ - وبرسوله ﷺ، كما قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [البُحُور: ٦٩].

(١) «باختصار من التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ/ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي (١٠٨/٣-١١١).

فمعرفة توجب الإيمان به وتصديقه ﷺ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْفًى وَفَرْدًى ثُمَّ نَنْفَكُوا مَا يُصَاحِبُكُمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سَبَأ: ٤٦].

فدراسة السيرة النبوية والمعجزات، ودلائل النبوة، ومعرفة شرف نسبه ﷺ، وأخلاقه وهديه، من أعظم أسباب زيادة الإيمان^(١).

٤- ومما يتربى به الإيمان في قلوب شباب الصحوة دراسة محاسن الإسلام:

إذا تدبر العبد محاسن الإسلام، وعلم أنه دين الله الخالد الذي ارتضاه للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ازداد إيمانه بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وبرسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [الزمر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٨٥].

ولما أكمل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على نبيه ﷺ الدين، وتم التشريع، نزل قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمهما تدبر العبد محاسن الإسلام، علم أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لم يأمر بأمر إلا وفيه صلاح عاجل أو آجل.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

يقول الشيخ عبد العزيز محمد السلمان: «كلما تدبر العاقل اللبيب أحكام الإسلام قوي إيمانه وإخلاصه، وعندما يتأمل ما يدعو إليه هذا الدين القويم يجده يدعو إلى

(١) باختصار وتصرف من «شجرة الإيمان» للمؤلف [٤١-٤٣].

مكارم الأخلاق، يدعو إلى الصدق، والعفاف، والعدل، وحفظ الجوار، وإكرام الضيف، والتحلي بمكارم الأخلاق، يدعو إلى تحصيل التمتع بلذات الحياة في قصد واعتدال، يدعو إلى البر والتقوى. وينهى عن الفحشاء والمنكر والإثم والعدوان، لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالخير والفلاح، ولا ينهى إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد^(١).

٥- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الشباب التفكير في مخلوقات الله - عزَّ وجلَّ -:

قَالَ الْعَجَّالِيُّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الْعَنْزَلِيُّ: ١٩٠].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في إيجادهما على ما هم عليه من الأمور المدهشة، تلك في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح، والخواص ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: في تعاقبها، وكون كل منهما خلفه الآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها أو في تفاوتها بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر، وانتقاصه بازدياده ﴿لَآيَاتٍ﴾ أي: لأدلة واضحة على الصانع، وعظيم قدرته، وباهر حكمته، والتنكير للتفخيم كماً وكيفاً، أي: كثيرة عظيمة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: لذوي العقول المجلوة بالتركيز بملازمة الذكر دائماً كما قَالَ الْعَجَّالِيُّ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقَتْ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ فِقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الْعَنْزَلِيُّ: ١٩١]، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله، المفيد صفاء الظاهر، المؤثر

(١) باختصار وتصرف من رسالة «محاسن الدين الإسلامي» [٥-١٢] الطبعة الثانية.

وانظر: لمزيد من الفائدة رسالة «محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه» لمحمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ بتحقيق وتعليق ساعد عمر غازي.

في تصفية الباطن، فالمراد تعميم الذكر بها، لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في إنشائها بهذه الأجرام العظام، وما فيها من عجائب المصنوعات، وغرائب المبتدعات، ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فيعلموا أن لهم خالقاً قادراً مدبراً حكيماً لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها تعالى كما قال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ بمعنى يتفكرون قائلين ذلك، وكلمة ﴿هَذَا﴾ متضمنة لضرب من التعظيم، أي: ما خلقت هذا المخلوق العظيم الشأن عبثاً عارياً من الحكمة، خالياً من المصلحة، بل متضمناً لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون دلالة على معرفتك، ووجوب طاعتك، واجتناب معصيتك، وأن يكون مداراً لمعيش العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد^(١).

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

[الذاريات: ٢٠-٢١]

وكان السلف عليهم السلام يفضلون تفكر ساعة على قيام ليلة؛ لأن التفكير ساعة يثمر في القلب من الإيمان بعظمة الله وقدرته وجلاله والخوف منه أكثر مما يثمر قيام ليلة.

ولما سألت أم الدرداء عن أكثر عبادة أبي الدرداء قالت: كان أكثر عبادته التفكير.

٦- ومما ينبغي الاهتمام به في تربية الإيمان الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»^(٢).

(١) باختصار من «محاسن التأويل» للقاسمي (١/ ٣٢١-٣٢٤) ط. دار الفكر.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٤٨-٣٤٩) «الرقاق»، وأبو نعيم (١/ ٤)، وهو في «الصحيحة» رقم [١٦٤].

فأول ما يقرب إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أداء الفرائض كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله وحسن النية فيما عند الله - عَزَّ وَجَلَّ -».

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن - عَزَّ وَجَلَّ - يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات.

قال العلماء: «ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - دون الفرائض؟ وأجاب بعضهم: بأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها، فيفعلها العبد بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - دون الفرائض فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل وتلاوة القرآن والأذكار الموظفة وغير الموظفة والصيام وقضاء حوائج الناس، وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم الشاغل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - تحرك بالغبية والنسيمة والبذاءة، واللغو وغير ذلك وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات، شغلت بالمعاصي والعثرات، فلا شك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروى بالصيام والقيام وتلاوة القرآن وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اللينة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٧- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان أن يعيش العبد في أجواء إيمانية ويتنفس هواء الإيمان، وأن يتباعد عن أجواء المعاصي والشبهات والشبهات.

فلا شك في أن الإيمان ينمو ويتزعم في أجواء الإيمان، وعند تنفس هواء الإيمان في مجالس الذكر، وصلاة الجماعة وعبادة المرضى وتشجيع الجنائز، والتردد على الأماكن المقدسة

للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، ولا شك كذلك في أن الإيمان يضعف ويضمحل إذا تعرض العبد لأجواء الإباحية والفجور، والتبرج والسفور، فعلى المربين أن يهتموا بتحييب أجواء الإيمان في قلوب شباب الصحوة، وكذا عليهم تحذيرهم والتأكيد عليهم في البعد عن أماكن الكفر والفسوق والعصيان كأماكن الإباحية والفجور والسفور. قال بعضهم: ليس شيء أضر على قلب العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم.

ومن فضل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على العبد أن يوفقه إلى الصُّحبة الصالحة كما قال بعض السلف: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك، أن يوفقه إلى صاحب سنة يحمله عليها. كذا من فضل الله - عَزَّ وَجَلَّ - على العبد أن يوفقه إلى الأزمنة الشريفة والأمكنة الشريفة، وأن يوفقه إلى الطاعة والعبادة، فنسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يوفقنا لطاعته وأن ييسر لنا أسباب رحمته وجنته.

٨- ومما يتربى به الإيمان في قلوب الإخوان كثرة ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»^(١). وهذه إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلب، ونماء الإيمان فيه. وكان شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يجلس في ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - من صلاة الفجر إلى قريب من صلاة الظهر ويقول: «هذه غدوتي ولو لم أتغد سقطت قوتي». وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر للقلب كالماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا أُخرج من الماء».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة

ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بؤراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقههم انتكست منهم القلوب، والسبيل الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر هو عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يذكرون معبودهم ومحبوبهم قياماً وعوداً وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالتها، ودواؤها إذا غشيها اعتلاها وكلمها ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقاً، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء، به يزول الورع عن الأسماع، والبكم عن الألسنة، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري: «تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق»^(١).

٩- ومما يتربى به الإيمان المشاركة في الدعوة إلى دين الرحمن،

وقد سمى الله - عزَّ وجلَّ - وحيه روحاً وسماه نوراً.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٣-٤٢٤)، وانظر: فوائد الذكر في «الوابل الصيب» لابن القيم.

فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَبْتَئًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[الأنفال: ٢٤]

فالداعي إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - يحيي قلوب الناس بشرع الله فيحيي الله قلبه بالإيمان ومحبة الرحمن، والجزاء من جنس العمل.

قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١).

فكما ينضر الداعية قلوب الناس بشرع الله ينضر الله قلبه ووجهه.

قال سفيان بن عيينة: لا تجد أحداً من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة لدعوة رسول الله ﷺ.

ومن مارس الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - يعلم كيف يزداد بها الإيمان، وتحيا بها القلوب، وتقرب من علام الغيوب، وغفَّار الذنوب، فنسأل الله تعالى أن لا يحرمننا من الدعوة إلى دينه والتشرف بطاعته وعبادته، والله الموفق.

(١) رواه أحمد (١٨٣/٥)، والترمذي (١٠/١٢-١٢٦ عارضة) «أبواب العلم»، وابن ماجه [٢٣١] «المقدمه»، وابن حبان رقم [٦٨٠] «الإحسان»، والدارمي (٧٥/١)، وللحديث طرق وروايات كثيرة، وذكره السيوطي في «الأزهار الممتثرة في الأحاديث المتواترة» وصححه الألباني.

٤] التربية الخلقية

قال ابن ماسكويه: «الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكرٍ ولا روية.

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكون طبعياً: من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب.

وكالإنسان الذي يجب من أيسر شيء، كالذي يجب من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.

ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكةً وخلقاً^(١).

وهذا الثاني هو المعنى بالتربية الخلقية، والمقصود بها تربية الشباب على الأخلاق الفاضلة، كالصدق، والأمانة والاستقامة والإيثار وغير ذلك من الأخلاق الكاملة الفاضلة.

مدح الله - عزَّ وجلَّ - نبيه ﷺ فقال: ﴿وَأَنْكَ لَعَلِّي خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الْقَلَمُ: ٤].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لعلِّي دين عظيم، لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام»، فجعل الدين كله خلقاً، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين.

وقال الحسن رضي الله عنه: «هو آداب القرآن».

وقال ابن القيم: «إنك لعلِّي الخلق الذي أثرك الله به في القرآن».

(١) «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» لابن ماسكويه، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب [٤١].
الطبعة الأولى، المكتبة العصرية.

وفي «الصحيحين» أن هشام بن حكيم سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن». فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئاً^(١).

قال النووي: «معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته»^(٢).

قال المفكر الإسلامي سيد قطب رحمته الله: «ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات متنوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روى عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدالاتها من كل شيء آخر أعظم بصورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقى محمد صلى الله عليه وسلم لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتاً راسخاً مطمئناً، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاضم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير»^(٣).

وقال كذلك: «وقد تمثلت هذه الأخلاق الإسلامية بكمالها وجهالها وتوازنها واستقامتها وإطرادها وثباتها في محمد صلى الله عليه وسلم، وتمثلت في ثناء الله العظيم وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الْقَلَم: ٤]»^(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٥).

(١) انظر «صلاح الأمة في علو الهمة» لأخينا الفاضل الشيخ/ سيد حسين العفاني (٥/ ٢٢٥)، والحديث رواه مسلم [٧٦٤] «صلاة المسافرين مطوَّلاً، وأحمد (٦/ ٤٥).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٦/ ٣٨-٣٩).

(٣) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٦٥٦) ط. دار العلم بجدة.

(٤) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٦٥٨).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٧١)، والحاكم (٢/ ٦٣١) «التاريخ».

وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الألباني [٤٥]: وهذا إسناد حسن، وابن عجلان إنما أخرج له مسلم مقروناً بغيره، وله شاهد أخرجه ابن وهب في «الجامع» فالحديث صحيح.

قال فضل الله الجيلاني: «لا يكون دين من الأديان خالياً من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة، فهذا معنى «أتمم مكارم الأخلاق» أي: أبلغ نهايتها»^(١).

قال الأستاذ/ محمد محمود الياني ما ملخصه: «الأخلاق هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وعلى ضوءها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح.

قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته إن التخلق يأتي دونه الخلق

وبما أن الرسول ﷺ هو القدوة الحسنة فقد اتصف بالأوصاف الخلقية المحمودة كالعلم والحلم والتواضع والكرم والصدق والوفاء وشدة الحياء وحسن المعاشرة والآداب إلى غير ذلك من الخصال العلية والأخلاق المرضية. أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لي شيء فعلته لم فعلته، ولا شيء لم أفعله ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، وما مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطرأً أطيب من عرق رسول الله ﷺ»^(٢).

قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عندما جاءها في أول بدء الوحي خائفاً: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب»^(٣).

(١) فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد» (١/ ٢٧١).

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٤٧١) «الأدب»، ومسلم [٢٣٠٩] «الفضائل».

(٣) رواه البخاري (١/ ٣٠) «بدء الوحي».

وعن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ قال: «لم يكن رسول الله ﷺ سباباً، ولا لعاناً، ولا فاحشاً، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: ما له تربت جبينه»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين إلا كان أحبهما إليه أيسرهما»، وفي رواية: إلا أختار أيسرهما، إلا أن تكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، وما انتقم رسول الله ﷺ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله»^(٢).

أقوال السلف - رحمهم الله - في حسن الخلق؛

قال الحسن: «حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندي، وكف الأذى».
وقال أبو عثمان: «هو الرضا عن الله تعالى».
وقال سهل التستري: «أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه».

أن لا يهتم الحق في الرزق، ويثق به، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس».

وقيل: «حُسن الخلق بذل الجميل، وكف القبيح».

وقيل: «التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل».

وقال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق».

وقال رحمته الله: «سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات».

وقال الجنيد: «أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع، والسَّخاء، وحُسن الخلق، وهو كمال الإيمان».

(١) رواه البخاري (٤٦٧/١٠) «الأدب» وأحمد (١٢٦/٣، ١٤٤، ١٥٨).

(٢) رواه مسلم [٢٣٢٧] «الفضائل»، وأبو داود [٤٧٥٦ عون] «الأدب» مختصراً.

وقال الفضيل: «لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلى من أن يصحبني عابد سيئ الخلق».

وقال يوسف بن أسباط: «علامة حسن الخلق عشر خصال:

- ١ - قلة الخلاف.
- ٢ - وحسن الإنصاف.
- ٣ - وترك طلب العثرات.
- ٤ - وتحسين ما يبدو من السيئات.
- ٥ - والتماس المذرة.
- ٦ - واحتمال الأذى.
- ٧ - والرجوع بالملامة عن النفس.
- ٨ - والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره.
- ٩ - وطلاقة الوجه للصغير والكبير.
- ١٠ - ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

وزهب الغزالي إلى أن حُسن الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال الجميلة المحمودة شرعاً وعقلاً بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فهذا هنا أربعة أمور:

أحدها - فعل الجميل.

والثاني - القدرة عليه.

والثالث - المعرفة به.

والرابع - هيئة للنفس بها تميل إلى الحسن ويتيسر عليها.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، رب شخص خلقه السخاء ولا يبذل، إما لفقد المال، أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء.

وليس هو عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الإمساك والإعطاء واحد، وكل إنسان خلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك.

وليس هو عبارة عن المعرفة، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة^(١).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَحُسْنُ الْخَلْقِ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، لَا يَتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا: الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ.

فَالصَّبْرُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِحْتِمَالِ، وَكُظْمُ الْغَيْظِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَالْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ وَالرَّفْقُ وَعَدَمُ الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةُ.

وَالْعِفَّةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى اجْتِنَابِ الرِّذَائِلِ وَالْقُبَائِحِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الْحَيَاءِ وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْبَخْلِ وَالْكَذِبِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ.

وَالشَّجَاعَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى عِزَّةِ النَّفْسِ وَإِثَارِ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ وَعَلَى الْبَذْلِ وَالْفِدَاءِ الَّذِي هُوَ شَجَاعَةُ النَّفْسِ وَقُوَّتُهَا عَلَى إِخْرَاجِ الْمَحْبُوبِ وَمِفَارِقَتِهِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى كُظْمِ الْغَيْظِ وَالْحِلْمِ، فَإِنَّهُ بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَشَجَاعَتِهِ يُمْسِكُ عَنَانَهَا وَيَكْبَحُهَا عَنِ الْجَزَعِ وَالْبَطْشِ.

وَالْعَدْلُ: يَحْمِلُهُ عَلَى اعْتِدَالِ الْخَلْقِ وَتَوْسُطِهِ فِيمَا بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ^(٢).



(١) نقلاً عن «صلاح الأمة» (٥/ ٢٤٠).

(٢) باختصار من «مدارج السالكين» (٢/ ٣٠٨-٣١١).

الأحاديث النبوية الشريفة في فضل حسن الخلق

قال النبي ﷺ: «أثقل شيء في الميزان، الخلق الحسن»^(١).

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»^(٢).

وقال ﷺ: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقًا، الثرثارون والمتفيهقون، والمتشدقون»^(٣).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحس خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»^(٤).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»^(٥).

(١) رواه أبو داود [٤٧٧٨ عون] «الأدب»، والترمذي [٢٠٠٣] «البر والصلة»، وأحمد (٦/٤٤٦/٤٤٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٧٠]، وابن حبان (٢/٤٨١) «الإحسان»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٥٠)، وابن حبان (٢/٤٧٩) «الإحسان» «البر والإحسان»، وصححه الألباني.
(٣) رواه أحمد (٤/١٩٣)، وابن حبان (٢/٤٨٢) «الإحسان»، والبغوي في «شرح السنة» وصححه الألباني [٣٣٩٥].

(٤) رواه الحاكم (١/٦٠) «الإيمان»، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط»، انظر: «مجمع البحرين» رقم [٢٩٢٦]، وصححه الألباني في «الجامع» رقم [١٧٣٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصَّوَّامِ القَوَّامِ بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من خُلُقٍ حسن»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، وشراركم الثرثارون والمتفيهقون المتشدقون»^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «خير ما أعطى الناس خلق حسن»^(٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس شيء أثقل في الميزان من الخُلُقِ الحسن»^(٦).

أمثلة من حسن خلق السلف عليهم السلام:

شتم رجل سلمان الفارسي فقال له: «إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول».

وشتم رجل الربيع بن خثيم فقال له: «يا هذا سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول».

(١) رواه أحمد (١٧٧/٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٥٢٢].

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١/١٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [١٩٧٣].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» رقم [٧٩٨٨] (باب حسن الخلق) ط. زغلول، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٢٥٥].

(٥) رواه الحاكم مطولاً (١/١٢١) «العلم»، وقال: صحيح ولم يخرجاه وكذا في (٤/١٩٩) «الطب»، وقال: هذا حديث أسانيد صحيحه كلها على شرط الشيخين ولم يخرجاه والعلّة عندهم فيه أن أسامة بن شرك ليس له راوٍ غير زياد بن علاقة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٣١٦].

(٦) رواه أحمد (٦/٤٤٦-٤٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٨٧٦].

وقالت له امرأة: يا مرأئي. فقال: ما عرفني غيرك.

وقال علي بن يزيد: «أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً».

شتم رجل الأحنف بن قيس فسكت عنه وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه ما يمنعه من أن يرد علي إلا هواني عنده».

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيه، فقال الأحنف: «يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره».

وقال رجل لمالك بن دينار: «بلغني أنك ذكرتني بسوء! قال: أنت أكرم علي من نفسي؟ إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي».

وقال رجل لبعض الحكماء: «والله لأسئبنك سبباً يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل لا معي».

وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، ف قيل له في ذلك فقال: «أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب».

قال محمود الوراق:

سألزمت نفسي الصنح عن كل مذنب	وأن كثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة	شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقني فأعرف قدره	واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن	إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا	تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: «أشهد أنك من الفاسقين. قال: ليس تقبل شهادتك».

سَبَّ رجل ابن عباس عليه السلام، فلما فرغ قال: «يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضئها؟ فنكس الرجل رأسه واستحي».

وعن علي بن الحسين بن علي: «أنه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم».

فقال بعضهم: «جمع له خمس خصال محمودية: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعد عن الله، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير».

قال يحيى بن منده: «كان عمي سيفاً على أهل البدع، وهو أكبر من أن يثنى عليه مثلي، كان - والله - أمراً بالمعروف. ناهياً عن المنكر، كثير الذكر، قاهراً لنفسه، عظيم الحلم، كثير العلم. قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد، فقال عمي: من كتب عني حديثاً فأنا له عبد».

قال خطيب الموصل أبو الفضل: «حدثني أبي قال توجهت من الموصل سنة ٤٥٩ هـ إلى أبي إسحاق - يعني: الشيرازي - فلما حضرت عنده رَحَّبَ بي وقال: من أين أنت؟ فقلت: من الموصل. قال: مرحباً، أنت بلدي».

قلت: يا سيدي أنت من فيروز آباد؟ قال: أما جمعتنا سفينة نوح؟ فشاهدت من حُسن أخلاقه، ولطائفه، وزُهد ما حجب إلى لزومه، فصحبته إلى أن مات».

وقيل: «إن أبا إسحاق نزع عمامته - وكانت بعشرين ديناراً - وتوضأ في دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سأله وهو يدرس، فقال: لعل الذي أخذها محتاج».

قيل للأحنف بن قيس: «من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوق على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى».

كان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ إِذَا قِيلَ لَهُ: «إِنْ فَلَانًا يَقَعُ فِي عَرْضِكَ. يقول: والله لأغظن من أمره - يعني: إبليس - ثم يقول: اللهم إِنْ كَانَ صَادِقًا فَاغْفِرْ لِي، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاغْفِرْ لَهُ».

وكان أبو معاوية الأسود يدعو لمن نال منه.

وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللهُ: «فبالغ في شتمه وهو ساكت. فقيل له: ألا تشتمه كما شتمك، فقال: إني لا أعرف له شيئاً من المساوي حتى أشتمه به ولا يحل لي أن أرميه بالكذب».

وقال رجل مرة لسالم بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ: «يا شيخ السوء، فقال له سالم: ما أراك أبعدت يا أخي»^(١).

مسئولية المربين:

يقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «على المربين ولاسيما الآباء والأمهات مسؤولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير، وتخليقهم على مبادئ الأخلاق. ومسئوليتهم في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم، وتقويم اعوجاجهم، وترفعهم عن الدنيا، وحسن معاملتهم للآخرين.

(١) هذه الأمثلة مختصرة من كتاب أحنينا الفاضل سيد العفاني / «صلاح الأمة في علو الهمة» (٢٧٢-٢٥٣/٥).

فهم مسئولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق، والأمانة، والاستقامة والإيثار، وإغاثة الملهوف، واحترام الكبير، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والمحبة للآخرين.

ومسئولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب، والشتم، والكلمات النابية القبيحة، وعن كل ما ينبي عن فساد الخلق وسوء التربية.

ومسئولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة، وإحساسات عاطفية نبيلة، كالإحسان إلى اليتامى، والبر بالفقراء، والعطف على الأرامل والمساكين.

إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة، التي تتصل بالتهذيب وترتبط بالأخلاق.

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على قوة الملاحظة والمراقبة، فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين، وكل من يهيمه أمر التربية والأخلاق أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة، وأن يعيروها اهتمامهم لكونها من أقبح الأعمال، وأحط الأخلاق، وأرذل الصفات، وهذه الظواهر مرتبة كما يلي:

١- ظاهرة الكذب.

٢- ظاهرة السرقة.

٣- ظاهرة السباب والشتم.

٤- ظاهرة الميوعة والانحلال^(١).

جملته من الأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم:

قال العلامة جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ مَا ملخصه: «كل من أعار الوجود نظره البصير علم أن حاجة المرء إلى تأديب نفسه، لا تفوقها حاجة، لأن الإنسان إلى الشر أميل منه إلى الخير، وإلى الشهوات النفسية أميل منه إلى الكمالات الروحية، فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه، وتحليه بالمحاسن والفضائل، وتطهير نفسه من المساوئ والردائل، فيصبح محمود الأقوال والأفعال، مثلاً للفضيلة والكمال، وهذه شذرة مما يلزمك أن

تتخلق به من آداب نفسك: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، لا تستخفنَّ بفضائل شريف، لا تميلن إلى سخي، لا تقولن هجرًا لئلا يسقط قدرك، لا تفعلن نكرًا لئلا يقبح ذكرك، إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويجرك من عدوك ما سكن، فكلام الإنسان بيان فضله، وترجمان عقله، فأقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل، وإياك وما يستقبح من الكلام فإنه ينفر عنك الكرام، ويوثب عليك اللئام، إياك واللجاج فإنه يوغر القلوب، وينتج الحروب، فاقتصر من الكلام على ما يثبت حاجتك ويبلغك حاجتك، ومن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، لا تعود نفسك إلا ما تحظى بأجره وتحمد على ذكره، وإياك ومحاجة من يملكك قهره وينفذ فيك أمره، يستدل على رزاة الرجل بقلة نطقه ومقاله، وعلى فضله بفضله عمله واحتماله فأكرم إخوانك، وأكثر خلانك، واكفهم لسانك، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان، تعام عما تسوؤك رؤيته، وتغاب عما تضرك معرفته، ولا تشر على من لا يقبل منك، ولا تجب عما لا تسأل عنه، وإذا عاتبت فاستبق، وإذا صنعت معروفًا فاستره، وإذا صنع إليك فانشره، وإذا أذنبت فاعتذر، وإذا أذنب إليك فاغتفر، فالمعذرة بيان العقل، والمغفرة بيان الفضل، لا ترهق في رجل عرف فضله، وجرب عقله، ولا تُعن قويا على ضعيف، ولا تؤثر دنيا على شرف، ولا تشر بما يعقب الوزر والإثم، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم.

اللق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، ليكن ضالة عقلك التي ينشدها ونجعتة التي يرتادها الحق، فاحكم به ولو على نفسك، ولا تكن ممن تأخذ العزة بالإثم، عليك بالنشاط والعمل، وترك البطالة والكسل، ولا تكن كالأعلى غيرك، فإن الرجل كل الرجل الذي يأكل من كسبه، ويشرب من ورده.

أقدم على جلائل الأعمال مع الصبر والثبات، واحمل نفسك على معالي الأمور والتثبت بأحسن الأعمال، والأمور العظام والتهاون لنيلها بالآلام، فإن الكسل من النقائص التي توجب الخسائس، والشرور.

وقد قيل: إذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان.. ليكن مجلسك هادئاً، وحديثك موزوناً مرتباً، وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك أصابعك وفرقتها، والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك، وتحليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقلك وتنحنحك، والتمطي والتثاؤب في وجه الناس وفي الصلاة وغيرها.

اصنع إلى الكلام الحق ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، لا تحدث عن إعجابك بولئك وشعرك وكلامك وتضيفك وسائر ما يخصك، إذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك، وتفكر في جهتك.

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض، وبادر بالتحية والبشر من تلقاه واكتم بؤسك، واجعل شكواك لمن يقدر على غناك، ولا تحضر منازعة فإنك لا تخلو من قسط أذاها، ولو بالمطالبة بأداء الشهادة.

إياك والانبساط فإنه عورة من عوراتك، فلا تبذله إلا للمأمون عليه حقيق به، لا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحداً على ظلم، لا تعلم أحداً من أهلِكَ وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم وإن رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط، واجفهم من غير غُنفٍ ولِن لهم من غير ضعفٍ ليكن لك فضل عُزلة؛ فإن كثرة الخلطة مجلبة الابتذال.

ومما يروى عن علي عليه السلام: إياك وفعل القبيح فإنه يقبح ذكرك ويكثر وزرك، إياك أن تستسهل ركوب المعاصي فإنها تكسوك في الدنيا ذلة وتكسبك في الآخرة سخط الله. عليك بالحكمة فإنها الحلية، عليك بالحياء فإنه عنوان النبل، عليك بالسخاء فإنه ثمرة العقل، عليك بالأناة فإن المتأنى حري بالإصابة عليك بحسن الخلق فإنه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة، عليك بلزوم الحلال، وحسن البر بالعيال، عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح، عود نفسك الجميل فإنه يجمل عنك الأحداث، ويجزل لك المثوبة، عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام. كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء، كن للمظلوم

عوناً، وللظالم خصماً، كن للود حافظاً وإن لم تجد محافظاً، كن مؤخذاً نفسك مغالباً سوء طبعك، وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك، كن بأسرارك بخيلاً، ولا تدع سرّاً أودعته فإن الإذاعة خيانة، كن حسن المقال جميل الأفعال، فإن مقال الرجل بُرهان فضله، وفعله عنوان عقله، كن صموتاً من غير عي، فإن الصمت زينة العالم وستر الجاهل.

كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل. كن متصفاً بالفضائل مبرأ من الرذائل.

لا تأس على ما فات، لا تقولن ما يسوؤك جوابه، لا تركزن في مودة من لم تكشفه، لا تزهدن من شيء حتى تعرفه، لا تضمن ما لم تقدر على الوفاء به، لا تخبر بها لم تحط علماً به، لا تأمن البلاء في أمنك ورخائك، لا تعدن شرّاً ما أدركت به خيراً، لا تعدن خيراً ما أدركت به شرّاً، لا تتكلم بها لا تعلم فكفى بذلك جهلاً، لا تمسك عن إظهار الحق إذا وجدت له أهلاً، لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال.

لا تعود نفسك اليمين فإن الخلاف لا يسلم من الإثم، لا تعود نفسك الغيبة فإن معتادها عظيم الجرم، لا تياس من الزمان إذا منع، ولا تثق به إذا أعطى، كن على أعظم الحذر، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل، لا تحل نفسك من فكرة تزيدك حكمة، وعبرة تفيدك عصمة، لا تسيئ الخطاب فيسوءك الجواب، ولا تحارب من لا يعتصم بالدين، فإن مغالب الدين محروب^(١)، لا تغالب من لم يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب.

لا تجهل نفسك فإن الجاهل بنفسه جاهل بكل شيء^(٢).



(١) أي: مهزوم في الحرب.

(٢) «جوامع الآداب في أخلاق الأحاب» لجمال الدين القاسمي الدمشقي [٦-١٥] باختصار ط. مؤسسة قرطبة.

٥] التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية

مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة الآداب النبوية والسنن المصطفوية، وهذه الآداب كثيرة منها ما يتلقاه المسلم في بيته ومدرسته بالقراءة الحسنة، ولكننا في أزمنة عزت فيها الأسوة الحسنة، وأفقرت منها أكثر بيوت المسلمين، واستبدل بكثير منها الآداب الغربية الكافرة، والأذواق المستوردة من حضارة الغرب الكافر، كنتيجة طبيعية لانتشار الأجهزة الخبيثة كالفيديو والتلفاز وأجهزة استقبال البث المباشر، التي أطاحت بكثير من القيم الإسلامية، والآداب النبوية، وقتلت غيرة الرجال، وأضاعت حياء النساء، وصارت مجتمعات المسلمين لا تفترق كثيرًا عن المجتمعات الغربية الكافرة، فعلى القائمين على المناهج التربوية الاهتمام بإحياء الفضائل والآداب الإسلامية ونشرها وإشاعتها، والاهتمام بتدريسها، لعل الله -عزَّ وجلَّ- يبارك في هذه الجهود، ويستتقذ بها كثيرًا من أبناء المسلمين، حتى لا يجرفهم سيل المعاصي والشهوات، والإعراض عن رب الأرض والسموات، والله الموفق للطاعات والمهادي لأعلى الدرجات.

وهذه جملة من الآداب الإسلامية التي ينبغي الاهتمام بها:

- ١- آداب بر الوالدين.
- ٢- آداب صلة الرحم.
- ٣- آداب الضيافة.
- ٤- آداب الجوار.
- ٥- آداب طلب العلم.
- ٦- آداب النظر.
- ٧- آداب اللسان.
- ٨- آداب الخلطة.
- ٩- آداب الذكر.
- ١٠- آداب الطعام.
- ١١- آداب النوم.
- ١٢- آداب السلام.
- ١٣- آداب السواك.
- ١٤- آداب العطاس والتثاؤب.
- ١٥- آداب الاستئذان.
- ١٦- آداب المجلس.
- ١٧- آداب السفر.

١- آداب بر الوالدين:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٣٣ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ۝﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٣-٢٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي أي العمل أحب إلى الله - عزَّ وجلَّ - قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(١).

والبر اسم جامع للخير، وهو ضد العقوق، ومعناه الصلة وفعل الخير والتوسع فيه، واللفظ والطاعة.

ومن برهما: النفقة عليهما إذا احتاجا لقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [الْقِسْمَانِ: ١٥]، وقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٣].

ومن برهما: توقيرهما واحترامهما، عن هشام بن عروة عن أبيه أو غيره أن أبا هريرة أبصر رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمس أمامه، ولا تجلس قبله.

ومن برهما: دعوتهما إلى الله - عزَّ وجلَّ - روى مسلم وأحمد عن أبي كثير السحيمي قال: «سمعت أبا هريرة يقول: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني. إن أُمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى، فقلت لها: فأبت، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ادع لها فدعا، فأتيتهما وقد أجافت عليهما الباب، فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ادع الله لي ولأُمي، فقال: «اللَّهُمَّ عبدك أبو هريرة وأمه أحبهما إلى الناس»^(٢).

(١) رواه البخاري (٩/٢) «مواقيت الصلاة».

(٢) رواه أحمد (٢٠٠/٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم [٣٤]، ورواه مسلم بلفظ: «اللهم حب عبدك هذا - يعني: أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين» رقم [٢٤٩١] «فضائل الصحابة».

ومن برهما: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما بعدهما.

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة ليلة قال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر لهما. قال محمد: نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة.

ومن برهما: صلة أهل ودهما. ففي الصحيح عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة أهل ود أبيه بعد أن يولي»^(١).

ومن برهما: قضاء دينهما والحج عنهما، والوفاء بنذرهما.

عن ابن عباس قال: أمرت امرأة سنان بن سلمة الجهنني أن يسأل رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج أفيحزي عن أمها أن تحج عنها؟ قال: «نعم لو كان على أمها دين فقضته عنها ألم يحزى عنها؟ فلتحج عن أمها»^(٢).

٢- آداب صلة الرحم:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقْوُوا اللَّهَ الَّذِي قَسَاءَ لُونِ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟» قالت: بلى. قال: «فذاك لك»^(٣).

(١) رواه مسلم (١٦/ ١١٠) «البر والصلة والآداب».

(٢) رواه النسائي (١١٦/ ٥) «مناسك الحج» وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» رقم [٢٤٧٠].

(٣) رواه مسلم رقم [٢٥٥٤] «البر والصلة».

ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد: ٢٢-٢٤].

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»^(١).

قال السفاريني: قال البلباني: «واعلم أن المراد بصلة الرحمة موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأکید المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصال كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر خاطرهم، مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم، والتواضع معهم مع غناه وفقرهم، وقوته وضعفهم، ومدوامه مودتهم، ونصحهم في كل شئونهم، والبدء بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الصدقة والإحسان والهدية على سواهم، لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة، وفي معناه الهدية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض، عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبة ومحبة».

وفي الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»^(٢).

واعلم أن هذا كله ليس بواجب، أكثره مندوب كما يعلم^(٣).

(١) رواه البخاري (٤١٥ / ١٠) «الأدب»، ومسلم (١١٤ / ١٦) «البر والصلة».

(٢) الحديث رواه النسائي (٩٢ / ٥) «الزكاة»، والترمذي [٦٥٨] الزكاة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٣) «غذاء الألباب» (٣٠٧ / ١) ط. دار العلم للجميع ومكتبة البيان، رقم [٥٣١].

٣- آداب الضيافة:

عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليه، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يخرج»^(١).

قال ابن بطال: «سئل عنه مالك فقال: يكرمه ويتحفه يوماً وليلة، وثلاثة أيام ضيافة. قلت: واختلفوا هل الثلاث غيرها أو بعد منها».

فقال أبو عبيد: «يتكلف له في اليوم الأول بالبر والألطف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره، ولا يزيده على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به يوم وليلة، وتسمى الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل، ومنه الحديث الآخر: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»^(٢).

وقال الخطابي: «معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يوماً وليلة وفي اليومين الآخرين يقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه، فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة»^(٣).

ذكر الله - عز وجل - عن إبراهيم عليه السلام أنه كان مضياً كريماً وكان له روغان وروغة شجاعة وروغة كرم، قال تعالى: ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ صُرْبًا يَأْتِيهِمْ﴾ [الصافات: ٩٣]، ﴿فَرَأَى إِلَيْهِمْ أَهْلًا فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، وراغ معناها: ذهب بخفية، وقوله: ﴿بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ وهو أجود البقر، وهذه عادة الكرماء المرحبين بضيوفهم.

(١) رواه البخاري (٥٤٨٩/١٠) «الأدب»، ومسلم (٢٧/٢).

(٢) رواه أبو داود [٣٠١٣] «الخروج والإمارة» وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٢٣] وقد رواه البخاري ومسلم مطولاً.

(٣) «فتح الباري» (٥٤٩/١٠).

٤- آداب الجوار:

عن أبي شريح الخزاعي عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» المقصود المبالغة في إتيان هذه الأفعال، كما تقول لولدك: إن كنت ابني فأطعني، تحريضاً له على الطاعة، وتخصيص اليوم الآخر بالذكر لأن رجاء الثواب والعقاب كله راجع إلى الإيمان باليوم الآخر ومن لا يعتقد لا يرتدع عن شر ولا يُقدم على خير، وتكريره للاهتمام والاعتناء بكل خصلة.

وقوله: «فليحسن إلى جاره» والإحسان إليه أن يعينه على ما يحتاج إليه ويدفع عنه السوء ويخصه بالنيل لثلاث يستحق الوعيد والويل، وهذا أروع من قول النبي ﷺ في رواية: «فلا يؤذ جاره» والأذى بغير حق محرم على كل أحد، لكن في حق الجار أشد تحريماً، وفي الحديث: «فليكرم جاره» والإكرام بطلاقة الوجه، والكلام الطيب، والإطعام، وقد فسر عطاء الخرساني حق الجار بالإعانة، والإقراض والعيادة، والتعزية، والتهنئة، واتباع الجنائز، وأن لا تستطيل عليه في البناء حتى تحرمه من الريح والشمس مثلاً»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل ﷺ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٣).

وقوله: «سيورثه» أي: يأمر بتوريث الجار من جاره، بأن يجعله مشاركاً في المال مع الأقارب بسهم يعطاه، مسلماً كان أو كافراً، عبداً، أو فاسقاً..^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» (١/ ١٩١) لفضل الله الجيلاني. ط. السلفية.

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٥٥) «الأدب»، ومسلم رقم [٢٦٢٤] «البر والصلة».

(٤) باختصار من «فضل الله الصمد» (١/ ١٩٠).

قال الحسن: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار احتمال الأذى»^(١).

٥- آداب طلب العلم:

ينبغي لطالب العلم أن يستحضر نية الإخلاص في الطب، فقد قال النبي ﷺ: «من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله لا يطلبه إلا ليصيب به عرض الدنيا لن يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(٢).

وينبغي له أن يطلب العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا يطلب علم الكلام والفلسفة وما ضرره أكثر من نفعه.

وينبغي له كذلك أن يختار من يتعلم منه، ولا يتعلم إلا ممن ظهرت ديانتها، واشتهرت صيانتها. قال مالك بن أنس: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وينبغي له أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام والتوقير، فإن هذا أقرب إلى الانتفاع به، قال الربيع: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبه له.

وينبغي له أن يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل، إلا سبباً لا بد منه للحاجة، فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كله.

وينبغي له أن لا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة، ولا يضحك ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً من غير حاجة.

ومن ذلك أن يدخل على شيخه كامل الخصال متطهراً، ملتزماً بالآداب الشرعية الظاهرة والخفية؛ كالتنظيف بإزالة الأوساخ، وشفط الإبط، وإزالة الروائح الكريهة، وتسريح اللحية والتطيب.

(١) «فضل الله الصمد» (١/ ٢٠٦).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٧ عون «العلم»، وابن ماجه (١/ ٩٣) «المقدمة»، وصححه الألباني رقم [٢٠٤] «صحيح ابن ماجه».

ومن ذلك أن يعمل بما يتعلمه. قال بعضهم: يهتف العلم بالعمل؛ فإن أجباه وإلا ارتحل. ومن العمل بالعلم تعليمه، والله الموفق للطاعات والهادي لأعلى الدرجات.

٦- آداب النظر؛

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقد أمر الله - عزَّ وجلَّ - بغض البصر، وصيانة الفرج، وقرن بينهما في معرض الأمر، وبدأ بالأمر بالغض لأن العين رائد للقلب كما قيل:

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مُدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»^(١).

وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال: «اصرف بصرك»^(٢).

قال النووي: «ومعنى نظر الفجأة أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر

(١) رواه البخاري (٢٦/١١) «الاستئذان»، ومسلم (٢٠٥/١٦) «القدر»، وأحمد (٢٧٦/٢).

(٢) رواه مسلم (١٣٩/١٤) «الأدب»، والترمذي (٢٢٩/١٠) «الأدب»، والدرامي (٢٧٨/٢) «الاستئذان»، وأحمد (٣٥٨/٤) «الأدب».

إثم لهذا الحديث، فإن رسول الله ﷺ أمره بصرف بصره مع قوله تعالى ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^(١).

وتؤكد هذه الآداب الشرعية مع كثرة تبرج النساء وقلة حيائنهن، فالواجب على المسلم أن يحرص على سلامة قلبه، ورضا ربه، بغض بصره، فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس.

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً أنت القتل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له طوقه إنه يأتيك بالعطب

٧- آداب اللسان:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» [قت: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(٣).

قال النووي: «في هذا الحديث حث على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك»^(٤).

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥/١٠) «الأدب»، ومسلم (١٨/٢) الإبان، وأبو داود [١٣٢ عون] «الأدب»، وابن ماجه [٣٩٧١] «الفتن».

(٣) رواه البخاري (٢٦٦/١١) «الرقاق»، ومسلم (١١٧/١٨) «الزهد»، والترمذي (٩/١٩٥) عارضة «الزهد».

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٨/١١٧).

عن الحسن البصري قال: كانوا يقولون: «إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا همَّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه».

وأفات اللسان كثيرة خطيرة، منها الكلام فيما لا يعني، وفضول الكلام، والغيبة والنميمة، وكلام ذي الوجهين، والمدح، والقذف، وشهادة الزور، والكذب، والقول على الله بغير علم، وإن من أهون آفات اللسان خطراً الكلام فيما لا يعني، وقد قال النبي ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١).

وقال سهل بن عبد الله: «من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق».

وقال الحسن: «من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، فكيف بالغيبة والنميمة والزور وغير ذلك، نسأل الله السلامة والعافية».

٨- آداب الخلطة:

من أضر الأشياء على قلوب المؤمنين مخالطة أهل المعاصي والشهوات، فإنها توجب تشتت القلب وهمه وغمه وضعفه، وهل كان أضر على عم النبي ﷺ أبي طالب عند وفاته من قرنائه السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة لو قالها لأوجبت له السعادة الأبدية.

والضابط النافع في أمر المخالطة أن يُخالط الناس في الطاعات وأن يخالفهم في المعاصي وفضول المباحات، وإن دعت الحاجة إلى المخالطة في فضول المباحات، فليستعن بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٩٦ عارضة) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي أسامة عن

أبي هريرة عن النبي ﷺ من هذا الوجه، ورواه ابن ماجه [٣٩٧٦] وحسنه النووي وابن عبد البر، ورجح ابن رجب إرساله وصححه الألباني.

قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظانًا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، يسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملاء الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية، وما أصعب هذا وأشقاه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

وكل مخالطة ومحبة وخلة في غير طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ومحبة تنقلب يوم القيامة إلى عداوة ومشاقة، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[الزُّمَرُ: ٦٧]

وقال إبراهيم الخليل لقومه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِّن نَّصِيرٍ﴾ [التَّحْوِيتُ: ٢٥].

٩- آداب الذكر

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْدُ: ٢٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَةُ: ١٥٢].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت»^(١).

فمن آداب الذكر الإخلاص وحضور القلب، وتواطأ القلب واللسان عليه، والإكثار منه لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الْإِسْرَافُ: ٤١]، ومن ذلك نظافة الثوب والبدن والطهارة والتطيب واستقبال القبلة.

ومن ذلك: التأدب مع الله - عَزَّ وَجَلَّ -، واستحضار عظمته، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الإعراف: ٢٠٥].

قال شيخ الإسلام: «لما ذكر الله الذكر ذكر الخوف لأن الخوف مطلوب عند الذكر»^(١).

ومن ذلك: قطع الذكر لرد السلام، وتشميت العاطس، وعند سماع المؤذن.

ومن ذلك: استعمال أصابع اليد في عد الذكر لأن الصحابة كانوا يسبحون بأصابعهم.

ومن آداب الذكر: اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة بالذكر لله سبحانه وتعالى. قال عز من قائل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وهذا أدب تربوي يقتضي اتخاذ القدوة الصالحة الحسنة من الذين يذكرون الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ويعينون على ذكره ويذكرون المسلم بمولاه. قالوا عن أيوب بن تميم السخيتاني المحدث الشهير التابعي سيد شباب أهل البصرة: إنه كان إذا خرج إلى السوق، ورآه الناس، سبحوا وحمدوا وذكروا الله، لأن رؤيته تذكر بالله - عَزَّ وَجَلَّ -.

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضا
أهدوك من نورهم ما يتحف الساري
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم
بوصفهم ذكرك الواحد الباري

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك، والسيئ المفلس من إذا ذكرت الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك^(٢).

(١) باختصار من «الآداب النبوية التربوية» لصالح بن علي أبو عراد [٣٧] ط. مكتبة أبها.

(٢) السابق [٣٨].

١٠- آداب الطعام:

- ❖ فمن آداب الطعام والشراب استحضار نية التقوي على طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - .
- ❖ ومن الآداب أن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب **قَالَ تَجَالَى: ﴿يَتَأَيَّمَا الَّذِيكَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [البقرة: ١٧٢].
- ❖ ومن آداب الطعام غسل اليدين قبله.
- ❖ ومن ذلك التسمية في أوله، والأكل، والأكل مما يليه.
- ❖ كما في حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك»^(١).
- ❖ ومن ذلك الاجتماع على الطعام لتأليف القلوب، وترقيقها وحصول البركة، كان ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** إذا أحضروا له الطعام قال: التمسوا بعض المساكين والفقراء، فلن أكل وحدي.
- ❖ ومن ذلك أن يبدأ بذكر الطعام.
- ❖ ومن ذلك التواضع في الجلوس لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا آكل متكئا»^(٢).
- ❖ ومن ذلك الأكل بثلاثة أصابع ولعقها بعد الأكل.
- ❖ ومن ذلك عدم النفخ في الطعام الحار، وألا يؤكل حتى يبرد، وإذا سقطت منه لقمة أماط عنها الأذى وأكلها، ولا يدعها للشيطان.
- ❖ ومن ذلك عدم الإكثار من الطعام، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»^(٣).

(١) رواه البخاري (٤٣١/٩) «الأطعمة»، ومسلم [٢٠٢٢] «الأشربة»، ومالك في «الموطأ» صفة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (٩٣٤/٢).

(٢) رواه البخاري (٤٥١/٩) «الأطعمة»، والترمذي [١٨٣١] «الأطعمة»، وأبو داود [٣٧٥١] «الأطعمة».

(٣) رواه مسلم (٢٥/١٤) «الأشربة» عن أبي موسى الأشعري، ورواه البخاري عن ابن عمر وأبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وقال بعض السلف: «إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».

❁ ومن ذلك عدم ذم الطعام أو عيبه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»^(١).

❁ ومن ذلك حمد الله تعالى بعد الطعام والشراب، لما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ليرضى على العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»^(٢).

❁ ومن ذلك أن يدعو لمن أكل عنده بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اطعم من أطعمني، واسق من سقاني»^(٣).

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام الذي يعتبر به في مثل هذه المواطن فمن ذلك أن يأكل بلا تكلف، وأن لا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، فإن ذلك ينجلهم، وأن لا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب: كنفض اليد في الإناء، والأكل والضم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام أو مجرد فتح فمه، والتجشؤ، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم.

(١) رواه البخاري (٤٥٨/٩) «الأطعمة»، ومسلم [٢٠٦٤] «الأشربة»، والترمذي [٢٠٣١] «البر والصلة»، وأبو داود [٣٧٤٥ عون] «الأطعمة».

(٢) رواه مسلم [٢٧٣٤] «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار».

قال النووي: «وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب وقد جاء في البخاري صفة التحميد: الحمد لله حمداً كثيراً كافياً غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا» «شرح النووي على صحيح مسلم» (٨٠/١٧).

(٣) رواه مسلم [٥٥٠٢] «الأشربة».

١١- آداب النوم:

❁ ومن آداب النوم أن ينام على نية صالحة، كما قال معاذ: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي».

❁ ومن ذلك أن ينام مبكرًا حتى يستطيع قيام الليل ويستقبل صلاة الفجر، وأذكار الصباح بنشاط، وقد نهى عن السمر بعد العشاء إلا للعلم النافع، أو تأنيس الرجل زوجته أو التشاور في مصالح المسلمين.

وكان عمر رضي الله عنه يعلو بالدرة من يسمر بعد صلاة العشاء، ويقول: أسمر أول الليل ونوم آخره.

❁ ومن ذلك أن يحاسب العبد نفسه قبل النوم على ما قاله وفعله في نهاره، فإن وقف على ذنب تاب منه فينام على توبة ويصبح على توبة.

قال بعض السلف: «من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظالمين».

قال الله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

❁ ومن ذلك ألا يبيت إلا ووصيته عند رأسه.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله ما يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده»^(١).

❁ ومن ذلك عدم التكلف في الفراش، أو المبالغة في نعومته، فإن ذلك أقرب للتقوى وهدى الصالحين، وأدعى إلى التوفيق لقيام الليل.

❁ ومن ذلك نفث الفراش قبل النوم للتأكد من خلوه من الهوام والحشرات،

(١) رواه البخاري (٤١٩/٥) «الوصايا»، ومسلم [١٦٢٧] «الوصية»، قال النووي: وقد أجمع المسلمون على الأمر بها لكن مذهب الجماهير أنها مندوبة لا واجبة.

ولما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري من خلفه عليه»^(١).

❁ ومن ذلك خلع ملابس العمل، وارتداء ملابس للنوم، ويراعى في ملابس النوم أن تكون متسعة، غير مانعة للحركة، وفضفاضة نظيفة مصنوعة من القطن ساترة غير شفافة.

❁ ومن ذلك أن يتأكد من إطفاء المصابيح، وأنايب الغاز، وإغلاق الأبواب، وتغطية الآنية، في «الصحيح» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكثوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب، ولو بعود تعرضونه، أو تعرضه عليه»^(٢).

❁ ومن ذلك أن ينام العبد على طهارة ففي «صحيح ابن حبان» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بات طاهرًا بات في شعاره ملك، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرًا»، والشعار ما يلي البدن من ثياب.

❁ ومن ذلك أن ينظف فمه بالسواك أو الفرشاة والمعجون.

❁ ومن ذلك أن ينام على شقه الأيمن، ويستقبل بوجهه القبلة، ويضع راحة اليد اليمنى تحت الخد الأيمن.

❁ ومن ذلك أن يتلو أذكار النوم الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها،

(١) رواه البخاري (١٣٠/١١) «الدعوات»، ومسلم (٢٧١٤) «الذكر والدعاء».

(٢) رواه البخاري (٣٨٧/٦) «بدء الخلق»، ومسلم [٢٠١٢] «الأشربة»، ومالك في «الموطأ» (٩٢٩/٩٢٨/٢).

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»^(١).

✽ ومن ذلك ما رواه حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا»^(٢).

✽ وكذا يتلو أذكار الاستيقاظ من النوم، كما في حديث البخاري: كان النبي ﷺ إذا استيقظ من نومه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٣).

١٢- آداب السلام:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١]، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَإِذَا أَحْبَبْتُمْ بَنِيئَكُمْ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا أَنْتُمْ بِهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾ [النساء: ٨٦].

كما أن السلام حق من حقوق المسلم على أخيه لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس»^(٤).

وإفشاء السلام سبب جالب للمحبة والألفة بين المسلمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١١٧/١١) «الدعوات»، والترمذي [٣٤١٧] «الدعوات»، وأبو داود [٥٠٢٨ عون]، وأحمد (٤٠٧، ٣٨٥/٥) «الأدب».

(٣) السابق.

(٤) رواه البخاري (١٣٥/٣) «الجنائز»، ومسلم [٢١٦٢] «السلام».

(٥) رواه مسلم رقم [٥٤] «الإيمان»، وأبو داود [٥١٧١ عون] «الأدب»، وابن ماجه [٦٨] «المقدمة»،

وقال النووي: فقلوه ﷺ: «ولا تؤمنون حتى تحابوا» معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب.

❁ ومن آداب السلام أن يبدأ المسلم أخاه بالسلام، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»^(١).

❁ ومن آداب السلام أن يكون عند اللقاء وعند الفراق حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة»^(٢).

❁ ومن ذلك السلام على الصبيان الصغار فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل»^(٣).

❁ ومن ذلك تكرير السلام إذا حجز حاجز بين المسلم وأخيه لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه»^(٤).

❁ ومن ذلك أن يبلغ سلام من طلب منه تبليغه فإن ذلك أمانة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام» قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»^(٥).

❁ ومن ذلك أن لا يبدأ الكافر بالسلام؛ لعزة الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام»^(٦).

(١) رواه أبو داود [٥١٨٦ عون] «الأدب»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم [٤٣٢٨].

(٢) رواه أبو داود [٥١٨ عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٠٦] «الاستئذان»، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري (٣٤ / ١١) «الاستئذان»، ومسلم [٢١٦٨] «السلام».

(٤) رواه أبو داود [٥١٧٨ عون] «الأدب»، وقال الألباني: صحيح موقوفاً، ومرفوعاً، وانظر: «الصحيحة» رقم [١٨٦].

(٥) رواه البخاري (١٣٣ / ٧) «فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»، ومسلم [٢٤٤٧] «فضائل الصحابة».

(٦) رواه مسلم [٢١٦٧] «السلام»، وأبو داود [٥١٨٣ عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٠٠] «الاستئذان».

وإذا سلم عليه الكافر ضيق عليه بقوله: «وعليكم».

❁ ومن ذلك أن لا يستعمل في التحية غير السلام، وأن يترك تحية الكفار.

❁ ومن ذلك أن يسلم الماشي على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، لقوله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»^(١).

١٢- آداب السواك:

قال النبي ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»^(٢).

والسواك يعني: ذلك الأسنان وتنظيفها باستعمال عود من شجر الأراك أو ما يقوم مقامه من الأشجار النافعة كالششم وأصول الجوز ونحوها ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كان سماً.

وكان النبي ﷺ يتسوك في كل أحيانه، ويتأكد السواك عند تغير رائحة الفم، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند القيام إلى الصلاة، قال النبي ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٣).

(١) رواه البخاري (١١/ ١٧) «الاستئذان»، مسلم [٢١٦٠] «السلام».

وقال النووي: «هذا أدب من آداب السلام واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده واجب فإن كان المسلم جماعة، فهو سنة كفاية في حقهم إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم فإن كان المسلم عليه واحداً تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم» شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٩٩).

(٢) رواه النسائي (١٠/ ١) «الطهارة»، وأحمد (٦/ ٤٧، ٦٢، ١٢٤، ٢٣٨)، والدارمي (١/ ٧٤) «الطهارة»، وصححه الألباني في «الإرواء» [٦٦].

(٣) رواه مسلم [٢٥٢] «الطهارة»، والدارمي (١/ ٧٤) «الطهارة».

وكذا عند قراءة القرآن، تطيباً للفم، وتعظيماً للقرآن وعند إتيان الجمعة تجملاً لما رواه أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «حق على كل مسلم الغسل والطيب والسيواك يوم الجمعة»^(١).

وعند دخول البيت فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك»^(٢).

قال بعض العلماء: «لما في ذلك من تهيؤ لمقابلة الأهل، والحديث معهم، ولأن السواك مبارك، وفيه أنس، وتغيير لرائحة الفم التي ربما تغيرت من كثرة الحديث، فإن رائحة الفم تتغير بكثرة النوم، أو من كثرة السكوت، أو كثرة الكلام، فاستحب أن يتعاهد المسلم فمه بهذا السواك الجميل الذي ثبت عن معلم الخير عليه الصلاة والسلام»^(٣).

١٤- آداب العطاس والتثائب:

فمن آداب العطاس أن يحمد العاطس ربه - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن يدعو له إخوانه المسلمون بالرحمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه، يرحمك الله، فإذا قال يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»^(٤).

يقول الأستاذ صالح بن علي أبو عراد: «في ذلك توجيه نبوي يتمثل في أنه إذا عطس المسلم فإن عليه أن يحمد الله سبحانه على ما حصل له من نعمة ومنفعة بتلك العطسة التي

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [١٧٩٦].

(٢) رواه مسلم [٢٥٣].

(٣) «الآداب النبوية الترتيبية» [٧٦].

(٤) رواه البخاري (١٠/ ٦٢٣) «الأدب»، وأبو داود (٥٠١٢) «عون» «الأدب».

أخرجت الأبخرة المحتقنة في أنفه وخياشيمه، ولذلك شرع المربي الكبير والمؤدب العظيم ﷺ حمد الله على هذه النعمة؛ لأن حمد المنعم على النعمة مظهر من مظاهر كرم الأخلاق، وحب الحق، والاعتراف بالفضل، ومقابلة الجميل بالشأن عليه ثم إنه ورد في الحديث أن الله سبحانه يحب العطاس، وذلك لما فيه من إيقاظ للهمم، وتنشيط للجسم، ولما فيه من تذكير للإنسان بنعمة من نعم الله ليحمده عليها، ويذكره عندها، ثم يأتي بعد ذلك دور من سمعه ليشمته، أي: يقول له: «يرحمك الله»، وتسميت العطاس أدب تربوي نبوي اجتماعي، ينم عن خلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة^(١).

❁ ومن آداب العطاس أن يحرم المسلم من التسميت إذا لم يحمد الله - عزَّ وجلَّ - لما رواه أبو موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه»^(٢).

❁ ومن الآداب وضع اليد أو طرف الثوب على الفم عند العطاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه - أي: فمه - وخفض صوته، أو غض بها صوته»^(٣).

❁ ومن هذه الآداب التسميت إلى ثلاث مرات، فإذا عطس الرابعة دعا له بالشفاء، عن أبي هريرة مرفوعاً: «شمت أخاك ثلاثاً، فما زاد فهو زكام»^(٤).

ويكره أكثر أهل العلم تسميت المرأة الأجنبية الشابة، ولا يكره ذلك للعجوز، لأنه ليس هناك ريبة أو شهوة في الغالب.

(١) «الآداب النبوية التبروية» [٥٨].

(٢) رواه مسلم [٢٩٩٢] «الزهد».

(٣) رواه أبو داود [٥٠٠٨] «عون» [الأدب]، والترمذي [٢٧٤٥] «الأدب»، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود [٥٠١٣] «الأدب».

فمن آدابه أن يرد المسلم التثاؤب ما استطاع، لأنه اتباع للشيطان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإن تثاءب أحدكم، فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان»^(١).

❁ ومن ذلك أنه إن لم يستطع رده وضع يده على فيه أو ثوبه، لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه - أي: فمه - فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب»^(٢).

❁ ومن ذلك أن لا يرفع صوته بالتثاؤب ما استطاع، لما روى مسلم وأحمد والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإن أحدكم إذا قال ها.. ضحك الشيطان منه»^(٣).

١٥- آداب الاستئذان:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

فمن آداب الاستئذان أن يبدأ بالسلام.

(١) رواه البخاري (١٠/٦٢٦) «الأدب».

(٢) رواه مسلم [٢٩٩٥] «الزهد والرقائق».

(٣) رواه البخاري (١٠/٦٦٢) «الأدب مطولاً».

عن كلدة بن الحنبل رحمته الله قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع فقل السلام عليكم أَدْخُلْ»^(١).

❁ ومن ذلك أن يفصح عن اسمه إذا سئل، ولا يقول، أنا.

❁ ومن ذلك أن يستأذن ثلاثاً، فإن أذن له وإلا رجع لقوله صلى الله عليه وسلم: «الاستئذان ثلاث» فإن أذن لك وإلا فارجع^(٢).

وكذا لو قيل له ارجع يرجع سليم القلب، مسروراً بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْزِعُوا فَأَنْزِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [البُرْج: ٢٨].

❁ ومن ذلك ألا يقف في مواجهة الباب، لئلا تقع عينه على عورة من عورات البيت.

❁ ومن ذلك أن يتخير الوقت، فلا يهجم على أخيه في ساعة متأخرة من الليل، ولا في وقت راحته، أو طعامه، وأن لا يدق الباب دقاً عنيفاً، فقد كان الصحابة رحمهم الله يدقون أبواب النبي صلى الله عليه وسلم بالأظافر^(٣).

١٦- آداب المجلس:

قال الأستاذ/ محيى الدين عبد الحميد: «للمجلس آداب يجب أن يعلمها الآباء إلى أبنائهم، ويتابعونهم عند تنفيذها..»

١- الجلوس حيث ينتهي المجلس.

فعن جابر بن سمرة رحمته الله قال: «كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي».

(١) رواه الترمذي [٢٧١٠] «الاستئذان»، وأبو داود [٥١٥٥ عون]، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٨١٨].

(٢) رواه البخاري (٢٨/ ١١) «الاستئذان»، ومسلم [٢١٥٣] «الآداب».

(٣) يتصرف من «كيف نربي أولادنا إسلامياً» لمحيى الدين عبد الحميد [١٩٨] ط. مؤسسة بدران.

٢- عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنها.

لقول النبي ﷺ: «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنها»^(١).

وفي رواية أبي داود: «لا يجلس بين رجلين إلا بإذنها»^(٢).

٣- لا يجلس في وسط القوم بل يجلس محاذيًا للناس.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله من جلس في وسط الحلقة»^(٣).

٤- لا يتناجى مع آخر إذا كان الحاضر ثلاثة نفر.

لقول النبي ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، من أجل أن ذلك يحزنه»^(٤).

٥- إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به:

لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به»^(٥).

٦- الاستئذان قبل الانصراف.

٧- أن يردد دعاء كفارة المجلس عند القيام: لما رواه الحاكم وأبو داود بسند حسن عن أبي برزة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يقوم من المجلس

(١) رواه أبو داود [٤٨٠٤ عون] «الأدب»، والترمذي [٢٧٢٥] «الاستئذان»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني [٤٠٤٠] «صحيح أبي داود».

(٢) رواه أبو داود [٤٨٢٤] «الأدب»، وحسنها الألباني [٤٠٥٣] «صحيح أبي داود».

(٣) رواه أبو داود [٤٨٢٣] «الأدب»، والترمذي [٢٧٥٣] «الأدب»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن معين: أبو مجلز لم يسمع من حذيفة.

(٤) رواه البخاري (٨٤ / ١١) «استئذان»، ومسلم [٢١٨٤] «السلام».

(٥) رواه مسلم [٢١٧٩] «السلام»، وأبو داود [٤٨٣٢ عون] «الأدب».

قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»^(١).

١٧- آداب السفر:

قال أحمد بن قدامة المقدسي: «السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه، أو الوصول إلى مرغوب إليه.

والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن الوطن، وسفر بسير القلب من أسفل سافلين إلى ملكوت السماوات، وهذا أشرف السفرين، فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقب الولادة، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء لازم درجة القصور، قانع برتبة النقص، ومستبدل بمتسع عرضه السماوات والأرض ظلمة السجن، وضيق الحبس.

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادريين على التهام^(٢)

وللسفر آداب معروفة:

فمن ذلك أن يستحضر نية صالحة في سفره كطلب العلم، أو الحج أو العمرة أو كفاية نفسه ومن يعولهم، وصيانتهم عن ذل السؤال.

ومن ذلك أن لا يخاطر في سفره بدينه، كمن يسافر إلى بلاد الإباحية والفجور، والتبرج والسفور طلباً للرزق، بل يسافر إلى بلاد المسلمين، وإلى أرض هي أقل فتنة حتى يسلم له دينه.

ومن ذلك أن يرد المظالم، ويقضي الديون، ويعد النفقة لمن تلزمه نفقته.

(١) باختصار من «كيف نربي أولادنا إسلامياً» [١٩٩-٢٠٠].

والحديث رواه أبو داود [٤٨٣٦ عون] «الأدب»، والحاكم (١/٣٧٥) «الدعاء»، وقال الألباني: حسن صحيح - «صحيح أبي داود» رقم [٤٠٦٨].

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» [١١٩] ط. دار الإمام.

❁ ومن ذلك أن يستخير الله - عَزَّ وَجَلَّ - قبل سفره.

❁ ومن ذلك أن يختار صحبة طيبة، ولا يسافر وحده، فالمسافر شيطان، والمسافران شيطانان، والثلاث ركب.

❁ ومن ذلك أن لا يهمل أذكار وأدعية السفر.

١٨- آداب الكسب والمعاش؛

قال العلامة جمال الدين القاسمي في فضل الكسب والحث عليه: «أما من الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١]، فذكره في معرض الامتنان، وقال العجالي: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الاعراف: ١٠].

فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها.

وقال العجالي: ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأما الأخبار فمنها قوله ﷺ: «لئن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله، أعطاه أو منعه»^(١).

وقال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا، لا في أمر دنياه ولا في آخرته».

فمن آداب الكسب أن ينوي العبد الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم، واستعانة بما يكسبه على الدين، وقيامًا بكفاية العيال، ليكون من جملة المجاهدين به، ولينصح للنصحاء للمسلمين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، وليتوابع طريق العدل والإحسان في معاملته.

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) «الزكاة»، ومسلم (١٠٤٢) «الزكاة».

وأن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد، قَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [الزُّرَّ: ٣٧] (١).

وينبغي عليه أن يتحرى الحلال من الرزق، فإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البَقَرَةُ: ١٧٢].

وقال: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٥١].

قالوا: من أكل حلالاً فعل الطاعات، ومن أكل حراماً فعل المعاصي ومن أكل من الشبهات وقع في الشبهات.

وينبغي عليه أن يراقب الله تعالى في عمله، ويحسن إلى خلقه، وأن يوفي بما تعاقد عليه في عمله فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١].



٦] التربية الجسدية الجهادية

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «من أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسميًا، وتكوينهم صحيًا، هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية، وتمرينات رياضية. كلما سنحت لذلك فرص، أو تهيأت ظروف.

وذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه السامية جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء أو وفق بين مطالب الروح وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء.

والولد من حين يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي والتكوين الجسماني... بل هو أولى بملء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة وعلى أعضائه بالقوة، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط.

وذلك لثلاثة أسباب:

الأول- الفراغ الكثير المتيسر له.

الثاني- لوقايته من الأمراض والأسقام.

الثالث- لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة، وأعمال الجهاد^(١).

قال القاسمي: «يقول بعضهم: إن الرياضة الجسدية في الألعاب الرياضية صحية أخلاقية، إذ يستعان بها على صرف أهواء الشبان عما يضرهم، والأخذ بها إلى ما يفيدهم، فإن في النفس ميولًا متعددة، وأهواء متباينة كامنة، فما استعمل منها نشط ونما وتغلب في مبادئه، وأصبح ملكة راسخة، ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرف عن الضار

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٨٨٧).

إلى النافع، ويستعان بالألعاب الرياضية على ذلك، والألعاب الرياضية متعددة، وليست كلها نافعة، فعلينا أن نختار الأنفع منها للصحة»^(١).

يقول الدكتور/ بدير محمد بدير: «وتهدف الرياضة إلى تنمية اللياقة البدنية، والنمو الجسمي للشباب، بما يكسبهم درجة عالية من التحمل لمشاق العمل، ومقاومة الإجهاد والتعب، وكذلك استثمار أوقات الفراغ بما يوظف طاقات الشباب، ويعمق في نفوسهم معاني الشجاعة والإقدام، فيكونوا قادرين على حماية مجتمعهم من الفساد والتحلل، ووطنهم من الغزو بأنواعه، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجسام الشباب، وتزيدها قوة ومتانة على هدى أوامر الإسلام، في أوقات الرياضة، وتعلم أنواع الرمي المختلفة، واستخدام أنواع الأسلحة المتعددة، وقيادة الطائرات والسفن الحربية، وكل أمر يتعلق بالإعداد الجسمي والنفسي والميداني للشباب.

إن الإسلام في حاجة إلى كيان سليم قوي فياض، متحرك، متمكن من الحياة، إن رسالته هي رسالة القوة في الحق، القوة في البناء والتعمير، القوة في حمل الأمانة، القوة في القيام بمقتضياتها، القوة في الجهاد في سبيلها، والمسلم المجاهد من أزهد الناس في متاع الحياة الدنيا وزينتها، إنها هي زهادة القوة، لا زهادة اللامبالاة»^(٢).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ثم قال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»^(٣).

(١) «جوامع الأداب في أخلاق الأحاب» [٩١-٩٢].

(٢) «منهج السنة النبوية في تربية الإنسان» [١٠١].

(٣) رواه مسلم [١٩١٧] «الإمارة»، والترمذي [٣٠٨٣] «التفسير».

يقول المفكر الإسلامي / سيد قطب رحمه الله: «إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض» لتحرير «الإنسان» وأول ما تصنعه هذه القوة في جعل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.

والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين، فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة.

والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها.

والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية لله وحده، ومن ثم فالحاكمة له وحده سبحانه، إن الإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقرار عقيدة في القلوب وتنظيماً للشعائر، ثم تنتهي مهمته، إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات، وتقف وراءها قوى مادية، فلا مفر للإسلام لإقرار منهجه الرباني من تحطيم تلك القوى المادية وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى وتقاوم المنهج الرباني»^(١).

وروى أحمد والبخاري أن النبي ﷺ مر على نفر من أسلم يتصلون بالسوق - يتدربون على الرمي - فقال - صلوات الله وسلامه عليه - : «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان» فأمسك أحد الفريقين عن الرمي، فقال رسول الله ﷺ : «ما لكم لا ترمون؟» فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال ﷺ : «ارموا وأنا معكم كلكم»^(٢).

(١) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٥٤٣، ١٥٤٤) ط. دار العلم بجدة.

(٢) رواه البخاري (٦/ ١٠٧) «الجهاد والسير»، وأحمد (٤/ ٥٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بالخيّل التي أضمرت من الحيفاء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق^(١).

قال النووي: «وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، وهما مجمع عليهما للمصلحة في ذلك، وتدريب الخيل ورياضتها وتمرنها على الجري، وإعدادها لذلك ليستفّع بها عند الحاجة في القتال كراً وفرّاً»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعودله (ناقة فتية) فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين، وقالوا: سبقت العضباء، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»^(٣).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله - عزّ وجلّ - يدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنّعه الخير، والرامي به ومنبله وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها - أو قال: كفرها».

وفي رواية: «كل شيء ليس من ذكر الله - عزّ وجلّ - فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة»^(٤).

(١) رواه البخاري (٨٤/٦) «الجهاد والسير»، ومسلم [١٨٧٠] «الإمارة».

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/١٤).

(٣) رواه البخاري (٨٦/٦) «الجهاد والسير».

(٤) رواه الترمذي [١٦٣٧] «فضائل الجهاد»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود [٢٤٩٦] «الجهاد»، والنسائي (٢٨/٦) «الجهاد» مختصراً لكن ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم [١٧٣٢] ولم أحذفه كعادتي لشهرته وللتنبية عليه.

قال الخطابي: «وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة، وإنما استثنى رسول الله ﷺ هذه الخلال من جملة ما حرم منها، لأن كل واحد منها إذا تأملتها وجدت على معينة على حق، أو ذريعة إليه، ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة بالسلاح، والشد على الأقدام، ونحوها مما يرتاض به الإنسان فيتوقح بذلك بدنه، ويتقوى به على مجادلة العدو، فأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق ولا يستخدم به لدرك واجب محظور كله»^(١).

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثنا إذا أرهقني اللحم - أي: سمنت - سابقني فسبقني، فقال: «هذه بتلك»^(٢).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي: أما بعد: فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل...

قال الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية، والتدريبات الجهادية من مصارعة، وعدو، ورمية، وفروسية من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تربي أفراداً وجماعات على معاني القوة والفتوة والجهاد: تنفيذاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]».

وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(٣).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكرياً وحربيّاً، وتكونت صحياً وجسمياً، واكتملت إيمانياً ونفسياً وعزمت على الجهاد

(١) «معالم السنن» للخطابي (٣/ ٢٨-٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٦١ عون) «الأدب»، وصححه الألباني في «صحيح السنن» [٢٢٤٨]

(٣) رواه مسلم (٢١٥/ ١٦) «القدر»، وابن ماجه (٦٤) «المقدمة».

حركيًا وإراديًا.. فإنهم لا شك منهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوارة قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد، وهذا ما يعرف اليوم بالسلم المسلح، وهذا ما نوه بِعليٍّ الصَّلاوةُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر»^(١).

وينبغي أن يُعلم أن الألعاب الرياضية المنتشرة في عصرنا الحاضر منها ما هو مباح أو مستحب، ومنها ما حَرَّمه العلماء، فمن الرياضة التي حض عليها الشرع المناضلة وهي المسابقة بالرمي، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا»^(٢)، ففي الحديث الحث على المناضلة وهي الرمي بالنشاب وغيره، وكذا السباق، ويان أن الرمي أحب إلى الشارع وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا إنما القوة الرمي»^(٣).

ومن ذلك سباق الخيل كما سابق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الخيل المضمرة وغير المضمرة. وكانت العضباء ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُسَبِّقُ، حتى أتى أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها، ولما اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيب خاطرهم بقوله: «إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه».

وكذا سابق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فسبقها، فقال: «هذه بتلك»^(٤).

وسابق سلمة بن الأكوع أحد الصحابة على مرأى من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبقه. كما في «صحيح مسلم»^(٥).

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٨٨٩-٨٩٠)، والحديث رواه البخاري (٤٣٦/ ١) «التيمم»، ومسلم (٤، ٣، ٥) «المساجد».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه مسلم (١٧٧/ ١٢) «الجهاد».

ومن الرياضة المشروعة كذلك المصارعة التي ليس فيها إيذاء، فقد صارع النبي ﷺ ركانه وصرعه، أما ما يسمى بالمصارعة الحرة والتي يستباح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به فغير جائزة، لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(١).

ومن الرياضة المستحبة السباحة، وكان الأقدمون يهتمون بأمر السباحة اهتماماً عظيماً لأنها تقوي العضلات وتنشطها دون أن تُتعب البدن تعباً شديداً وهذا الفن هو بدون شك من أقوى المروضات البدنية، فالسباحة تجمع بين الرياضة والنظافة^(٢).

ومن الرياضة المباحة صيد البر والبحر، قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

والصيد إما بالآلة الجارحة كالسهام، وإما بالحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم أو البازي والصقر من سباع الطيور قال تعالى: ﴿قُلْ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّبِيبُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]^(٣).

ومن ذلك اللعب بالحراب، وقد أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وكذا كمال الأجسام ورفع الأثقال.

أما اللعب بالكرة، والملاكمة، والمصارعة الحرة، ومصارعة الثيران، والمشي على الحبال، واللعب بالطاولة (النرد)، والشطرنج، فقد أفتى العلماء بحُرمتها، وأسباب التحريم مختلفة.

(١) رواه مالك في «الموطأ» مرسلًا (٢/ ٧٤٥) «الأقضية» وخلاصة القول فيه أنه صحيح بطرقه وقد احتج به جماهير أهل العلم، وانظر: «تحقيق جامع الأصول» (هامش ٦/ ٦٤٤، ٦٤٥).

(٢) «جوامع الآداب في أخلاق الأجباب» بتصرف [٩٤].

(٣) انظر: «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٩٣٨).

وينبغي أن ينبه أيضًا على أن الألعاب المباحة يشترط فيها أن لا تتضمن مخالفات شرعية، ككشف العورات، والانشغال الكثير بها إلى درجة شغل القلب بها وكذا إضاعة الواجبات الشرعية كالصلاة، والله أعلى وأعلم.



[٧] التربية على العفة والاستعفاف

والعفة: هي الكف عما لا يحل ولا يجمل.

والاستعفاف: طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن يستعفف يعفه الله»^(١).

والعفة خلق إيماني رفيع، زينة للرجل المسلم والمرأة المسلمة في الدنيا والآخرة، يحفظان به إيمانهم، ويضمنان به استقامتهما، ويستجلبان به رضا ربهما، ويعتصمان به من معاصيه وسخطه، ويحفظان به شبابهما وصحتهما.

ومما يدل على فضل العفة والاستعفاف قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

قال الزمخشري: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفٌ﴾ وليجتهد في العفة وظلف النفس^(٢). كأن المستعفف طال من نفسه العفاف، وحاملها عليه ﴿لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوج، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ترجية للمستعفين، وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأمله لطفاً لهم في استعفافهم، وربطاً على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء، وأدنى من الصلحاء^(٣).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾ [النور: ٦٠].

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢) «الزكاة»، ومسلم [١٠٥٣] «الزكاة».

(٢) ظلف النفس: أي منعها.

(٣) «الكشاف» (٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، للزمخشري. ط. دار الريان للتراث.

ومن الآيات الكريمة في الحَصِّ على العفة وبيان سبيلها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

فغض البصر طلب للعفة، لأن غضه وسيلة إلى حفظ الفرج، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ومن الآيات التي تحض على العفة وتمدح أهلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُجُهُمْ حَافِظُونَ﴾ [١٩] إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ [المعارج: ٢٩-٣٠].

وكذا الآيات التي تحض على الزواج، فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَلِمَا بَيْنَكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وكذا الآيات التي تحض على الحجاب، فإنها تحض على العفة والطهارة، وزكاة النفس وطهارة المجتمع، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا تَزُوجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُوذِينَ﴾ [الاحزاب: ٥٩] ^(١).

والشرع كله طهارة وعفة، وصيانة للقلب والجوارح، ومن سلم نفسه للشرع المتين تولى تطهيره وتطيبه وحمايته ورعايته، فليس على المؤمن إلا أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل، فالإسلام يحرم على المسلم النظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، ومصافحتها والدخول عليها، والسفر بها، ويحرم على المرأة التبرج، والخضوع بالقول، والتطيب خارج بيتها، فيكون بين المسلم الملتزم بالشرع وبين الفاحشة أبواب كثيرة مغلقة، وقد قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فحرم الزنا وكذا الذرائع والطرق الموصلة إليه، فالنظر المحرم والخلوة المحرمة، والسفر المحرم كل ذلك يقرب من الفاحشة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ويكفي في قبح الزنا أن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مع كمال رحمته شرع فيه أفحش القتلات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قُبِحَ أن الله سبحانه فطر عليه بعض الحيوان البهيم الذي لا عقل له، كما ذكر البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت في الجاهلية قردًا زنى بقردة فاجتمع عليهم القروء فرجوها حتى ماتا، وكنت فيمن رجهما»^(١).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ ما ملخصه: «والزنا يجمع خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، لا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمة وعياله.

❁ ومنها: سوء الوجه وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين، من ظلمة الوجه وطمس نوره.

❁ ومنها: الفقر اللازم.

❁ ومنها: أن يذهب حرمة فاعله، ويُسقطه عن عين ربه ومن أعين عباده.

❁ ومنها: أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفساق والزاني والخائن.

❁ ومنها: أن يسلبه اسم المؤمن كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٢).

(١) «روضة المحبين» [٣٥٩]، والحديث رواه البخاري (١٨٢/٧) «مناقب الأنصار».

(٢) رواه البخاري (٣٠/١٠) «الأشربة»، ومسلم (٤١/٢-٤٢) «الإيمان»، والترمذي [٢٦٢٥] «الإيمان».

❁ ومنها: أنه يعرض نفسه لسكنى التنور الذي رأى النبي ﷺ فيه الزناة والزواني^(١).

❁ ومنها: أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة كما قال العجالي: ﴿الْخَيْثُ لِلْخَيْثِ وَالْخَيْثُ لِلْخَيْثِ وَالْطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ﴾ [الأثر: ٢٦].

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بل جعلها مأوى الطيبين ولا يدخلها إلا طيب.

❁ ومنها: الوحشة التي يجعلها الله - عَزَّ وَجَلَّ - في قلب الزاني وهي نظير الوحشة التي تعلق وجهه فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي لقيه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلق وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش منه.

❁ ومنها: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهلها وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يرزق الخلاوة والمهابة.

❁ ومنها: أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، فلا يأمنه أحد على حرمة، ولا على ولده.

❁ ومنها: الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم.

❁ ومنها: ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خير قط.

❁ ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور، وانشرح الصدر، وطيب العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف ما حصل له، مع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

(١) كما في حديث سمرة بن جندب، رواه البخاري (٣/ ٢٥١-٢٥٢) «الجنائز».

❁ ومنها: أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحوار العين في المساكن الطيبة في جنات عدن.

❁ ومنها: أن الزنا يُجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر، وأشرك وهو يدري أو لا يدري فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها ويتولد عنها أنواع آخر من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها، وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوق في حبالها وشراكها عزَّ على الناصحين استنقاذه، وأعياء الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يفدى، وقتيلها لا يودي، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلى بها عبد فليودع نعم الله، فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُ أَمْرًا أَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١) [الزمر: ١١]

ومما يعين على تربية الشباب على العفة معرفته شمات العفة العاجلة والأجلية:

❁ فمن ثمرتها: طهارة الفرد، ونقاء المجتمع، فالعفيف يحيا حياة اجتماعية مستقرة، يتمتع بالسمعة الطيبة، والذكر الحسن، والزواج السعيد، ويهنا بنفسية مُستقرة مطمئنة، يأنس بالطاعة وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة، بحيائه، وعفافه وحشيمته وتقواه، وسرته، وصبره، فقل لي بربك ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء، أم أن سعادة المجتمع في ذلك الذي استمرأ العيش في الظلام، وأكل اللحم الحرام، لا يرضى المحرمات، ولا هم له إلا إشباع الشهوات (٢).

(١) باختصار من «روضة المحبين» [٣٦٣-٣٦٠].

(٢) بتصرف من «العفة ومنهج الاستغفار» [٩٨-٩٩].

❁ ومن ثمراتها: النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة التي تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات كالإيدز، والزهري، والسيلان نعوذ بالله من الخذلان.

❁ ومن ثمراتها: التدريب على مخالفة الهوى، والله - عَزَّ وَجَلَّ - لم يجعل للجنة طريقاً إلا في مخالفة الهوى، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التَّائِبَاتِ: ٤٠-٤١]، وقد حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات.

❁ ومن ثمراتها: التدريب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصي، فمن استطاع مخالفة هوى نفسه تقوى إرادته في سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفها عن سائر المعاصي، أما من اتبع هوى نفسه، وخالف مقتضى العفة والاستعفاف، فإنه تقوى عليه نفسه في سائر الميادين، فلا تراه يصمد أمام عدو، أو يصبر إذا تعرض لبلاء، أو يثبت إذا تعرض لفتنة النساء.

❁ ومن ثمراتها: أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ تَجَالَّى: ﴿كَذَلِكَ يَنْصَرِفُ عَنْهُ الشُّرُوءُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يُونُسَ: ٢٤].

روي عن عبد الله بن عمر قال: «صِدْقُ الْإِيمَانِ أَنْ يَخْلُو الرَّجُلُ بِالرَّأَةِ الْحَسَنَاءِ فَيَدْعُهَا لَا يَدْعُهَا إِلَّا لِلَّهِ». قوله: «يَخْلُو» لا يقصد به أنه يعتمد الخلوة، ولكن المقصود إذا خلا بها في ظروف من الظروف والله أعلم.

❁ ومن ثمراتها: أن يصون العبد عرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعرضه، والجزاء من جنس العمل، وقد قيل: من كان يحرص على عرضه فليحرص على أعراض الناس، وكل دين لا بد له من وفاء، ودين الأعراض وفاؤه الأعراض، والمرء يهتك عرضه حين يهتك أعراض الناس.

❁ ومن ثمرات العفة: الوصول إلى الزواج المثالي: فإن الشاب الذي أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض، وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد، لن

يطيق صبراً عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك الفتاة التي خرجت من حصنها العفيف، وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبة نصوح، أما أهل العفاف من الرجال والنساء، فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية، وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر إلى النهاية.

❁ ومن ثمراتها: أن يستظل العبد العفيف بظل عرش الرحمن يوم القيامة، كما في قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»... وفيه: «رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»^(١).

قال النووي: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لاسيما وهي داعية إلى نفسها، طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال - من أكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله»^(٢).

الطريق إلى العفة:

فمن أراد الوصول إلى هدف سام ينبغي عليه أن يسلك الطريق الموصلة إليه، وأن يأخذ بأسباب تحصيله فما هي الأسباب الموصلة إلى العفة وبمعنى آخر كيف يكون الاستعفاف، وهو طلب العفة؟

(١) رواه البخاري (١٦٨/٢) «الأذان»، ومسلم رقم [١٠٣١] «الزكاة».

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/١٧١).

وهذه جملة أسباب بحسب الاجتهاد لا الحصر:

١- تقوية الإيمان فمهما ضعف إيمان العبد صار لا يتورع عن المعاصي والشبهات، ويتكاسل عن الطاعات الواجبات، وقد قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...»^(١).

فإذا كانت شجرة الإيمان ضعيفة في قلب العبد فإنها لا تثبت إذا أتها عواصف الشهوات أو الشبهات، فمن أراد الثبات على الإيمان والبعد عن معصية الملك الديان فعليه بتقوية شجرة الإيمان وإحياء وازع التقوى، واستشعار مراقبة الله - عزَّ وجلَّ - له، **قَالَ تَجَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [التَّيْد: ٤]**، وقال النبي ﷺ في بيان درجة الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فتعلم أن الله يراك»^(٢).

ومهما استشعر القلب حلاوة الإيمان والمراقبة فإنه يستحي من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه:

إذا ما خلوت الدهر فلا تنل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

راود رجل أعرابية في ليلة شديدة الظلمة، وقال لها: والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها؟ والتقوى هي علم القلب بقرب الرب.

٢- إحياء الآداب الإسلامية كآداب النظر والخلطة والاستئذان، فمهما أهمل العبد هذه الآداب الإسلامية دخل عليه الشر، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته.

(١) رواه البخاري (٣٣ / ١٠) «الأشربة»، ومسلم (٤١ / ١٢) «الإيمان».

(٢) رواه البخاري (٩١١٤ / ١) «الإيمان»، ومسلم (١٥٧ / ١ - ١٦٠) «الإيمان».

قال بعضهم:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الناس موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكذا البعد عن أماكن الاختلاط والفجور، والتبرج والسفور، ومخالطة أصحاب الشهوات، والمعرضين عن طاعة رب الأرض والسموات، فإن في خلطة هؤلاء ترغيباً في الدنيا الدنية والشهوات الدنيوية، أما مخالطة أهل الزهد والورع والرغبة في الآخرة، فإنها ترغب في ما عند الله من نعيم وتزهد في زينة الدنيا الفانية.

وكذا مراعاة آداب الاستئذان، فلا يهجم على أحد بغير استئذان ولا يقف أمام الباب عند الاستئذان حتى لا تقع عينه على عورة غافلة وقد قدمنا في باب التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية هذه الآداب بشيء من الإسهاب فلا نطيل بذكرها والله الهادي.

٣. البعد عن المثيرات الجنسية:

قال الدكتور/ عبد الله ناصح علوان: «من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده ما يثيره جنسياً ويفسده خلقياً، وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة، وهو السن الذي يتراوح ما بين العاشرة إلى البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف المربي كيف يربي الولد، وكيف يتشله من أحوال الفساد وبيئات الانحلال؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل، والأدب الرفيع، والتربية الإسلامية السامية»^(١).

❦ فمن المثيرات الجنسية التي ينبغي أن يتجنبها الشاب: أماكن التبرج والتهتك والسفور. كالأسواق، والبلاجات، وأماكن اللهو والمتنزهات.

﴿ ومن المثيرات الجنسية: الصور الفاضحة التي تمتلئ بها الجرائد والمجلات التي يقوم عليها تجار الشهوات، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. ﴾

﴿ ومن ذلك المسلسلات الهابطة والأفلام الساقطة التي تعرض على شاشة التلفاز والفيديو وأجهزة استقبال البث المباشر، التي تنقل إلى بيوت المسلمين الحياة الغربية العفنة التي مات فيها الحياء، وذهبت الغيرة، وضاعت الأخلاق، واختفت معاني الشرف والمروءة، وصار الناس أضل من البهائم: ﴿ يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٢]، فإذا ألف الناس رؤية المتبرجات والمتهتكات ورؤية الاختلاط الماخن بين الرجال والنساء، فإنهم لا يستقبحون القبيح، ولا ينكرون المنكر، فينبغي أن يصون المسلم سمعه وبصره وجوارحه من كل ما يثيره، حتى يحيا حياة عفيفة طاهرة مطمئنة نظيفة. ﴾

قال في تربية المراهق في رحاب الإسلام: «ومن أجل منع الإثارة الجنسية أوجب الإسلام على المرأة إذا بلغت سن الرشد الالتزام بالحجاب عند خروجها، وجعل للورة حدوداً فلا يكشف من المرأة ما يثير فتنة، ولا يظهر شيئاً من حسن أو جمال، وجعل لباس المرأة لا يصف الجسم، ولا يشف عنه. قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها توجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

(١) «تربية المراهق» [١٠٩]، والحديث رواه مسلم [٢١٢٨] «اللباس».

وقال النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين.

قيل: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها: وقيل: تستر بدنهما وتكشف بعضه إظهاراً بحالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهما، وأما مائلات فقيل معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه مائلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم. «شرح النووي على صحيح مسلم» (٩٥٦/١٤).

٤- التبكير بالزواج:

عملاً بقول النبي ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

فإذا بلغت الفتاة سن الزواج، وتقدم لها من هو كفؤ لها، فعلى وليها أن يبادر بتزويجها، وكذا الشاب إذا كان عنده مؤن الزواج أو يملك والده أن يزوجه فعليه أن يبادر إلى تزويجها، فإن الزواج أغض للبصر، وأحصن للفرج، وإن لم يفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

يقول الدكتور/ بدير محمد بدير: «حثت السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب، فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع، وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام، وتفشي الأمراض الفتاكة بطاقة الشباب من التي تقضي على النسل، وتوهي القوة، وتنتشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء»^(٢).

ويقول الدكتور/ عبد العزيز بن محمد النعيمشي ما ملخصه: «وهكذا نجد أن الإشباع الغريزي حاجة ملحة في مرحلة المراهقة، وأن النضج المبكر يقتضي الإشباع المبكر، ويكون ذلك بالزواج المبكر، والزواج المبكر هو الأصل والطريق الطبيعي الفطري لتلبية الحاجة الغريزية والشوق والميل إلى الجنس الآخر بسبب هذه الحاجة الملحة، والأسباب الأخرى أمر يقعده المنهج الإسلامي ويؤصله، ويبين الأسلوب الناجح في إشباعه وتوجيهه، وقد سبقت الإشارة إلى أن المنهج الإسلامي منهج فطري واقعي في كل مطالبه وتشريعاته»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٤٢/٤) «الصوم»، ومسلم [١٤٠٠] «النكاح».

(٢) «منهج السنة في تربية الإنسان» [١١٩].

(٣) «المراهقون دراسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة» [٨٧-٨٨] ط. طيبة.

٥. اختيار الصحبة الصالحة التي ترشد إلى الخير وتعين عليه وتحذر من الشر وتمنع منه، فمن أراد سلامة دينه ودينه وصيانة نفسه وعفتها وكرامتها فعليه بالانضمام إلى رفقة صالحة تؤنس في غربته، وتعينه على طاعته فليس شيء أنفع للعبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وليس شيء أضر على العبد من مجالسة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم، وقد قال النبي ﷺ: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تشم منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تشم منه رائحة خبيثة»^(١).

فمن وُفق للصحبة الصالحة أخذت بيده إلى طريق العفة والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن سقط في رفقة فاسدة أضاعت عليه دينه وآخرته، ولم ينل منها إلا الصفقة الخاسرة والتجارة البائرة.

يقول الأستاذ/ محمد حامد الناصر: «ولعظم الأثر الذي تحدثه الرفقة ووضوح هذا التأثير في شخصية الصديق وسماته صار المربون والمجربون يعرفون المرء من رفقائه وجلسائه ويقومونه بمعرفتهم لأصدقائه وقرنائه، وقد جاء في الأثر: وإياك وقرين السوء فإنه به تعرف».

ونادى الحكماء باستخدام هذا المقياس الدقيق للتعرف على شخصية الإنسان وشأئله.

حتى قال بعضهم^(٢):

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالقرن يقتدي

(١) تقدم نخبه.

(٢) «تربية المراهق في رحاب الإسلام» [٢٤٨] ط. رمادي للنشر وابن حزم.

٦. ومما يعين على العفة التسامي والاستعفاف:

عملاً بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَلَيْسَتَعَفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الزُّر: ٣٣].

ويقول النبي ﷺ : «ومن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

والمقصود بالتسامي والاستعفاف، هو أن يجتهد المسلم بكل طاقته في العبادة والطاعة والدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، وأن يكثر من الصيام الذي يكسر الشهوة، وتذل به النفس، فيقوى عليها المؤمن ويطوعها الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فإذا لم يبذل العبد جهده ووقته في الطاعة والدعوة والرياضة المباحة شغلته نفسه بالباطل والمعاصي، وقد وعد الله من سلك طريق العفة والاستعفاف بتسهيل طريق الزواج الذي يشبع فيه العبد نفسه بما شرعه الله - عَزَّ وَجَلَّ - - وأحلّه، فقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الزُّر: ٣٣].

قال الدكتور/ عبد الله ناصح علوان ما ملخصه: «فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي، أو عقلي أو قلبي أو جسدي، يستنفذ هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل، والانغماس في البحث، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية، أو البطولة الرياضية»^(٢).

٧. ومما يعين على العفة معرفة بعض المواقف الإيمانية في العفة والاستعفاف:

كموقف نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعفته من امرأة العزيز، وهي التي راودته عن نفسه وهو في بيتها، وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، فاعتصم بالإيمان ولجأ إلى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تربية الأولاد» (١/ ٥٩٣).

الرحمن، وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يُونُسُ: ٢٣]، ولما كثر الكيد عليه من امرأة العزيز ونساء المدينة استعان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - عليهن وقال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِلِينَ﴾ [يُونُسُ: ٣٣].

ومن ذلك قصة مرثد بن أبي مرثد الصحابي رضي الله عنه، وغير ذلك من المواقف الإيمانية الشريفة، وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتاب «مواقف إيمانية» فلا نطيل بإعادة ذكرها والله المستعان.



الْفَضْلُ الْمُرَاتِعُ

الهدى القرآني في التربية

لا شك في أن التربية القرآنية هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن منجماً، يغرّس فيهم أصول العقائد، ويُعمق فيهم المعاني الإيمانية الشريفة، ويثبتهم على الإيمان، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون الآيات القرآنية بالإيمان والتصديق، ويصدرون عنها بالعمل والاستجابة والطاعة، فترقى بهم القرآن إلى أعلى درجات اليقين والصدق والإخلاص والبذل والتضحية والثبات، وظهرت فيهم المواقف الإيمانية والأحوال الشريفة التي تصدق ما في قلوبهم من إيمان وتصديق بالقرآن، وكان أمام الصحابة رضي الله عنهم التطبيق العملي للقرآن وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم قرآناً يمشي على الأرض، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن»^(١).

وهذه أمثلة للتربية القرآنية:

١- القرآن يربي في قلوب الناس عقيدة التوحيد:

قال الأستاذ/ محمد شديد: «وقد كانت البشرية قبل القرآن متردية في حمأة الوثنية والشرك، بين عبادة الأصنام بشتى الصور والأشكال، وبين دعوى البنوة لله تعالى التي كانت عند العرب في صورة بنوة الملائكة لله، وعند مُشركي اليهود في صورة بنوة عزيز لله وعند مشركي النصارى في صورة بنوة عيسى لله، فجاء بها القرآن ناصعة واضحة جليلة، ليس فيها لبس ولا غموض، ولا تنجح إلى الأحاجي والألغاز، ولا تصطدم بمنطق أو تفكير، ولا تحير العقول والأفهام، ولم يلجأ القرآن قط في إقامة الدليل عليها إلى أقضية المنطق الجافة ولا إلى الإقناع الذهني المجرد، إنما جاء بالأدلة السهلة الواضحة، التي

تخاطب العقل والقلب، وتثير التفكير والوجدان، قوية ناصعة لا تدع سبيلاً إلى جدل ولا مراء، فقرر الحقيقة أولاً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ (٣) وَمَا يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ثم أقام الدليل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِئُونَ ۝ (١١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ فَسَدَنَّا فَسَبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٢].

وفي موطن الرد على مشركي النصارى الذين اختلط عليهم الأمر من قبل ولادة عيسى، ذكر القرآن قصة مولده، ثم أبان أنه إذا كان ولد بغير أب فقد خلق آدم من تراب بغير أب ولا أم.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ثم وجه إلى عدم الماراة والجدل، وسلك في سبيل الإقناع أسلوباً يستثير عوامل الخير، ويخاطب كوامن الإيمان في النفس.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١].

٢- القرآن يربي في قلوب العباد ملكة المراقبة والتقوى،

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَالَ الْعَالِي: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ (٨) عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨-١٠].

وَقَالَ الْجَلَّى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

فهما استشعر قلب العبد اطلاع الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله - عَزَّ وَجَلَّ - للخلق كلهم، ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد والنصرة، والتسديد كما قَالَ الْجَلَّى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [التكاث: ١٢٨]، وقوله تعالى هارون وموسى: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦].

فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى.

والمعية الثانية الخاصة: تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره.

٣- القرآن يربي المسلم على أن تكون علاقته مباشرة مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا يحتاج إلى وسائط ولا شفعاء.

وَقَالَ الْجَلَّى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ الْجَلَّى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [إعاف: ٦٠].

وَقَالَ الْجَلَّى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ [التكاث: ٦٢].

فمن أراد أن يتوب ويرجع إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يحتاج أن يذهب إلى كاهن، أو ذي سلطان ديني حتى يرفع توبته، ولا يحتاج إلى شفعاء يشفعون له عند الله - عَزَّ

وَجَلَّ - ومن أراد أن يسأل شيئاً فعليه أن يرفع حاجته إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - مباشرة دون الرجوع إلى أحد من مخلوقاته كما قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

٤- القرآن يربي المسلم على التفكير فيما يقع تحت حواسه من أحداث وآيات ليستدل بها على وجود الله - عَزَّ وَجَلَّ - وقدرته وعظمته.

قَالَ تَجَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾^(٥٨) ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿ [الزَّحْزَاجَةُ: ٥٨-٥٩]،
وَقَالَ تَجَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾^(٧١) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿
[الزَّحْزَاجَةُ: ٧١-٧٢]

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١٩٠].

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾^(٢) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿
[الزَّحْزَاجَةُ: ٢٠-٢١]

فالقرآن يربي المسلم على التدبر والتفكر في مخلوقات الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وفيما يقع أمامه من أحداث، ليستدل بها على عظمة الله وقوته، فيزداد إيماناً بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ووحدانيته.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

٥- القرآن يربي المؤمن على الثقة بنصر الله - عَزَّ وَجَلَّ - واليقين بوعده، قَالَ تَجَالَى: ﴿ وَمَا أَنْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠]، وَقَالَ تَجَالَى: ﴿ وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُحْذِرُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النَّحْلُ: ٢٢]، وَقَالَ تَجَالَى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الرُّومُ: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمِ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [بَنَافَةَ: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴾ [الصَّافَات: ١٧٣].

كما بين القرآن من الذين يستحقون نصر الله فقال تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

فالذين يستحقون نصر الله هم الذين نصر الله بتحليل حاله وتحريم حرامه، والإخلاص في الدعوة إلى دينه، وبذل الغالي والرخيص لإعزاز دينه، الذين يستحقون نصر الله هم الذين يحبهم الله ويحبونه، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. الذين يستحقون نصر الله هم الذين باعوا أنفسهم لله - عَزَّ وَجَلَّ - يطلبون رضى الله وجنته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَكُنْهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾

[الْمَائِدَةُ: ٥٤]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١١].

٦- القرآن يربي المؤمن على الاستعداد للقاء الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن كل أحد من البشر له أجل محدود، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون؛

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ [النِّسَاء: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنَّا مُّوَحِّدًا ﴾ [الزُّمَر: ١٤٥].

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾

[الأنعام: ١٥٤]

ولما قال المنافقون بعد غزوة أحد: لو أطاعنا المؤمنين وتحلفوا معنا ما ماتوا وما قتلوا، يَبِّنَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن المقولة كافرة لأن فيها إنكاراً لحقيقة الأجل الذي حدده الله - عَزَّ وَجَلَّ - لكل واحد.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

وبين الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن الذين يقتلون في سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يجوز أن يطلق عليهم أنهم أموات، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فقد انتقلوا من حياة إلى حياة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[الأنعام: ١٦٩]

٧- القرآن يربي المؤمن على معرفة الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله - عَزَّ وَجَلَّ - والهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه وهو رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ - وابتغاء وجهه.

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

وبين للمسلم أن نية العبادة والطاعة ينبغي أن تصاحب المسلم في كل قول أو فعل أو حركة أو سكون.

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فكما يصلي الله - عَزَّ وَجَلَّ - ويذبح لله - عَزَّ وَجَلَّ - فهو يأكل ليتقوى على طاعة الله، وينام يحتسب نومه عند الله، لأنه أيضًا يستعين به على طاعة الله، ويتزوج ليستعين بذلك ويتقوى على طاعة الله، فهو في كل أحواله عبد مطيع لله - عَزَّ وَجَلَّ -، لا يحل بحال أن ينسلخ عن العبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ -، وكل من ينسلخ عن العبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يقع في عبودية غير الله من الأحجار، والأشجار، والهوى والمال، والنساء، والطواغيت، فكلما اكتملت عبودية المسلم لله - عَزَّ وَجَلَّ - تحرر من عبودية غير الله وكلما نقصت عبوديته لله وقع في عبادة غيره، ولذلك كانت وظيفة الرسل وأتباعهم تعبيد الناس لله - عَزَّ وَجَلَّ - وتحريرهم من عبادة غير الله، فكل رسول قال لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، وهذا ربي بن عامر تلميذ رسول الله ﷺ يقول لرستم قائد الروم: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كما يربي القرآن المؤمن على معرفة الهدف الذي يهدف إليه وهو الوصول إلى رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والفوز بجنته، والنظر إلى وجهه وهو أعلى نعيم أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا أَتَيْنَاهُ بِجَهْدٍ ۚ وَلَهُ الْعِزَّةُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الزَّلْزَلَةُ: ١٩-٢٠].

٨- القرآن يربي المسلم على أن التفاضل بين الناس ليس بالحسب ولا بالنسب ولا بالمال ولا بالشهرة وإنما هو بتقوى الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمُ﴾ [الحَجَرَاتُ: ١٣].

كان أبو لهب عم النبي ﷺ قرشيًا هاشميًا وحكم عليه القرآن بالنار وهو يمشي على الأرض فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۚ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [الْمَنَافِقُ: ١-٥].

وكان سلمان فارسياً لم يكن عربياً فضلاً عن أن يكون قرشياً وارتفع بتقوى الله - عزَّ وجلَّ - واتباع رسوله ﷺ وقد قال بعضهم:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب
وكان سلمان رضي الله عنه يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

٩- القرآن يُربي المسلم على الآداب الإسلامية المباركة كأداب بر الوالدين وآداب النظر، وآداب الاستئذان وآداب الحكم:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آدَابِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آدَابِ النَّظَرِ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آدَابِ الْاسْتِئْذَانِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آدَابِ الْحُكْمِ: ﴿وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

١٠- القرآن يُربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والبذل لإعزاز دين الله - عَزَّ وَجَلَّ -

قَالَ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَّهُ مُتَصَفِّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾

[الحج: ٢٠]

فمهما زهد العبد في الدنيا وعرف حقارتها، وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ - والفوز بجنته، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفَأَقَلُّتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وقد كانت مواقف الصحابة رضي الله عنهم في البذل والتضحية على أعلى مستوى من الجلالة والعظمة، لارتفاع رتبهم في الزهد في الدنيا واليقين بالآخرة، والصدق مع الله - عَزَّ وَجَلَّ -

١١- القرآن يُربي في المسلم العواطف الربانية الوجدانية،

يقول الأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي ما ملخصه: «يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية:

(أ) كعاطفة الخوف من الله التي أمر الله بها ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٧٥]، ومدح عباده الذين يخافونه ووعدهم بالثواب العظيم ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [التين: ٤٦] بل أمرنا أن ندعوه خوفاً من عذابه وطمعا في ثوابه.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ خَفِيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿[الاعراف: ٥٥-٥٦].

وعلى تربية هذه العاطفة الربانية بنيت بعض العبادات كالصوم، وتحريم الصيد في الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

كما بني كثير من المعاملات الإسلامية عليها كالنصح في البيع والشراء، ورعاية اليتيم، وحسن معاملة الزوجة، والعدل بين الأولاد، فكل من خاف ربه كان إنساناً فاضلاً عادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستح من ربه يفعل ما يشاء لا ضابط ولا وازع، له قلب كاللحجارة أو أشد قسوة.

(ب) الخشوع: معناه التذلل والخضوع والشعور بالانقياد والعبودية لله، وهو ثمرة الخوف.

وقد ورد الحظ على الخشوع عند ذكر الله وقراءة القرآن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَحْشَع قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

(ج) المحبة: فطر الإنسان منذ طفولته على الميل إلى أن يحب ويكون محبوباً، وقد ورد الحب في القرآن في عدة آيات والحب في الأصل - كما هو معروف بين الناس تعلق المحب بالمحبيب وتتبع آثاره ودوام تذكره وحضور القلب معه وعمل ما يرضيه ويحقق سروره.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن كثير: ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجئون إليه في جميع أمورهم.

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٣١].

فجعل الله اتباع رسوله الذي يبلغ أوامره من شروط محبته.

كما وصف الله الذين يحبهم الله ويحبونه بقوله: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإذا تتبعنا حياة الرسول ﷺ وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصاً على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته، دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله الشعور بفضله، والتعرف إلى نعمه، وإلى ما أعد للمؤمنين في جنات النعيم، وطول مناجاته، وقراءة كلامه، وتأمل آثار رحمته... الخ.

(د) الرجاء: وهو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعاً إلى الجهاد وطلب الموت في سبيل الله، فكان الصحابي والمجاهد يقول: بخ بخ هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل فأقتل في سبيل الله؟ ويهجم على الأعداء حتى يستشهد، وغرس هذا الرجاء في نفوس الناشئة ينبني على الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى الإكثار من وصف الجنة ونعيمها، وربطها بضرورة التقيد بأوامر الله، وترك نواهيها، وبالجهاد وإعلاء كلمة الله^(١).

وختم حَفْظُ اللَّهِ بحثه بما ملخصه: «تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها.

فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمن والرجاء فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته، وقد نهي الله عن هذا اليأس، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

كذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح بزوال الشدة وقوتها، مما يدعوه إلى العودة إلى المعاصي.

بل ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف من عقاب الله وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور والرجاء في رحمة الله، فلا يأس من عفوه وكل من اليأس والغرور يؤدي إذا تمادى بصاحبه إلى الكفر أو الفسوق والطغيان، كما يفهم من الآيات السابقة.

ومن قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ولو استجمع الإنسان في ذهنه صفة من صفات الكمال الإلهي وما يقابلها من تلك الصفات لما وقع في شيء من التناقض أو الإفراط والتفريط في جنب الله، فاستشعار غضب الله يجب أن لا ينسينا رحمته، وإرادته المطلقة ينبغي ألا تنسينا حكمته وهكذا..^(١)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٧].

١٢- القرآن يربي المؤمن على المحبة الشديدة لله - عَزَّ وَجَلَّ - التي تدفعه للبذل في سبيل الله وألا يعز شيئاً على الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

قَالَ الْعَلَاءُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ الْعَلَاءُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وحب المؤمن لله - عَزَّ وَجَلَّ - يجعله يبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، لله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا يعز شيئاً على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولو كانت روحه التي بين جنبيه قَالَ الْعَلَاءُ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وإنما كان ذلك كذلك حتى يكون البذل والتضحية لإعلاء راية الله وإعزاز دينه، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء وإنما تروى بالدماء.

الفضيل الخاتم

الهدى النبوي المبارك في التربية

أعظم مُربٍّ^(١) طرق البشرية هو النبي الخاتم ﷺ، وأعلى هدى وخير الهدى هو هدى محمد ﷺ، وأشرف جيل تربى على ظهر الأرض هو الجيل الذي رباه رسول ﷺ، وأجمل أوصاف وأسنى أخلاق وأطيب عقيدة ما تحلى به الصحابة الكرام بركة تربية النبي ﷺ، إنهم أوسمة شرف، ودرر مضيئة على جبين البشرية، ما سبقهم جيل على سمتهم ولا يمكن أن يأتي بعدهم في مثل روعتهم وجلالتهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وقد فعل - عزَّ وجلَّ - وصلى الله وسلم وبارك على من أحسن تربيتهم، ورفع منارهم وارتفع بهم إلى درجات الرفعة والشرف في الدنيا والآخرة.

وهذه ومضات مضيئة، وأزهار متناسقة، وألوان فريدة، وأضواء عجيبة من هديه المبارك ﷺ في التربية:

١- فمن هديه المبارك ﷺ في التربية الحوار، واغتنام الفرص:

يقول الأستاذ عثمان قدرى مكاني ما ملخصه: «قد يمر الرسول ﷺ مع أصحابه في مكان فيرى أمرًا يستحق التعليق عليه، أو يسمع كلمة فيلقي الضوء عليها، فتكون هذه الكلمات من رسول الله ﷺ عظة وعبرة مؤثرة في نفوس أصحابه، وقد يحاور ﷺ أصحابه ليصل إلى فكرة يثبتها في عقولهم، أو يرشدهم بها ويهذب نفوسهم، ويدلهم على طريق الخير الموصل إلى رضا الله تعالى، فذكر أمثلة إلى أن قال:

(١) هذا الباب من أنفس وأعز أبواب الكتاب، لأن غاية المربي أن يعرف كيف ربي النبي ﷺ أصحابه الكرام فنحن نرى ثمرات تربيته ﷺ أطيب الثمرات، ولكن قد يخفى علينا طريقته ﷺ وهدية في التربية، وهذا يحتاج إلى دراسة للسيرة النبوية، ودراسة للشاغل المصطفوية.

ومن الأحاديث التي بينت صغار الدنيا وهوانها على الله تعالى ما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، فمر بجدي أسك ميت فتناوله بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم.

قالوا: ما نحب أنه بشيء (أو ما نصنع به).

قال: أتحبون أنه لكم؟

قالوا: والله لو كان حيًا كان هذا السك عيبًا فيه، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم ^(١).

أسلوب حوارى عملي يرى رسول الله ﷺ جديًا مقطوع الأذنين ميتًا تزكم رائحته الأنوف يمسكه من إحدى أذنيه ويعرضه على أصحابه أن يشتروه بدرهم فيأبون - وماذا يفعلون بجيفة قدرة؟.. لو كان حيًا وهو مقطوع الأذنين ما رغبوا فيه.. فكيف وهو ميت؟..

حين يصلون إلى هذا القرار يعظهم النبي ﷺ فيخرج الدنيا من قلوبهم: «إنها لا تساوي جناح بعوضة عند الله، وإلا ما كان سقى الكافر منها جرعة ماء» ^(٢).

ومن هديه ﷺ المبارك في التربية أنه كان إذا أمر بأمر ينفضه على نفسه فيجمع بين أمرهم به ومبادرتهم ﷺ بفعله؛

كما فعل ﷺ يوم الحديبية فبعد أن تم بينه ﷺ وبين قريش الصلح، وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع المسلمون هذا العام، وكانوا قد أحرموا

(١) رواه مسلم (٩٣/١٨) «الزهد»، وأبو داود [١٨٤ عون] «الطهارة»، وقوله: «أسك» صغير الأذنين.

(٢) «التربية النبوية» لعثمان قدرى مكاني [٥٥-٦١] باختصار ط. ابن حزم، وقوله: «إنها لا تساوي

جناح بعوضة عند الله» من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» رواه الترمذي وصححه الألباني بشواهد.

بالعمرة، وأن يعودوا من قابل أي في السنة السابعة من الهجرة لأداء العمرة، أمر النبي ﷺ الصحابة الكرام بأن يحلقوا أو يقصروا، وكان الصحابة في غاية الشوق إلى العمرة، وشق عليهم هذا الأمر فدخل النبي ﷺ على أم سلمة وأخبرها فأشارت عليه أن يخرج إلى أصحابه وأن يأمر حالقه بأن يحلقه، فلما رأى الصحابة ﷺ ذلك بادروا بتنفيذ أمره ﷺ وكادوا يذبح بعضهم بعضاً في سرعة تنفيذ أمره ﷺ.

وفي حفر الخندق كان النبي ﷺ يحفر مع الصحابة الكرام وهو يقول:
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة
 وكانوا يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
 ولو اكتفى ﷺ بالإشراف العام وإعطاء الأوامر لم يكن ذلك منه ﷺ منكرًا، ولكنه شاركهم بنفسه مبالغة في تنشيطهم للعمل وطمعاً في ثواب الملك الوهاب، وحتى يتعلم الدعاة والمربون في كل زمان ومكان أن يجمعوا بين الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر والانتهاز عنه ولا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين عاتبهم الله - عزَّ وجلَّ - بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

٣- ومن هديه ﷺ المبارك في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم وعبادتهم، تنشيطاً لهم، ورفعاً لاهتمامهم في الطاعة والعبادة؛
 فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً» قال أبو بكر: أنا.

قال رسول الله ﷺ: «فمن تبع منكم اليوم جنازة».

قال أبو بكر: أنا.

قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟».

قال أبو بكر: أنا.

قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟».

قال أبو بكر: أنا.

قال النبي ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»^(١).

فهذا أدب حسن للمرين في تعهد من يقومون بتربية، فيظهر لهم المقصر في الطاعة والعبادة فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يشنون على من ينشط للطاعة ويشرونه بالخير، وفي الحديث بيان شرف الصحابة وهمتهم وبذلهم ومسارعتهم إلى طاعة الله - عزَّ وَجَلَّ - خاصة السابقون الأولون وعلى رأسهم الصديق الأول عليه السلام.

من لي بمثل سيرك المدلل تسير رويداً وتجيء في الأول
وقوله: «دخل الجنة».

قال النووي: قال القاضي: «معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيثار يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى»^(٢).

٤- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يرغب الصحابة في الدرجات العالية والرتب السامية ويبعث فيهم الرغبة في التنافس في الخير:

عن سهل بن سعد رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه».

فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا

(١) رواه مسلم [١٠٢٨] «فضائل الصحابة»، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥١٥].

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/٢٢٤).

رسول الله يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

وفيه الارتفاع بهم من يقوم المربي بتربيتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس على الخير، والرغبة في الوصول إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات، وفيه أيضاً مناقب حجة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، وبيان شرف الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ -، وأن هداية شخص واحد على يد الدعية خير من أنفس الأموال التي يتنافس عليها الناس، وعليها يتحاسدون، فنسأل الله أن يوفقنا في الدعوة إلى دينه وألاً يجرمنا من هذا الخير العميم والرزق الكريم والشرف العظيم.

٥- ومن هديهِ ﷺ في التربية أنه كان يلفت نظر الصحابة إلى ما كان يهتمهم، فإذا سئل عن أمر وهو يعلم أن الأهم في حقهم أن يعلمهم أمراً آخر فكان يعرج على الأمر الآخر وهو ما يسمى بأسلوب الحكيم، أو الالتفات إلى الأهم:

فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أن أعرابياً سأل النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟

فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا أعددت لها؟».

قال: حب الله ورسوله.

فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت»^(٢).

(١) رواه البخاري (٥٤٤/٧) «المغازي»، وحرر النعم: هي الإبل الحمراء، وهي من أنفس الأموال عند العرب.

(٢) رواه البخاري (٤٧٨/١٠)، «الأدب»، ومسلم [٢٦٣٩] «البر والصلة».

قال النووي: فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير والأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم، وقد صرح الحديث الذي بعد هذا بذلك، فقال: «أحب قوماً ولما يلحق بهم»^(١).

٦- ومن هديده ﷺ أنه كان إذا رأى شيئاً من أصحابه أو بلغه عنهم شيء وأراد أن يدلهم وسائر أصحابه على الحق فيه أنه كان لا يصرح بأسمائهم ولكنه يلمح فيستر عليهم ويحصل مقصوده ﷺ من النصيح فيقول ﷺ: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا».

كما في قصة الثلاثة الذين أتوا بيوت رسول الله ﷺ وسألوا عن عبادته فكأنهم تقالوها، فقال: أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً.

وقال الآخر: وأنا أصوم فلا أفطر.

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فقال: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا».

ثم قال: «ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢).

وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يُقال له ابن التبية فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي، أهدي لي. قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا أهدي لكم، وهذا أهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا. والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٢٨٥).

(٢) الحديث رواه البخاري (٩/ ٨٩-٩٠) «النكاح»، ومسلم (٩/ ١٧٦) «النكاح».

القيامة يحمله على عنقه بغير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر» - ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه - ثم قال: «اللَّهُمَّ هل بلغت؟» مرتين^(١).

٧- ومن هديه المبارك ﷺ أنه كان يربي أصحابه على السمع والطاعة ومعرفة بركة الانقياد للسنة ولو أدى ذلك إلى تحمل شيء من العنت والمشقة:

كما حدث في حصار الطائف: عن عبد الله بن عمرو قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فلم ينل منهم شيئاً، فقال: «إنا قافلون إن شاء الله» قال أصحابه: نرجع ولم نفتحه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اغدوا على القتال» فغدوا عليه فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنا قافلون غداً» قال: فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله ﷺ^(٢).

وفي هذا واعظ لأصحاب الفكر المصلحي الذين يخالفون السنة ويتعللون بأن في ذلك مصلحة للدعوة، فيحرمون أنفسهم من أحسن الهدى، ويقدمون العقول والآراء والأقيسة على الثابت من سنته ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٨- ومن هديه ﷺ التربوي أنه كان يربيهم على الطاعة المطلقة لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ، أما طاعة ولي الأمر أو الولد لأبيه أو الزوجة لزوجها فهي مقيدة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة هي المعروف:

ومن أمثلة ذلك قصة عبد الله بن حذافة المذكورة آنفاً عندما أوقد ناراً وأمر أصحابه بالدخول فيها، وقال النبي ﷺ: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً»^(٣).

(١) رواه البخاري مختصراً (٤٢٨/٣) «الزكاة»، ومسلم واللفظ له [١٨٣٢] «الإمارة».

(٢) رواه مسلم (١٢٢/١٢-١٢٣) «الجهاد والسير»، والبخاري (٦٤٠/٧) «الغازي».

(٣) تقدم تخرجه.

وقد تقرر هذه المعاني في نفوس الصحابة الكرام، فلما استخلف أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس وقال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

وقال عمر بن عبد العزيز: «يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم»^(١).

٩- ومن هديده صلى الله عليه وسلم أنه كان يثني على من ظهر منه ما يستحق الثناء ويُبشّره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعاً له وتغيّره إلى طاعة الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلحة بن عبيد الله يوم أحد.

أوجب طلحة. وقد وقى طلحة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فشلت يده^(٢).

وقوله: أوجب أي: وجبت له الجنة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من جهز جيش العسرة فله الجنة».

فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»^(٣).

ولما عرض النبي صلى الله عليه وسلم بقرب أجله وقال: عبد خير الله بين أن يؤتية زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر وبكى، فقال: فدينك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أعلمنا به فأتى النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر وقال: «إن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر، ولو

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي [٦٥-٦٦] ط. دار الكتب العلمية.

(٢) رواه الترمذي [٣٧٣٨] «المناقب»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه أحمد (٦٣/٥)، وكذا في «فضائل الصحابة» (٤٥٧/١-٤٥٨)، والترمذي [٣٧٠١]

«المناقب»، وقال، هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وحسنه الألباني.

كنت متخذًا خليلًا لا تتخذ أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام. لا تبقي في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر»^(١).

١٠- ومن ذلك أنه كان يربي الصحابة الكرام على احترام من له سبق وبذل في الإسلام، فلا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل وكلاً وعد الله الحسن؛

لما اختلف أبو بكر وعمر عليهما السلام وذهب أبو بكر ليعتذر إلى عمر عليه السلام فأبى قبول اعتذاره وذهب أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقص عليه القصة، فغضب صلى الله عليه وسلم لغضب أبي بكر، وقال: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» مرتين فما أودى بعدها^(٢).

وكذا لما اختلف عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد عليهما السلام، وعبد الرحمن من المهاجرين الأولين ومن العشرة المبشرين: فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن وقال: «لا تسبوا أصحابي فلوا أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٣).

مع أن خالدًا من أصحابه صلى الله عليه وسلم إلا أن عبد الرحمن أخص به وأقدم صحبة منه، وفي هذا تربية للأمة لاحترام أهل السبق والعلم والفضل وكذا احترام الصغير والكبير، ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم، والسبق والتقوى، لا بالحسب والنسب والمال.

(١) رواه مسلم [٢٣٨٢] «فضائل الصحابة»، والبخاري مختصرًا (٢١/٧) «فضائل الصحابة»، وأحمد (١٨/٣).

(٢) رواه البخاري (٢٢/٧) «المغازي».

(٣) رواه البخاري (٢١/٧) «فضائل الصحابة»، ومسلم (٢٣/١٦) «فضائل الصحابة» وأحمد في «المسند» (١١/٣) والنصيف: النصف على التصغير.

١١- ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يربي الصحابة على محبة البذل والتضحية بأموالهم وأنفسهم، وكان هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلهم الأعلى في ذلك، فكان أجود الناس، وأشجع الناس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فر الصحابة يوم حنين لما استقبلتهم هوزان برشق من نبل، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسرع بدابته إليهم، والعباس أخذ بلجامها لثلا تسرع إليهم شفقة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رغبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجهاد والاستشهاد.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل»^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من مات ولم يغز ولم يحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»^(٢).

١٢- ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يربي الصحابة الكرام على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة:

فكان يقول: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(٣).

وكان يقول: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٤).

(١) رواه البخاري (١٦/٦) «الجهاد»، ومسلم (٢٠/١٣) «الإمارة».

(٢) رواه مسلم (٥٦/١٣) «الإمارة»، وأبو داود [٢٤٨٥ عون] «الجهاد»، والنسائي (٨/٦) «الجهاد».

(٣) رواه الترمذي [٢٣٧٧] «الزهد»، وابن ماجه [٤١٠٩]، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني [١٩٣٦] «صحيح الترمذي».

(٤) رواه الترمذي (٩/١٩٨ عارضة) «الزهد»، وابن ماجه [٢٤١٠] «الزهد»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٩٤٠].

ولما دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورأى الحصر قد أثر في جنبه، فبكى وقال له: ذكرت كسرى وقصر وهم ينامون في الحرير والديباج.

فقال له صلى الله عليه وسلم: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا»، فكان الصحابة رضي الله عنهم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة. كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، وهذا الزهد في الدنيا هو الذي دفع الصحابة رضي الله عنهم إلى البذل والتضحية وطلب الآخرة، وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها.

١٢- ومن هديه صلى الله عليه وسلم المبارك أنه كان يربي أصحابه على علو الهمة وطلب معالي الأمور:

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن»^(١)، وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله فأتيت به بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل» فقلت أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»^(٢)، فكانت همة الصحابة في الزهد وطلب العلم والجهاد والدعوة والدعاء أعلى همة رضي الله عنهم وبهذه الهمة العالية سادوا الدنيا وحكموا العالم.

(١) رواه البخاري (٢١٤ / ١١) «الدعوات» بمعناه، ومسلم (١٧ / ٥-٦) «الذكر والدعاء».

(٢) رواه مسلم [٤٨٩] «الصلاة»، وقال النووي: «فيه الحث على كثرة السجود والترغيب فيه والمراد به السجود في الصلاة وفيه دليل لمن يقول تكثير السجود أفضل من إطالة القيام وهو موافق لقول الله تعالى: واسجد واقترب ولأن السجود في غاية التواضع والعبودية لله تعالى وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن» باختصار من (٢٧٤ / ٤) - (٢٧٥) «شرح النووي».

١٤- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على الصبر على البلاء ويعلمهم أن الابتلاء سنة ماضية، وأن أصحاب الدعوات لابد وأن يبتلوا فإذا صبروا واحتسبوا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة؛

ذهب خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وكان المشركون قد وضعوه في ماء حار ثم ألغوه على ظهره وداسوا على بطنه، فبرص ظهره، فذهب خباب رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ: «ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه»، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله^(١).

قال الحافظ: قال ابن التين: كان هؤلاء الذي فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم^(٢).

١٥- ومن هديه ﷺ المبارك أنه كان يربي الصحابة الكرام على حسن الخلق مع القريب والبعيد، والعدو والصديق؛

عن عائشة رضي الله عنها أن يهودا أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت: وعليكم ولعنكم الله وغضب عليكم.

فقال النبي ﷺ: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش».

قالت: أو لم تسمع ما قالوا.

(١) رواه البخاري (٢٠٢/٧) «منابغ الأنصار»، وأحمد (١٠٩/٥).

(٢) «فتح الباري» (٢٠٤/٧).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولم تسمعي ما قلت؟» وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رد عليهم بقوله: «وعليكم»^(١).

فإذا كان ذلك خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أعدائه فكيف به مع أوليائه وأحبابه، فلنن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والأمة كلها هذا الدرس الكريم في حُسن الخلق، والبعد عن البذاء والفحش، واستعمال الألفاظ الحسنة، كما قال إبراهيم الخليل أبو الأنبياء وإمام الخنفاء لأبيه وكان من أغبى البشر وأكفرهم ﴿سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ [يُزْجَرُ: ٤٧].

ردًا على قوله له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [يُزْجَرُ: ٤٦]، وهذا هو الإحسان، وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة.

١٦- ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان ينشط أذهان أصحابه ويختبر ذكاءهم وعلمهم:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المسلم حدثني ما هي» قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة». وبوب له البخاري في كتاب «العلم»: باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم^(٢).

قال الحافظ: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتجديد الفكر في النظر في حكم الحادثة، وفيه إشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه، فإن المؤمن لا يماثل شيء من الجملادات

(١) رواه مسلم [٢١٦٥] «السلام»، وقال النووي: وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفة المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة. قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل.

«شرح النووي» (٢١٠/١٤).

(٢) رواه البخاري (١٨٧/١) «العلم»، ومسلم [٢٨١١] «صفات المنافقين».

ولا يعادله، وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب، وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء^(١).

١٧- ومن هديه ﷺ أنه كان يشوق الصحابة للعلم ويسهل عليهم حفظه: كما قال النبي ﷺ لمعاذ: «يا معاذ أدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله» قال: الله ورسوله أعلم.

فقال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشر فيتكلموا»^(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط»^(٣).

١٨- ومن هديه ﷺ أنه كان يرغب الصحابة في الاجتهاد في الطاعة والعبادة وكان هذا الترغيب منه ﷺ ببيان فضل العبادة والطاعة كما في قوله ﷺ:

«أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»^(٤).

(١) «فتح الباري» (١/ ١٧٧).

(٢) رواه البخاري (٥٨/ ٦) «الجهاد»، ومسلم (٢٣٠/ ١٠) «الإيمان».

(٣) رواه مسلم (١٤١/ ٣) «الطهارة»، والترمذي (٦٧/ ١) «الطهارة»، والنسائي (٢٠٧/ ٣) «قيام الليل».

(٤) رواه مسلم (٥٥/ ٨) «الصيام»، وأبو داود [٢٤١٢ عون] «الصوم»، والترمذي (٢/ ٢٢٧) «الطهارة» والنسائي (٣٠٧/ ٣) «قيام الليل».

وكذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١)، وإما أن يرشد بعض الصحابة إلى خصلة من خصال الخير أو ينبهه إليها كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»^(٢)، قال سالم بن عبد الله ابن عمر: فكان عبد الله لا ينام بعد ذلك من الليل إلا قليلًا.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرده وفاطمة بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا: فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا ثم سمعته وهو مؤلّ يضرب فخذه وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»^(٣).

١٩- ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يداعب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحيانًا ولكنه لا يقول إلا حقًا وصدقًا:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا؟ قال: «إني لا أقول إلا حقًا»^(٤).

وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إني حاملك على

(١) رواه البخاري (٥٠/٤) «التراويح».

(٢) رواه البخاري (٦/٣) «التهجد».

(٣) رواه البخاري (١٠/٣) «التهجد»، ومسلم (٦/٦٤-٦٥) «المساجد»، وقال الحافظ: قال ابن بطال: فيه فضيلة قيام الليل، وإيقاظ النائم من الأهل والقرابة لذلك. قال الطبري: لولا ما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزجج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقهم سكنًا لكنه اختار لهم إحراز تلك الفضيلة.

(٤) رواه الترمذي [١٩٩٠] «البر والصلة»، وأحمد [٣٦٠]، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «الصحيح» [٧٢٦].

ولد ناقة» فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق»^(١).

وعن محمود بن الربيع قال: «عقلت من النبي ﷺ حجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»^(٢) والمج: هو إرسال الماء من الفم.

قال الحافظ: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة معه أو ليبارك عليه بها، كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة رضي الله عنهم^(٣).

٢٠- ومن هديه ﷺ أنه كان يحذر أصحابه من أسباب الغواية، ويسد دونهم أبواب الفتن؛

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: «سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ ومن يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»^(٤).

وعن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «استنصت الناس» ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٥).

وقال ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاداً فليعذ به»^(٦).

(١) رواه الترمذي [١٩٩١] «البر والصلة»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني [١٦٢٣] «صحيح الترمذي».

(٢) رواه البخاري (٢٠٧/١). (٣) «فتح الباري» (٢٠٧/١).

(٤) رواه البخاري (٢٢/١٣) «الفتن». (٥) رواه البخاري (٢٩/١٣) «الفتن».

(٦) رواه البخاري (٣٣/١٣) «الفتن».

٢١- ومن هديه ﷺ أنه كان يدعو لأصحابه رضي الله عنهم :

كما دعا ﷺ لأنس بن مالك، بطول العمر، وكثرة المال والولد، ودعا ﷺ لابن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل - أي: التفسير - ودعا لأبي هريرة بالحفظ، ودعا لأبي عامر الأشعري وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، ودعا لأبي طلحة وزوجته أم سليم، ودعاؤه ﷺ مستجاب لعظيم منزلته عند الواحد الوهاب.

٢٢- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي أصحابه على الاستغفار والاستغناء عن الناس بالعمل وإن كان فيه مشقة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن ناساً من الأنصار سألو رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده.

فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «يا حكيم إذ هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى».

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبل منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي^(٢).

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢) «الزكاة».

(٢) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) «الزكاة».

٢٣- ومن هديه ﷺ أنه كان يحرص على مؤاخاة الصحابة بعضهم لبعض وعلى زيادة محبتهم في الله - عزَّ وجلَّ -:

فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة المباركة وكان كل واحد منهما يرث أخاه حتى نسخ ذلك بقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الإحزاب: ٦]، وكان ﷺ حريصاً على حب الصحابة بعضهم لبعض في الله - عزَّ وجلَّ - والله - عزَّ وجلَّ -، فقد قال له بعضهم: والله إنني لأحب هذا في الله، فقال: أعلمته قال: لا. قال: قم فأعلمه.

وقال: إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه، وهذا مما يزداد به الحب في الله - عزَّ وجلَّ - وتعظم ثمرته.

٢٤- ومن هديه ﷺ أنه كان يربي أصحابه على النصح لكل مسلم:

عن زياد بن علاقة قال: «سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأمركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي: «والنصح لكل مسلم» فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ثم استغفر ونزل»^(١).

قال الحافظ: «ختم البخاري كتاب «الإيمان» ببيان النصيحة مشيراً إلى أنه عمل بمقتضاه في الإرشاد إلى العمل بالحديث الصحيح دون السقيم، ثم ختمه بخطبة جرير المتضمنة لشرح حاله في تصنيفه فأوماً بقوله: «إنما يأتيكم الآن» إلى وجوب التمسك بالشرائع حتى يأتي من يقيهما، إذ لا تزال طائفة منصورة وهم فقهاء أصحاب الحديث وبقوله: «استعفوا لأمركم» إلى طلب الدعاء له لعمله الفاضل ثم ختمه بقوله: «استغفر

ونزل « فأشعر بختم الباب ثم عقبه بكتاب العلم لما دل عليه حديث النصيحة أن معظمها يقع بالتعلم والتعليم^(١) .

نماذج من ملاحظاته وتفقداته ﷺ لأصحابه:

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان: من ملاحظاته في التربية الاجتماعية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا نحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

ومن ملاحظاته في التحذير من الحرام ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فزرعه فطرحة وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك وانتفع به.

قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٣).

(١) «فتح الباري» (١/١٦٩).

(٢) رواه البخاري (١١/١٠) «الاستئذان»، ومسلم [٢١٢١] «اللباس».

قال النووي: وهذا من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يتجنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع. «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤/١٤٥).

(٣) رواه مسلم [٢٠٩٠] «اللباس»، وقال النووي: فيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة. «شرح النووي» (١٤/٩٢).

ومن ملاحظاته في تأديب الصغار ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»^(١)، ومن ملاحظاته في إرشاد الكبار ما رواه أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعيت أُمي يومًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة»^(٢).

ومن ملاحظاته في التربية الخلقية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلًا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويحك قطعت عنق صاحبك» يقوله مرارًا: «إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك وحسببه الله، ولا يذكى على الله أحد»^(٣).

ومن ملاحظاته في التربية النفسية ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحت ابني غلامًا كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكل ولدك نحتته مثل هذا؟» فقال: لا؟ فقال: فأرجعه.. وفي رواية: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا. قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

وفي رواية: قال عليه الصلاة والسلام: «فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور»^(٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود [٤٩٧٠] «الأدب»، وأحمد (٤٤٧/٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٧٤٨].

(٣) رواه البخاري (٤٧٦/١٠) «الأدب»، ومسلم (١٢٦/١٨-١٢٧) «الزهد»، وأبو داود (٤٧٨٤ عون).

(٤) رواه البخاري (٢٥٠/٥) «الهيبة»، ومسلم [١٦٢٣] «الهيبة»، ومالك في «الموطأ» (٢/٧٥١).

ومن ملاحظاته في التربية الجسمية: حين رأى صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يشرب شرباً واحداً كشر البعير، فقال لهم كما روى الترمذي: «لا تشربوا شرباً واحداً كشر البعير، ولكن اشربوا مثني وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم»^(١).

وروى البخاري في «صحيحه» أن النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي فيشجعهم ويقول لهم: «ارموا أنا معكم كلكم»^(٢).

ومن ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق ما رواه الشيخان عن أنس رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قال: «مشيت مع رسول الله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه برد نجراني غليظ، فأدركه أعرابي فجذبه - أي: جذب الثوب - جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أثر فيه حاشية البرد من شدة جذبه. ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضحك ثم أمر له بعتاء»^(٣).

تلكم بعض النماذج من مراقبة النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية، تؤكد حرص الرسول صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تربية الناس، ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم^(٤).



(١) رواه الترمذي [١٠٨٥] «الأشربة»، وقال: هذا حديث غريب وضعفه الألباني رقم [٣٢٠] «ضعيف سنن الترمذي».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٥١٩/١٠) «الأدب»، ومسلم [١٠٥٧] «الزكاة»، وأحمد (١٥٣/٣).

(٤) بتصرف من «تربية الأولاد في الإسلام» (٧٣٠-٧٣٢).

الْقَضَاءُ السَّلَاسِي

وسائل التربية

[١] التربية بالقُدوة

قال الأستاذ/ محمد قطب: «القُدوة في التربية هي أفعل الوسائل جميعًا، وأقربها للنجاح.

من السهل تأليف «كتاب في التربية» من السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق. يظل معلقًا في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض.. ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ».

ولقد علم الله - سُبْحَانَهُ - وهو يضع ذلك المنهج العلوي المعجز أنه لا بد من ذلك للبشر، لا بد من قلب إنسان يحمل المنهج ويحوّله إلى حقيقة، لكي يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه.

لا بد من قدوة.

لذلك بعث الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢١].

ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ.

سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»^(١).

إجابة دقيقة معجبية مختصرة شاملة.. كان خلقه القرآن! كان الترجمة الحية لروح القرآن وحقائق وتوجيهاته^(١).

قال الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي: «ينتقل تأثير القدوة إلى المقتدي على أشكال أهمها:

١ - التأثير العفوي غير المقصود: وهنا يقوم تأثير القدوة على مدى اتصافه بصفات تدفع الآخرين إلى تقليده. كتفوقه بالعلم أو بالرئاسة، أو الإخلاص أو.. وفي هذه الحال يكون تأثير القدوة عفويًا غير مقصود، وهذا يعني أن على كل من يرجو أن يكون قدوة أن يراقب سلوكه، ويعلم أنه مسئول أمام الله في كل ما يتبعه الناس، أو يقلده المعجبون، وكلما ازداد حذرًا وإخلاصًا ازداد الإعجاب به، فتزداد فائدته وأثره الطيب في النفوس.

٢ - التأثير المقصود: على أن تأثير القدوة قد يكون مقصودًا.

فيقرأ العلم قراءة نموذجية ليقبله الطلاب ويوجد الإمام صلته ليعلم الناس الصلاة الكاملة، ويتقدم القائد أمام الصفوف في الجهاد ليثبت الشجاعة والتضحية والإقدام في نفوس الجنود وهكذا.

وقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم كثيرًا من أمور دينهم بطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدوا به فكان يقول لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٢)، رواه البخاري، وكان يأمرهم في الحج أن يقتدوا به قائلًا: «خذوا عني مناسككم»^(٣) ثم كان الصحابي يقول للتابعين: ألا أصلي لكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) «التربية الإسلامية» (١/ ١٨٠ / ١٨١).

(٢) رواه البخاري (١٣١ - ١٣٢) «الأذان».

(٣) رواه مسلم [١٢٩٧] «الحج» بلفظ: «لتأخذوا عني مناسككم لعل لا أحج بعد حجتي هذه»، وأحمد (٣/ ٣٠١).

وصلى ﷺ على المنبر، وفي رواية: أنه ذو ثلاث درجات فقام عليه، فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم ركع وهو عليه ثم رفع فرجع القهقري حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد فصنع فيها كما صنع في الركعة الأولى حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إني صنعت هذا لتتأسوا بي، ولتعلموا صلاتي»^(١).

وروى البخاري ومسلم أنه كان ﷺ يسمعهم الآية أحياناً في صلاة الظهر على أنها سرية، وكانوا يسمعون منه النعمة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ كما روى ابن خزيمة في «صحيحه» (١/٦٧/٢) والضياء المقدسي في «المختارة» بسند صحيح.

وهكذا علمنا رسول الله ﷺ رائد التربية الإسلامية أن يقصد المربي إلى تعليم طلابه بأفعاله وأن يلفت نظرهم إلى الاقتداء به. لأنه إنما يقتدي برسول الله ﷺ، وأن يحسن صلاته وعبادته وسلوكه بهذا القصد، فيكسب ثواب من سن سنة حسنة إلى يوم القيامة^(٢).

وهكذا يظهر بجلاء أن التربية بالقدوة من أنجح وأنفع وسائل التربية، فليس أقوى في دفع الولد أو التلميذ إلى الحرص على صلاة الجماعة من رؤيته والده أو شيخه وهو يعظم صلاة الجماعة، فيتهيأ لها قبل الأذان، ويدخل المسجد، ويحرص على تكبيرة الإحرام، والوقوف في الصف الأول وكذا يدفعه إلى الصدق ما يرى من صدق والده وشيخه ونفورهما عن الكذب، أما من يفتح عينيه على كذب والده، ومن يقتدي به، فهمها لقنه من آيات وأحاديث في فضل الصدق فإن هذا التلقين لا يفيد كثيراً، لأن من يلقيه من أبعد الناس عنه، وأنفر الناس منه، لذا كان على الوالد والمربي أن يتكلف الاستقامة

(١) رواه البخاري (٢/٤٦١) «الجمعة»، ومسلم [٥٤٤] «المساجد ومواضع الصلاة».

(٢) بتصرف من «أصول التربية الإسلامية وأساليبها» [٢٣٤-٢٣٥].

والصدق والأمانة والورع والديانة، لا بقصد الرياء والسمعة، وإنما بقصد تعليم من يقتدي به وينظر إليه، فإذا نصحه بنصيحة كان أحرص الناس على العمل بها، وإذا نفر من خصلة سيئة كان أبعد الناس عنها، كما قال **التجالي**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

وقال **التجالي** حكاية عن شعيب **عليه السلام**: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلَافِكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُكُمْ﴾ [هود: ٨٨]، وقال **التجالي**: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وعن أسامة بن زيد **رضي الله عنه** قال: سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في الناس، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية»^(١).

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان ما ملخصه: «وما أعظم موقف عمر **رضي الله عنه** حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم: «أما بعد: فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا، وأناهم عن كذا وكذا، وإني أقسم بالله العظيم لا أجد واحداً منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكالا شديداً». ثم يخرج **رضي الله عنه** ويدعو الناس إلى الخير، فلم يتأخر أحدٌ عن السمع والطاعة لإعطائهم القدوة بفعله قبل إعطائهم إياه بقوله.

فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعاً أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد، بل هي الأساس في تربيته نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة.

(١) رواه البخاري (٣٢٩/٦)، «بدء الخلق» (٤٨/١٣) «الفتن»، ومسلم (١١٨/١٨) «الزهد»، وقوله: «فتندلق أقتابه» وهي: الأمعاء، واندلاقها: خروجها بسرعة.

وبدون هذه القدوة لا ينفع مع أولادكم تأديب، ولا تؤثر بهم موعظة، فاتقوا الله - أيها المربون - بأولادكم، وكونوا معهم على مستوى المسؤولية لتروا أفلاذ الأكباد شמוש إصلاح، وأثمار هداية، يستضيء أبناء المجتمع بنورهم، ويتأسون بمحاسن أخلاقهم، ويرتشفون من معين آدابهم، ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَمُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

يقول الأستاذ/ عدنان حسن باحارث: «وقد تنبه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا عمرو بن عبه ينبه معلم ولده لهذا الأمر فيقول: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقيح عندهم ما تركت. فالأطفال لا يدركون المعاني المجردة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي بل لابد من المثل الواقعي المشاهد.

وبهذا يظهر أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة الصالحة، التي تمثل الأوامر وتستجيب لها وتنجز عن النواهي وتمتنع عنها»^(٢).

ويقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان: «ومن هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها، والتاريخ سطر بملء الافتخار والإعجاب، أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان وجزر أكديف ومالديف في المحيط الهندي، وإلى التبت وإلى سواحل الصين، وإلى الفلبين وجزر أندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو، ووصل إلى أواسط إفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا ومدغشقر وزنجبار وغيرها من البلاد، وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٦٦٤).

(٢) «مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة» [٦٨] ط. دار المجتمع للنشر والتوزيع.

مسلمين، ودعاة صادقين، أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم، وأمانتهم، وصدقهم، ووفائهم.. ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، فدخل الناس في دين الإسلام أفواجا، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وإيمان ورغبة، ولولا أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم ويعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم لما اعتنق الملايين من البشر هذا الإسلام، ولما دخلوا في هديه ورحمته، ونخلص مما تقدم إلى أن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والنفوس، ومن أعظم الأسباب في نشر الإسلام في البلاد البعيدة، والأصقاع المعمورة، وفي هداية البشرية إلى سبيل الإيمان وطريق الإسلام، فما أجدر الجيل الإسلامي اليوم برجاله ونسائه وشبابه وكباره وصغاره أن يفهموا هذه الحقيقة، وأن يعطوا غيرهم القدوة الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والسمعة الحسنة، والمعاملة الطيبة، والصفات الإسلامية النبيلة ليكونوا دائما في العالمين أقدار هداية، وشموس إصلاح، ودعاة خير وحق، وأسباب نشر وامتداد لرسالة الإسلام الخالدة»^(١).

وقال في تربية الأولاد: «إذن لابد من قدوة صالحة لنجاح التربية ونشر الفكرة.

ولابد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين، وتنجذب لجماله النفوس.

ولابد من أخلاق فاضلة، يستمد المجتمع منها الخير، وترك في الجيل أفضل الأثر، ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أن يظهر المربي أمام من يقوم على تربيته، بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء حتى يشب الولد منذ نشأته على الخير، ويتخلق منذ نعومة أظفاره على الصفات الفاضلة النبيلة»^(٢).

(١) «حتى يعلم الشباب» [١١٩] بتصرف.

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» (٢/ ٦٥٣).

[٢] التربية بالموعظة

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «المواعظ سياط تضرب بها القلوب، فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه فكلما قوى الضرب كانت مدة الألم أكثر، كان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا عليهم السكينة والوقار فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعاماً عقب ذلك، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة.

أفضل الصدقة تعليم جاهل، أو إيقاظ غافل، ما وصل المستقل في نوم الغفلة بأفضل من ضربة سياط الرعظ ليستيقظ.

إنما التأديب بالسوط من صحيح البدن، ثابت القلب، قوي الذراعين، فيؤلم ضربه فيردع وأما من هو سقيم البدن لا قوة له، فإذا ينفع تأديبه بالضرب، كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة، ثم جاء يُخبر عنها، وكانوا إذا خرجوا من عنده كانوا لا يعدون الدنيا شيئاً».

قال بعض السلف: «إن العالم إذا لم يرد بموعظته وجه الله، زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر على الصفا. المواعظ ترياق القلوب، فلا ينبغي أن يسقي الترياق إلا طبيب حاذق معافي، فأما لذيق الهوى فهو إلى شرب الترياق أحوج من أن يسقيه.

وطبيب يداوي الناس وهو سقيم	وغير تقى يأمر الناس بالتقى
هلا لنفسك كان ذا التعليم	يا أيها الرجل المعلم غيره
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم	فليبدأ بنفسك فانهها عن غيرها
بالقول منك وينفع التعليم	فهناك يقبل ما تقول ويقتدى
عار عليك إذا فعلت عظيم ^(١)	لا تنه عن خلق وتأتي بمثله

(١) «لطائف المعارف» [١٣-١٥] باختصار.

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي: «يعتمد الوعظ من الناحية النفسية والتربوية على أمور أهمها:

١- إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار، أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك، كعاطفة الخضوع لله، والخوف من عذابه، أو الرغبة في جنته، وكذلك يربي الوعظ هذه العواطف، وينميها وقد ينشئها من جديد.

٢- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان الموعوظ قد رُبِّيَ عليه، وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون، ونعم الله، وأنه خلق الكون والموت والحياة.

٣- الاعتماد على الجماعة المؤمنة، فالمجتمع الصالح يُوجد جَوْاً يكون الوعظ فيه أشد تأثيراً، وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وكالحديث: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا»^(١).

٤- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها، وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وتحقيقه يسمو المجتمع، ويتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، فلا يبغي أحدٌ على أحد، ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [التكوير: ٩٠]^(٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «أصول التربية الإسلامية» [٢٥٥-٢٥٦] باختصار.

وقد اشتمل القرآن الكريم على جمل مستكثرة من المواعظ العالية الغالية.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿النساء: ٣٦-٣٨﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّالِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿النساء: ٥٨﴾.

ومن ذلك قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ خَدْلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا

تُصْعِرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿﴾ [النمل: ١٣-١٩].

والقرآن كله مواظ للمتقين كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النمل: ١٣٨]، ولقد كان وعظ النبي ﷺ على أرقى مستوى
وأعلى درجة، فكان يأسر بوعظه قلوب السامعين، فإما منا بعد وإما فداء.

وغاية الواظ أن يصل بمن وعظه إلى الخشية الحقيقية، التي تجتمع في وجل القلب،
ودمع العين، وأن يتذكروا أمور الآخرة فكأنهم يرونها رأي العين، وهكذا كان وعظ النبي
ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ
موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة
مودع فأوصنا»^(١) الحديث.

وكذا في قصة حنظلة عندما قارن بين حال قلبه في مجلس وعظ رسول الله
ﷺ، وعندما يفارق هذا المجلس إلى مجالسة الزوجات والأولاد فقال: نكون
عندك تذكركم بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج
والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو
تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي
طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات»^(٢).

وقد كان لوعظه ﷺ سمات: فمن ذلك أنه ﷺ لم يكن يكسر
عليهم فيملوا بل يجعلهم دائماً متشوقين إلى وعظه ﷺ.

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه مسلم [٢٧٥٠] «التوبة»، والترمذي [٢٥١٤] «صفة القيامة»، وأحمد (٢/ ٥٣٠٥).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السأم علينا أو قال: السامة علينا^(١).

ومن فقه الرجل تقصير الخطبة، وإطالة الصلاة.

من هديه صلى الله عليه وسلم في الوعظ أنه كان يؤثر في الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينه، وتأثره وكان يرفع صوته ويحرك يديه، كأنه منذر جيش.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآيات يوماً على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجّد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرج برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به. أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟^(٢).

يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان: ولا يتصف الواعظ الداعية بهذا التأثير إلا أن يكون مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة مشرق الروح.

وفرق كبير بين داعيه يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام، ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام، يتكلم بنبضات قلبه ولواعج حزنه وأسأه، لما آل إليه حال المسلمين، فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ والاستجابة إليه أقوى، والاتعاظ بكلامه أعظم.

قال عمر بن ذر لأبيه: يا أبت ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكههم؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة^(٣).

(١) رواه البخاري (٦٢/١) «العلم»، وأحمد (١/٣٣٧).

(٢) رواه أحمد رقم [٥٤١٤ شاكراً] وقال العلامة أحمد شاكراً: إسناده صحيح.

(٣) باختصار من «تربية الأولاد» (٧١٥/٢).

ومن هديه ﷺ في الوعظ أنه كان يستعين بضرب الأمثال كما قال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تشم منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تشم منه رائحة خبيثة»^(١).

ومن هديه ﷺ في المواعظ أنه كان يستعين أحياناً بالرسوم الإيضاحية. روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً خارجاً منه، وخط خطوطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: «هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، وهذا الذي خارج - أي: عن الخط - أمله، وهذه الخطوط الصغار والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه كلها أصابه الهرم»^(٢).

ومن هديه ﷺ: أنه كان يعلمهم بالدرس العملي، كما في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ توضأ أمام جمع من الناس ثم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»^(٣).

وصلى مرة ﷺ بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم، وليتعلموا من أفعاله ومشاهداته، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتوا بي ولتعلموا صلاتي»^(٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٣٩ / ١١) «الرقاق».

(٣) رواه البخاري (٣١١ / ١) «الوضوء».

(٤) تقدم تخريجه.

ومن هديه ﷺ أنه كان إذا أراد أن ينهى عن شيء فربما أخذه بيده وبين حرمة ليكون أوقع في نفوس أصحابه:

عن علي عليه السلام قال: «أخذ رسول الله ﷺ حريراً بشماله وذهباً بيمينه، ثم رفع بهما يده فقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لئنائهم»^(١).

ومن هديه ﷺ في الوعظ استعمال التكرار المفيد للترغيب أو الترهيب.

يقول الأستاذ عثمان قدرى مكاسي: «وبهذا الأسلوب الواضح المستأنى، وبهذا التكرار المفيد يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل، وتنغرس الأفكار وظلالها، والألفاظ وإيجاءاتها في النفوس، ويتمثلون حديث رسول الله ﷺ عملاً وتطبيقاً في مجال حياتهم، ثم تصل إلينا نقية لا شائبة فيها، حية بحيوية حامليها.

ومن الأحاديث التي ترى فيها صدق ما ذكرته سابقاً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه».

قالوا: يا رسول الله من؟

قال: من أدرك والديه عنده الكبر - أو أحدهما - فدخل النار^(٢).

آية قشعريرة أخذتني وأنا أقرأ هذا الحديث، فأفاجأ بقوله ﷺ: «رغم أنفه» تتكرر ثلاث مرات وأنا بعيد عن زمان الحديث ألفاً وأربعمائة وست عشرة سنة فمادت بي الأرض^(٣).

(١) رواه أبو داود [٤٠٣٩ عون] «اللباس»، والنسائي (٨/ ١٦٠) «الزينة»، وابن ماجه [٣٥٩٥] «اللباس» وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم [٢٥٥١] «الأدب».

(٣) «التربية النبوية» [١٣٠-١٣١] باختصار.

ومن هذا القبيل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وقول الزور، وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»^(١).

ومن ذلك الترغيب ببيان عظم الثواب، والترهيب بالتخويف من شدة العقوبة.
فمن الأول قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله»^(٢).

ومن الثاني قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يدخل الجنة قتات»^(٣). أي: نمام.

ومن ذلك استعمال القسم لتأكيد ما يريد بيانه: كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم»^(٤).

وكذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً» فغطى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوههم ولهم خنين^(٥)، وهو البكاء الذي يتشر من الأنف بغتة.

ومن ذلك التحديد بالعدد حتى يسهل على أصحابه الحفظ وعدم تفلت شيء منهم كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا ينظر

(١) رواه البخاري (٢٦١/٥) «الشهادات»، ومسلم (٨١-٨٢/٢) «الإيمان».

(٢) رواه مسلم [٦٥٦] «المساجد»، ومالك في «الموطأ» (١/١٣٢)، والترمذي [٢٢١] «الصلاة».

(٣) رواه البخاري (٧٤٢/١٠) «الأدب»، ومسلم (١١٢/٢) «الإيمان».

(٤) رواه البخاري (١٤٨/٢) «الأذان»، ومسلم [٦٥١] «المساجد»، ومالك في «الموطأ» (١/١٢٩-١٣٠).

(٥) رواه البخاري (٣١٩/١١) «الرقاق»، والترمذي (١٤٩/٩) «الزهد».

إليهم ولهم عذاب أليم» فقالوا: مَنْ هم يا رسول الله؟ فقال: «شيخُ زان، وملِكٌ كذاب، وعائلٌ مستكبر»^(١).

ومن ذلك قوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٢).

ومن ذلك الترقى من المهم إلى الأهم فإذا وجد العبد إنسانًا تاركًا للصلاة، ومُسبل الإزار، أو يتختم بالذهب والثلاثة من المحرمات، إلا أن ترك الصلاة أخطر الثلاثة، وقد اختلف العلماء في تكفير تارك الصلاة فعلى الداعي أن ينصح بالمداومة على الصلاة أولاً، ثُمَّ إذا كان هناك استجابة يرشد إلى ترك بقية المحرمات، لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَؤْا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَامَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(٣).

(١) رواه مسلم [١٠٧] «الإيمان»، والنسائي (٨٦/٦) «الزكاة».

(٢) رواه مسلم (١٤٣-١٤٥) «الزكاة».

(٣) رواه البخاري (٤١٨/٣) «الزكاة»، ومسلم (١٩٦-١٩٧) «الإيمان».

ومن هديه ﷺ أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم:

وقد قيل: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم.

وفي «الأثر»: «حدثوا الناس على قدر عقولهم أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي: «دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء - أو ذنوباً من ماء - فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»^(١).



(١) رواه أبو داود [٣٧٦ عون] «الطهارة»، والترمذي [١٤٧] «الطهارة»، وأصله في البخاري (٤٥٢/١٠) «الأدب»، والنسائي (٣/١٤) «السهو».

[٣] التربية بالقصة الهادفة

التربية بالقصة المشتملة على العبرة والعظة من أنجح المواعظ، لأن النفس بطبيعتها تنجذب إلى القصة، وتأخذ القصة بمجامع القلوب، فإذا أودعت فيها الحكمة والعبرة كانت الغاية، والقرآن الكريم لا يحكي القصص لمجرد أنه قصص للتسلية وترجية الأوقات، ولكنه يقص القصص من أجل التربية، وترسيخ المعاني الإيمانية، والأخلاق المرضية^(١).

جاء في كتاب «النظام والإسلام» في بحث التربية والآداب في قصص القرآن ما مثاله: طال الأمد على أمتنا فأهملت ما في غصون كتابها من أساس التربية والحكمة، يا ليت شعري ما الذي أصابها حتى غضت النظر عن القصص التي قصها، وأهملت أمرها، وظن أهلها أنها أمور تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين، والقصص في كل أمة عليها مدار ارتقائها، سواء كانت وضعية أم حقيقية، على السنة الحيوان أو الإنسان أو الجهاد.

جاء القرآن بقصص الأنبياء وهي - ولا جرم - أعلى مناراً وأشرف مزية، كيف لا وقد جمعت أحسن الأسلوب، واختيار المقامات المناسبة لما سيقّت إليه، والقُدوة الحسنة للكمّل المخلصين من الأنبياء، ومن والاهم وتحققها في أنفسها لوقوع مواردها، وإن حب التشبه طبيعة مرتكزة في الإنسان لاسيما لمن يقتدي بهم، فهذه خمس مزايا اختصت بها هذه القصص، ونقصت في سواها، أليس من العيب الفاضح أن نقرأ قصص القرآن فلا نكاد نفهم إلا حكايات ذهبّت مع الزمان ومرت كأمس الدابر، وما لنا ولها إذن تالله إن هذا هو البوار، ولم يكن هذا إلا للجهل بالمقصود من قصصها، وأنها عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن تفكر، وتبصرة لمن ازدجر.

وبالإجمال: فليس القصد من هذه القصص إلا منافعها، والعبر المبصرة للمسلمين: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يُونُس: ١١١]، ولسنا ممن يتبجح بالقول

(١) يتصرف من «تيسير المنان في قصص القرآن» للمصنف (٣/ ٤) ط. ابن الجوزي.

بلا بيان فلا نعتد إلا على البرهان، تأمل هذه القصص تجده لا يذكر إلا ما يناسب الإرشاد والنصح، ويعرض عن كثير من الوقائع إذ لا لزوم لها، ولا معول عليها، فلا ترى قصة إلا وفيها توحيد، وعلم، ومكارم أخلاق، وحجج عقلية، وتبصرة وتذكرة تلذُّ العقلاء^(١).

قال الأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي: «لكل قصة قرآنية أو نبوية كما بينا هدف تربوي رباني سبقت من أجله والعبرة بالقصة إنما يتوصل إليها صاحب الفكر الواعي، والذي يطغى هواه على عقله وفطرته، بل يستنبط من القصة المغزى الحق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونُس: ١١١]».

قال العلامة محمد رشيد رضا: «وجه الاعتبار بهذه القصة - أي: قصة يوسف عليه السلام - أن الذي قدر على إنجاء يوسف بعد إلقائه في الحب، وإعلائه بعد وضعه في السجن، وتمليك مصر بعد أن بيع بِيعَ العبيد بالثمن الخسيس، والتمكن له في الأرض بعد ذلك الإسار والحبس الطويل، وإعزازه على من بغاه بالسوء من أخوته وجمع شمله بهم وبأبويه على ما أحب بعد المدة الطويلة، والمجيء بهم من الشقة النائية، إن الذي قدر على ذلك كله أيها الناس لقادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم، وإعلاء كلمته، وإظهار دينه، فيخرجه من بين أظهرهم ثم يظهره عليهم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال، والأتباع والأصحاب، وإن مرت به الشدائد، وأتت دونه الأيام والليالي والحواديت.

وإنما قال: «لأولي الألباب» وهم أصحاب العقول الراجحة؛ لأن أهل البصيرة والرؤية من العقلاء هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور التي تدل عليها أوائلها ومقدماتها بعد التأمل في صفاتها وحقيقتها، وأما الأغرار الغافلون، والظالمون المعاندون فلا يمرنون

(١) نقلاً عن «محاسن التأويل» باختصار (٩/ ٣٠٥-٣٠٦) ط. دار الفكر.

عقولهم على الاستقلال في النظر والاعتبار بما جرى على الأفراد والأمم، فلا يفيدهم النصح والتذكر، ولا سوء العاقبة والمصير»^(١).

ويقول الأستاذ/ عثمان قدرى مكاني: «إن للقصة تأثيراً كبيراً في نفس متلقيها، لما فيها من تدرج في سرد الأخبار، وتشويق في العرض، وطرح للأفكار، ممزوجة بعاطفة إنسانية، وهي تعتمد على الحوار والنقاش الداخلي أحياناً، والخارجي أحياناً أخرى، وتصدر مُقترنة بالزمان والمكان، اللذين يغفلن الأحداث بإطار يمنع الذهن من التشتت وراء الأحداث، وتدرج من موقف إلى آخر، تجذب السامع إلى التفاعل والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره ومشاعره، ويندمج فيما يسمع، فتصل به إلى نقطة التأزم، ثم تنحل شيئاً فشيئاً، وتكون نقطة التنوير في الأحداث، الضوء الذي ينقذ الموقف القصصي، وينقله إلى حالة الهدوء والانتظام، أو اتخاذ الموقف الإنساني نتيجة للتفاعل الفكري والنفسي مع الأحداث.

والرسول ﷺ استخدم الأسلوب القصصي، لأنه رآه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة، وإصابة الهدف»^(٢).

وإذا كانت النفوس البشرية تميل بطبيعتها إلى القصة وأكثر الناس يضيعون أعمارهم في مشاهدة الأفلام الهابطة، والتمثيلات الساقطة، من أجل التسلية، مع أن فيها ضياع الأخلاق، وذهاب الأديان، وقتل حياء النساء، وذهاب غيرة الرجال، فإنها لا تخلو من رؤية متبرجة شديدة التبرج والتهتك، أو اختلاط ماجن بين الرجال والنساء، أو شارب خمر، أو عازف على آلات المعازف واللهو، ثم هي ليست قصصاً من بحر الحقيقة والواقع، ولكنها من نسج الخيال، ومن وضع الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولا يفوت هؤلاء الكتاب الذين يغلب عليهم التفرنج والأفكار الإباحية، أن يجروا الناس على المعاصي والشهوات.

(١) نقلاً عن «أصول التربية الإسلامية وأساليبها» [٢٤٥-٢٤٦].

(٢) «التربية النبوية» [١٥-١٤].

وأن يسكبوا في قلوبهم أنواع الشبهات، ولا تخلو من الاستهزاء بالدين، والسخرية من أولياء الله الصالحين.

وماذا ينتظر من أناس تركوا دينهم وإسلامهم خلف ظهورهم، ووجَّهوا وجوههم قبل الغرب الكافر، يَهْدُمُونَ ما هدموا من فضيلة، ويحيون ما أحيوا من فاحشة ورذيلة، والله من ورائهم محيط^(١).

ولما كانت القصة لها أثرها التربوي، ولها جذبها للقلوب والأسعاج اشتمل القرآن على قصص كثيرة بل ما يقرب من ربع إلى ثلث القرآن في القصص، ولما كان من أهم أهداف القصص القرآني الارتقاء بمستوى الأمة الإيماني، والفكري، والأخلاقي، وكذا تسلية المؤمنين وتثبيتهم على الحق المبين، كان من سمات القرآن المكي كثرة القصص، حاجة المسلمين في بداية الدعوة إلى تأصيل المعاني الإيمانية وكذا حاجتهم إلى التسلية لمواجهة إيذاء الجاهلية واستهزائها، ولأجل العبرة والعظة تكرر القصص القرآني، حتى ذُكرت قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام في أربعة وعشرين موضعاً.

قال الأستاذ/ مناع القطان: «يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك.

ومن حكمة هذا:

١- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة تَرِدُ في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

(١) من مقدمة المصنف لكتابه «تفسير المنان في قصص القرآن» الجزء الثالث ص [٥-٦] ط. دار ابن الجوزي.

٢- قوة الإعجاز في إيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد، وإمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تُمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤- اختلاف الغاية التي ساق من أجلها القصة: فتذكر بعض معانيها الوافية للغرض في مقام، وتبرز معاني أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال^(١).

أما القصص النبوي فالهدف منه كذلك ترسيخ المعاني الإيمانية، وغرس الفضائل في نفوس المسلمين، وكذا تسليتهم وتثبيتهم في طريق الإيمان، فمن القصص النبوي الذي يرسخ المعاني الإيمانية قصة الرجل الذي سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اتني بالشهداء. فقال: كفى بالله شهيداً. فقال: فأتني بالكفيل. فقال: كفى بالله وكيفاً. فقال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مُسمى، فخرج في البحر ففضى حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار... وصحيفة إلى صاحبه ثم زج موضعها - أي: سده - ثم أتى بها البحر.

فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كيفياً، فقلت: كفى بالله كيفياً، فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركباً فد جاء به، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها

(١) «مباحث في علوم القرآن» [٣٠٧-٣٠٨].

لأهله حطباء، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لأتيك بهالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء.

قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئتك فيه.

فقال: فإن الله أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بألف الدينار راشداً^(١). ففي القصة حث على التوكل على الله - عَزَّ وَجَلَّ - والوفاء بالوعد، وتصديق المسلم، وحسن الظن به، وكذا حسن الظن بالله - عَزَّ وَجَلَّ - والرضا به رباً وكفياً، وشهيداً.

ومن القصص النبوي الهادف قصة الأبرص والأعرج والأعمى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، أَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنًا، وَجِلْدَ حَسَنٍ، وَيَذْهَبَ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذْهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْثًا حَسَنًا.

فَقَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ.

فَقَالَ: الْإِبِلُ.

قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشْرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذْهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا.

قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الْأَعْمَى. فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ.

قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرَ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطَانِي شَاةً وَالِدًا.

فَأَنْتَبِجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَاِدٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنْ الْغَنَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ الْحَسَنَ بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَتَقَدَّرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. قَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الشَّعْرَ الْحَسَنَ، وَالْمَنْظَرَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَقَرَةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَقْرَعَ يَفْقَدُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ.

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ بِشَيْءٍ أَحَدْتُهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

فَقَالَ: أُمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ^(١).

فكم تغرس هذه القصة النبوية التي حكاها رسول الله ﷺ في النفوس من بيان عاقبة الصدق، وعاقبة الكذب، وكم تبين حال الحريص على الدنيا الذي يبخل بنعم الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه، ويتكبر على عباد الله من الحرمان في الدنيا، والتعرض لسخط الله - عَزَّ وَجَلَّ - وعقوبته، وكذا يتبين حال المؤمن الشاكر لنعم الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وكيف أنه ينال رضا الله الذي هو أكبر من جنة الله - عَزَّ وَجَلَّ - كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وكيف أن الصدقة لا تُنقص المال، كما قال النبي ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»^(٢).

وأن الدنيا دار بلاء وامتحان، وأن الفقر فتنة، والغنى فتنة، فالسعيد من تبصر في حاله، وعلم العبودية المطلوبة منه، فقام بواجبها، فوفق للخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

وبعد فهذه نماذج من القصص النبوي المبارك، ولا تقتصر التربية بالقصة على القصص القرآني والنبوي، ولكن هناك كذلك من قصص الأمم السابقة، ومن سير السلف، وكذا من أخبار المعاصرين ما فيه عبرة وعظة، فسنأل الله التوفيق إلى ما يحب ويرضى.

(١) رواه البخاري (٥٧٨-٥٧٩) «الأنبياء»، ومسلم [٢٩٦٤] «الزهد».

(٢) رواه الترمذي [٢٣٢٥] «الزهد»، وقال: حسن صحيح وصححه الألباني.

٤] التربية بضرب الأمثال

يقول الأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي مالمخصه: «لم تكن الأمثال القرآنية والنبوية مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرّونق البلاغي فحسب، بل أن لها غايات نفسية تربوية حققتها نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء، ومن أهم هذه الأهداف التربوية:

(أ) تقرب المعنى إلى الأفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية.

ومن الأمثال النبوية المعروضة بأسلوب الحوار الخطابي أيضاً الحديث التالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»^(١).

أما الأمثال القرآنية فقد بلغت ذروة الإعجاز والبلاغة من حيث استكمال الوضوح، وأداء المعنى، وتقريبه للأفهام، نذكر منها على سبيل المثال المعنى الذي ضربه الله مثلاً للحق والباطل.

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَخْلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرَّحَد: ١٧].

فالباطل يضمحل وينمحى كالزبد الذي يحتمله السيل، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، كما يعلو الزبد، والحق ثابت باق يمكن في القلب فينتفع به المؤمن، فيثمر عملاً صالحاً كما يمكن الماء، وأسباب الإنبات في الأرض فيثمر عشباً وزرعاً ونخيلاً وأعشاباً.

(١) رواه البخاري (٢/ ١٤-١٥) «مواقيت الصلاة»، ومسلم رقم [٦٦٧] «المساجد»، «مواضع الصلاة».

(ب) إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وتربية العواطف الربانية: انفعال الاشمئزاز من هؤلاء والشعور بتفاهتهم، وضياح عقولهم، واقرأ معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: كلفوا العمل بها فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسْ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ﴾ [البقرة: ٥٠].

(ج) تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم: تنطوي معظم الأمثال على قياس تُذكر مقدماته ويُطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي لا يصرح القرآن بها في كثير من الأحيان، بل يشير إليها ويترك للعقل معرفتها.

فعندما ضرب الله مثلاً للحق والباطل وصف المشبه به «الماء»، والسيل والزبد وما ينفع الناس فيمكنك في الأرض، وما يذهب جفاء ثم اكتفى بإشارة سريعة إلى النتيجة ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧]، وترك للعقل أن يكتشف أن الحق يبقى، وأن الباطل يذهب جفاء، كما يذهب الزبد بعد انتهاء السيل، ويشعر الإنسان بلذة الظفر بالوصول إلى اكتشاف «اللغز» الذي أشارت إليه الآية، وقد يشعر بلذة «المفارقة» والسخرية بالباطل كما في المثل: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنُخْلِقَنَّهُ دُكَابًا﴾

[الحج: ٧٣]

(د) الأمثال القرآنية والنبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، وتسير الأمة الإسلامية سيرتها نحو حضارة مثلى، يتحقق للإنسانية الرخاء والتحرر من كل خرافة، أو ظلم، ويجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإرادة الطيبة والنزوع إلى الخير، وذلك باستحضار الأمثال القرآنية في المواقف الحياتية والنشاطية المدرسية المناسبة، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند الطلاب، ويحقق عزمهم على توجيه سلوكهم بما تقتضيه

أمثال القرآن وتعاليمه، فالأمثال القرآنية والنبوية سلاح (بلاغي، عاطفي، عقلي) ماض، بليغ الأثر عظيم النتائج، جم الفائدة^(١).

ويقول الأستاذ/ عثمان قدرى مكاني: «كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهده الناس بأمر أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلُوٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»^(٢)، فالناس كما قسمهم الرسول ﷺ أربعة أنواع، والسامعون يرهفون السمع وحاسة التصوير يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة، ليوازنوا بينها، ويحددوا في أي صنف يكونون.. وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة»^(٣).

فضرب الأمثال من وسائل التربية التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقال جل ذكره: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال الحكيم الترمذي: «ثم اعلم أن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء وخفيت عليهم الأشياء، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء فضرِب لهم

(١) «أصول التربية الإسلامية وأساليبها» [٢٢٣-٢٢٨] باختصار.

(٢) رواه البخاري (٨/ ٢٢٨، ٦٨٢) «فضائل القرآن»، ومسلم رقم [٧٩٧] «صلاة المسافرين وقصرها».

(٣) «التربية النبوية» [٣١-٣٢].

مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه، ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال - عز وجل -: ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ بِالْأَمْثَالِ﴾ [الحج: ٧٤]، فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتتهدي النفوس بما أدرت عياناً

فمن تدبیر الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها، ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة، فمن عقل الأمثال سمى الله تعالى في كتابه عالماً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [التكوير: ٤٣] (١).

ثم ساق الحكيم الترمذي رحمه الله جملة مستكثرة من الأمثال في القرآن والسنة وأقوال الحكماء، وهذه باقة طيبة من هذه الأمثال.

قال رحمه الله ما ملخصه: «ضرب مثل المنافقين فقال - جل ذكره -: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١١) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٣) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ (١٤) صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٨].

قال: مثل المنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان مرثياً للناس كان له نوره بمنزلة المستوقد ناراً يمشي في ضوئها ما دامت تتقد ناره، فإذا ترك الإيمان صار في ظلمة، كمن أطفئت ناره فقام لا يهتدي ولا يبصر ذلك.

ثم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: بإيمانهم الذي تكلموا به، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ في ضلالة لا يبصرون الهدى، هذا قول مقاتل.

(١) «الأمثال من الكتاب والسنة» لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي بتحقيق محمد علي البجاوي [١-٢] ط. مكتبة دار التراث.

وقال قتادة: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان ظاهراً، فناكح ووارث بها وحقن به دمه وماله، فلما كان عند الموت لم يك مصداقاً بها سُلبت عنه فُتْرِك في كرب وظلمة، فتحير فيها، كما كانت معاملته في الدنيا في حق الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -».

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: «أضاعت ما حولهم إلى إقبالهم إلى المؤمنين، وذهب بنورهم يعني ذهب نورهم عند إقبالهم على المشركين، فالمنافق قلبه منحدر لا يستقر فيه شيء، كلما برق فيه نور الحق خرج من الجانب الآخر، فقلبه كنفق اليربوع يدخل من باب ويخرج من باب»^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ثم ذكر مثل المرائي والمشرك كمثل صفوانٍ عليه التراب، فأصابه وابل - المطر الشديد -، فلا يبقى من ذلك التراب على ذلك الصفا شيء، كذلك صدقة المشرك والمرائي الذي يَمْن ويؤذي الفقير، لا يحصل له شيء من الثواب يوم الجزاء»^(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومثل الكافر إذا دعا كباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه، ألا يستجاب دعاء الكافر، كما لا يبلغ الماء الذي بسط كفيه لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرَّحْمَةُ: ١٣]، أي: إلا في باطل»^(٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «مثل أعمال الكافر كرمادٍ اشتدت به الرياح في يوم عاصف، فالكفار اتخذوا أهواءهم آلهة من دون الله، وعملوا بأهوائهم فجاءت ريح الأهواء فذرتهم في النار»^(٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وضرب مثلاً آخر لأهل الشرك فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٩].

(١) السابق [٥-٦].

(٢) السابق [١٣].

(٣) السابق [٢٠-٢١].

(٤) السابق [٢١].

فالموحد أسلم وجهه لله وحده، والمشارك أسلم وجهه لأرباب متفرقين، فكيف حاله في الدنيا في بعث عبوديته لهم، وكيف حاله في الآخرة فهو وأربابه في النار»^(١).

قال الحكيم الترمذي: «وما في الأخبار من ضرب الأمثال أكثر من أن يحصى نذكر بعضها، فمنها ما روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: مثل القرآن مثل الإبل المعلقة، إن عقلها صاحبها أمسكها عليه، وإن أرسلها من عقلها ذهبت»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحُنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»^(٣).

ومنها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ لَدُنْ تُدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ شَيْئًا إِلَّا سَبَغَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُوَارِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُو أَفْرَهُ»^(٤).

ومنها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصَّيَّامُ جَنَّةٌ كَجَنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ»^(٥).

(١) السابق [٢٩].

(٢) رواه البخاري (٦٩٦/١٠) فضائل القرآن، ومسلم [٧٨٩] «صلاة المسافرين»، والنسائي (١٥٤/٢) «الصلاة».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٣٥٨/٣) «الزكاة»، ومسلم (١٥٠/٧) «الزكاة».

(٥) رواه البخاري (١٠٣/٤) «الصوم»، ومسلم (٣٢/٨) «الصيام».

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١).

ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الَّذِي اسْتَرَدَّ مَا وَهَبَ، مَثَلُ الْكَلْبِ يَقْبِضُ قَبْضًا كُلَّ قَبْضَةٍ»^(٢).

فهذه الأمثال ضربها رسول الله ﷺ ليريهما ما غاب عنهم بما حضر^(٣).



(١) رواه البخاري (٤٥٢/١٠) «الأدب»، ومسلم [٢٥٨٦] «البر والصلة».

(٢) رواه أبو داود [٣٥٢٣ عون] «البيوع»، والنسائي (٢٦٥/٦) «المهبة»، وابن ماجه [٢٣٨٥] وصححه الألباني.

(٣) الأمثال من الكتاب والسنة [٤٤].

[٥] التربية بدراسته تراجم العلماء

والأعلام والأئمة الكرام

لا شك أن في دراسة تراجم العلماء الأفاضل وأصحاب المنن والفواضل فوائد فمن ذلك:

١- تربية شباب الصحوة الإسلامية على ما تربي عليه العلماء الأعلام، حتى ينسج على منوال الكرام، ويتبوأ منازل الخير والإنعام، فيقرأ سيرهم من لم يعاين صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يعاصرهم، فيعرف مناصبهم ومراتبهم، فيجد في الطلب ليلحق بهم ويتمسك بهديهم.

٢- ومن ذلك أن المسلم تجتمع له خلاصة التجارة وعصارة الأفكار والمواقف، فيأخذ بالحسن ويجد في الطلب، فكأنه يضم عمر غيره إلى عمره:

إذا علم العبد أخبار من مضى	توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره	إذا كان قد أبقي الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالماً	حليماً كريماً فاغتنم أول العمر

٣- ومن ذلك معرفة شرف العلم وحملته، فإذا كان أهل التجارات قد شغلوا أنفسهم بالتجارة، والملوك شغلوا أنفسهم بأمور الملك فإن العلماء قد شغلوا أنفسهم بحراسة دين محمد ﷺ، وإحياء سنته ونشر شريعته.

قناديل دين الله يسعى بحملها	رجال بهم يحيا حديث محمد
هم حملوا الآثار عن كل عالم	تقي صدوق فاضل متعبد
محابرهم زهر تضيء كأنها	قناديل حبر ناسك وسطح مسجد
تساق إلى من كان في الفقه عالماً	ومن صنف الأحكام من كل مسند

٤- ومن هذه الفوائد أن يزداد حب المسلم للعلماء الأعلام، وقد قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب» فطوبى لمن أحب أهل العلم والشرف الدائم والعز الباقي.

٥- ومن ذلك نشر علمهم، والاستفادة بفقهم، والاعتبار بمواعظهم ونصائحهم.

٦- ومن ذلك أن الرحمت تنزل عند ذكر الصالحين.

٧- ومن ذلك أن نزل أنفسنا المنازل الثلاثة بها، كما قال بعضهم: «إذا ذكر السلف افتضحنا».

٨- ومن ذلك أننا في أزمنة غابرة متأخرة عز فيها العلماء العاملون فدراسة تراجم العلماء الأعلام والأئمة الكرام، يعوض شيئاً من هذا النقص، ويجبر شيئاً من هذا الفقر.

٩- ومن ذلك أن المسلم قد تتجدد له همةٌ فيلحق ولو بساقة القوم أو يجد أثراً من غبارهم.

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنها تكن مثل ما أعجبك
فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك^(١)

وقد ذكرنا من وسائل التربية التريية بالقدوة، وقد قيل: حياة رجل في ألف رجل، خير من نصح ألف رجل لرجل، ولكن إذا عز في زماننا من يصلح لأن يكون قدوة في العلم والعمل والصفات الجميلة والأخلاق النبيلة فالتماس القدوة من سير السالفين، وأخبار العلماء العاملين لا شك إن لم يقم مقام القدوة الحاضرة المشاهدة، فإنه يؤدي شيئاً من معناه، فدراسة أخبار السلف وسيرهم من الطرق التربوية الناجحة، إذ النفس تشوق للكمال وتتطلع إليه عند سماع أخبار العلماء الربانيين من عباد الله، كما أنها تثور فيها نوازع الشر، وتتحرك فيها الشهوات عند سماع أخبار أهل الدنيا وأصحاب الشهوات، والنفس

(١) بتصرف من مقدمة المؤلف لكتاب «من أعلام السلف» (١/ ٩-١١) ط. دار الإيوان بالإسكندرية.

بطبيعتها عندها استعداد للخير والشر، كما قَالَ الْعَلَّامُ: ﴿وَفَقِيرٌ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَالْهَمُّهَا فَجُورُهَا وَنَقْوُوتُهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا ۚ﴾ [الشَّهْرِ: ٧-١٠].

ومن فضل الله - عَزَّ وَجَلَّ - علينا وعلى الناس أن دُوِّنَ تاريخ أمتنا، وتُرْجِمَ لرجالها، وكما أن تاريخ الإسلام حافل زاهر بالأحداث العظيمة والمواقف الشريفة التي تفتخر به الأمم والشعوب فهو كذلك حافل زاهر بالشخصيات الفذة والقمم العالية وأكابر الرجال الذين يمثلون عظمة الإسلام، ويصدقون دعوة النبي ﷺ، قُم في العلم والعبادة والخشية والثبات والتضحية وغير ذلك من الفضائل الحميدة، والخصال المجيدة، التي تكون كالمصاييح المضيئة، والرايات المنشورة أمام شباب الصحوة المباركة فهم أسوة وقُدوة، وطاقاة للخير، والحض عليه، والله الموفق.



البُصَيْرَةُ السَّائِعَةُ

التطبيق العملي التربوي

ويقصد بهذا الفصل إبراز المنهج التربوي، وجعله واقعًا عمليًا يستفيد منه شباب الصحوة، وتخرج به الأجيال التي يُرجى أن ترتفع بهم راية الإسلام، ويعلو دين الملك العلام، وبتعبير آخر تتخرج به الأجيال التي يتحقق فيها شرط الله - عَزَّ وَجَلَّ - من الإيمان والعمل الصالح، ومحبة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والرغبة في الجهاد لإعزاز دينه، فتستحق بذلك أن ينزل عليها نصر الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وبتعبير آخر أيضًا تتخرج الأجيال على النمط الصحيح والمنهج الطيب، على نمط الصحابة رضي الله عنهم، تتوفر فيهم أخلاق النصر، ومؤهلات قيادة البشرية، ولا شك في أن هذا الجانب التطبيقي العملي محل اجتهداد، فمهما وُجدت طرائق مشروعة موصلة إلى المقصود من تربية جيل على نمط الجيل الأول، فعلى القائمين على الدعوة أن يجتهدوا في سلوكها، وليست هناك طرائق يتعين علينا سلوكها وعدم الزيادة عليها ولكن المحذور سلوك طرائق مخالفة لشرع الله - عَزَّ وَجَلَّ - بدعوى نشر الدعوة، وتحبيبها إلى الناس، كإقامة المسرحيات الإسلامية كما يزعم البعض، وليست من الإسلام في شيء، ولا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ظل ولا فيء، وإن أطلقوا عليها إسلامية فأصل التمثيل قائم على الكذب والزور، هذا إذا خلا من المحظورات الأخرى كاختلاط الرجال بالنساء، أو تبرج النساء، ومن هذه الوسائل المحظورة أيضًا الإكثار من الإنشاد وشغل الرجال والنساء به، وقد يبدو المنشد وهو حليق اللحية إلى حد فيه تشبه بالنساء، وكذا إنشاده بتكسير وخضوع يشبه إلى حد كبير غناء الفساق، وقد يصحبه الدف أو ما هو أكثر من ذلك مما تنفر منه النفوس المؤمنة، التي تربت على الهدى النبوي المبارك، وأَلَفَتْ الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

[١] اختيار المريين والارتقاء

بأحوالهم العلمية والإيمانية

فأول خطوة من خطوات التربية الجادة على منهج السلف عليه السلام اختيار من يقومون بهذه التربية، والارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية، ويراعى في انتقاء من يقوم بهذه المهمة الصعبة من توفرت فيه شروط أو صفات معينة.

١- فمن هذه الشروط أن يكون ممن يتمتع بالعقيدة الصحيحة السلفية أي التي مضى عليها سلف الأمة عليه السلام.

٢- ومن هذه الشروط كذلك أن يكون صحيح الفكر، على قدر من معرفة المفاهيم الصحيحة التي بينها في التربية الفكرية، وكذا ليست عنده مفاهيم خاطئة كما هو مبين كذلك.

٣- ومن ذلك أن يكون ممن يشهد له بالخلق الحسن، ولين الجنب، وطيب العشرة.

٤- ومن ذلك أن يكون حسن السميت، يلتزم بالهدى الظاهر لأنه سوف يكون ممن يقتدى به. عن موسى بن أعين قال: قال لي الأوزاعي يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يقتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم.

٥- ومن ذلك أن يكون محافظًا على صلاة الجماعة، مداومًا على حضور دروس العلم.

٦- ومن ذلك أن يكون ممن له اهتمام واتصال بالقرآن وتجويده.

ومن ذلك أن يكون ممن يكثر من النوافل بعد استكمال الفرائض، فيجلس في مصلاه من صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس، ثم يصلي سنة الشروق، وكذا المحافظة على أذكار طرقي النهار، وأذكار النوم والاهتمام بصيام النوافل، وقيام الليل، وغير ذلك من نوافل الطاعات.

٨- ومن ذلك أن يكون ميسور الحال، غير مشغول بأعمال الدنيا والاستكثار من أعراضها، فلا يكون مهمومًا بلقمة العيش، والسعي وراءها أو مُثقلًا بالديون.

٩- ومن ذلك أن يكون ممن له خبرة دعوية، وكذا خبرة في معاملة الناس، واكتساب ودهم ومحبتهم.

١٠- ومن ذلك أن يكون صحيح الولاء لمنهج أهل السنة والجماعة، وليست عنده عصبية لأفراد بأعيانهم، أو جماعة بعينها من جماعات الدعوة الإسلامية.

١١- ومن ذلك أن يكون عنده حس أمني، وخبرة حتى يصل بمن معه إلى بر السلام، ولا يُعرضهم لمخاطر أمنية فتضيع الجهود بلا طائل.

١٢- ومن ذلك أن يكون عنده شغف بالكتب، ورغبة في اقتنائها والاستفادة منها.

١٣- ومن ذلك أن يكون له وجهة في مسجده، أو حيه أو عمله، حتى يقبل قوله وينتفع بنصائحه.

فهذه جملة شروط أو صفات ينبغي أن تُراعى في اختيار من يكلف بمهمة التربية. ولا شك في أن توفر كل هذه الشروط عزيز، فينبغي اختيار الأمثل فالأفضل ثم الواجب بعد اختيار أفضل الإخوان الارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية، وذلك عن طريق الدورات المكثفة، والمسكرات التربوية، والقرب من العلماء العاملين والدعاة المخلصين، فإن القرب من العلماء والدعاة من أسباب الرقي الإيماني، كما يقول أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا^(١).

كما ينبغي أن ييسر لهؤلاء المربين الكتب والأشرطة اللازمة كذلك لرفيهم العلمي والإيماني، ومن أولى ما يتم توفيره ودراسته للمربين الكتب التي تعني بالتربية، وكذا

العقيدة والفكر الصحيح. وإنما ظهرت حاجتنا لإعداد مجموعة من المربين لندرة العلماء العاملين وعزّتهم في هذه الأزمنة الغابرة وقد كان الطلاب يتلقون من شيوخهم العلم والأدب والسمت والورع، حتى اندثرت مجالس العلم أو كادت، وتشixت الصحف، وتلمذ كثير من الطلاب على الكتب، أو أمثالهم من طلاب العلم، فافتقد الناس القدوة في العلم والعمل، فلجبر هذا النقص وتعويض هذا الفقر، يُرْتَقَى بأحوال أمثل الموجودين من طلاب العلم، ويهتم بهم اهتمامًا خاصًا حتى يأخذوا بأيدي إخوانهم، ويهدوهم إلى الاستقامة على الصراط المستقيم والله الموفق.



[٢] منهج التربية الفردية

يقول الدكتور/ عدنان علي رضا النحوي: لكل مسلم دور وواجب ومسئولية، وهناك حد أدنى من المسؤوليات يشترك فيه المسلمون جميعاً، ثم تنمو المسؤوليات مع نمو الوسع والطاقة، حتى إذا أصبح المسلم داعية لله ورسوله منطلقاً من إيمانه وعمله وبقينه، فلا حق له إلا أن يعتبر قضية الإيمان والتوحيد والدعوة هي القضية الكبرى والخطيرة في حياته، ثم تليها سائر القضايا حسب وزنها ومنزلتها في منهاج الله.

تحديد المسؤوليات والواجبات تحديداً واضحاً هي نقطة الانطلاق في الموازنة الأمنية لتنظيم الوقت، ثم تحديد منزلة كل مسؤولية وأهميتها على أساس من ميزان رباني دقيق يفصله منهاج الله.

إن الخطوة التالية الواجبة هي وضع خطة يومية لحياته ومسؤولياته، ينظم بها ما سيقوم به في يومه، ثم خطة أسبوعية لنشاطه وعمله، وإن استطاع خطة شهرية، ثم الخطة السنوية، فإذا لم يلتزم المسلم بخطة اليومية وخطة الأسبوعية والسنوية، فكيف يستطيع أن ينظم وقته وجهده وعطاءه.

ولقد نظم الإسلام حياة الإنسان المسلم كلها، حدد موعد نومه واستيقاظه وقيامه في الليل وسعيه وبذله وإنفاقه وجهاده، حدد له منهج حياة متكاملة حتى إذا وعاه ووعى واقعوه وضع خطته على أساس من ذلك، على أساس الركنتين الأساسيين في النظرية العامة للدعوة الإسلامية: المنهج الرباني والواقع^(١).

وقال حَفَظَهُ اللَّهُ: «يحسن بالمسلم أن لا يُباشر أعماله اليومية قبل أن يضع خطته اليومية، تبدأ الخطة اليومية بصلاة الفجر في المسجد، ثم بالأدعية المأثورة، ثم بما هو مقرر

(١) بتصرف من «منهج المؤمن بين العلم والتطبيق» [٢٠٠-٢٠١] الطبعة الخامسة، دار النحوي للنشر والتوزيع.

في منهاجه الفردي، ثم أعمال بيته ووظيفته، ودينه ثم يرتب هذه الأعمال كلها في خطة مدونة مكتوبة بصورة واضحة ومُرتبة ولو نظر المسلم إلى الساعات التي تفلت منه هدرًا في قضايا تافهة، أو في هُوٍ ممتد وتراخٍ طويل، لأذهله الأمر، ولو نظر المسلم إلى الأخطاء التي يقع فيها لعدم توافر الخطة لديه لأذهله الأمر كذلك.

إن وضع الخطة اليومية يزيد الإنتاج ويوفر الوقت، ويُقلل الأخطاء، وبغيرها سيظل المسلم يتخبط في فوضى واضطراب.

الخطة الأسبوعية: إنها الخطة التي يوزع المسلم بموجبها المنهاج الفردي على أيام الأسبوع، وهي جزء لا يتجزأ منه، إن تنفيذ المنهاج الفردي دون هذه الخطة الأسبوعية ضرب من العبث وإضاعة الجهد.

إن الخطة توزع البنود التي يلتزمها المسلم من منهاجه الفردي على أيام الأسبوع كلها على ضوء واقعه وعمله ومسئوليته^(١).

وقد بينا في الشقِّ العلمي من هذا البحث أن المقصود بالتربية العمل على إنشاء لبنات تصلح لإقامة بناء الإسلام من جديد، أو تربية أفراد على نمط الصحابة عليهم السلام في المعتقد والأحوال الإيمانية، وفهم الكتاب والسنة، وكذا الأخلاق والسنن النبوية، فلا بد من سلوك كل طريق مشروع يُوصل إلى ما نهدف إليه فهناك مسئوليات على الفرد نفسه في واجب التربية، ومسئوليات على إمام المسجد أو مسئول التربية بالمسجد، وكذا مسئوليات على من يُوجه الدعوة ويُمسك بزمامها، ومهما قام الجميع بالمسئوليات المطلوبة منهم تحقق الهدف المنشود، ومهما قصر الأفراد أو المسئولون يظهر خلل تربوي بقدر التقصير الحاصل، ونحن نتكلم في هذا الباب على الواجب التربوي أو المنهج التربوي الواجب على الأفراد القيام به، بغض النظر عن الواجبات التربوية الأخرى التي قد يطلب منهم القيام بها في

التربية في المسجد أو عموم الدعوة، وليس المقصود بالتربية الفردية تركية النفس بالتوحيد والعبادات، فبين التربية والتزكية عموم وخصوص، فالتزكية جزء من التربية، ولكن لا تكفي مجرد تركية النفوس لإنشاء جيل يحمل راية الإسلام من جديد، ويُقيم خلافة على منهاج النبوة، فالتربية عمومًا لها ثلاث مجالات على سبيل الاجتهاد لا القطع:

الأول- المجال العلمي ويقصد به التربية على العقيدة الصحيحة وكذا التربية الفكرية ومعرفة السنن النبوية والأخلاق المصطفوية، ولا يخلو نوع من أنواع التربية المذكورة آنفًا من الاحتياج إلى العلم.

الثاني- المجال التعبدية ويقصد به من الدرجة الأولى التربية الإيمانية بالاهتمام بالصلاة والصيام والصدقة وسائر العبادات التي يرق بها القلب وتزكو بها النفس.

الثالث- المجال الدعوي ويقصد به مشاركة الأفراد في الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - كل بحسبه، فمن كان عنده مؤهلات الدعوة والقُدرة على القيام بها فعليه ألا يُقصر في هذا الواجب، ومن لم يكن أهلاً لذلك فعليه أن يشارك في أنشطة الدعوة الأخرى بحسب ملكاته ومؤهلاته، وسوف نلقي شيئاً من الضوء على هذه المجالات الثلاثة حتى يتضح لكلٍّ راغبٍ ما هو منهج التربية الفردية.

١- **المجال العلمي للتربية الفردية:** ويقصد به سلوك الطرق الموصلة للعلم الواجب، وكذا الترقى في العلوم الشرعية بحسب الاستعداد والطاقة.

❁ فمن ذلك أن يدرس المسلم العقيدة السلفية بأدلتها من الكتاب والسنة، مع معرفة الرد على العقائد الباطلة الشائعة في زمانه، حتى يكون على بصيرة، وينصح الأفراد بدراسة المصنفات التي اشتهر مُصنّفوها بالصيانة والديانة واتباع منهج السلف عليه السلام، سواء من المتقدمين أو المتأخرين، ولا بأس بدراسة كتب العقيدة المُسندة المتقدمة لمن كان أهلاً للنظر فيها.

❁ ومن لم يكن أهلاً لذلك فكتب المتأخرين قد تكون أسهل تناولاً، وأيسر للطالبين فيبدأ بها ثم يترقى إلى كتب المتقدمين وننصح بالكتب الآتية: «الثمرات الزكية في العقائد السلفية»، و«معارض القبول»، و«فضل الغني الحميد».

❁ ومن ذلك أن يكون للفرد المسلم حظ ونصيب من تعلم علم التجويد، لا يطلب من جميع الأفراد أن يكونوا متخصصين في علم التجويد، ولكن مع وجود القدر الكافي منهم يكون عند كل فرد قسط من هذا العلم الشريف، وكذا حظ من القرآن العظيم من حفظه وتلاوته ودراسة تفسيره وعلومه، ولا نبالغ فنشترط على كل فرد أن يختم القرآن قبل تعلم العقيدة وفقه العبادات الواجبة، فقد لا يتمكن الشخص لمشاغله أو ضعف حافظته من تحصيل هذا الشرط، فيُحرم من بقية العلوم الشريفة، وفيها ما هو واجب عيني كعلم العقيدة وفقه العبادات الواجبة عليه، وننصح في علم التجويد بكتاب علم التلاوة.

❁ ومن ذلك أن يدرس المسلم كتاباً من كتب الفقه الميسرة تكون مفتاحاً لبقية كتب الفقه، وإن درس الطالب كتاباً من كتب فقه الحديث كـ«سُبُل السلام» أو «نيل الأوطار» أو «فتح الباري» فلا بأس بذلك، وإن درس كتاباً من كتب فقه المذاهب فلا بأس أيضاً، ولكن ليحذر من التعصب المذهبي، وهو أن يكون حبه لإمام هذا المذهب وانتصاره لمذهبه، وإن خالف ما صح عن النبي ﷺ، فإن هذا لا يرضي الله - عَزَّ وَجَلَّ - ولا رسوله ﷺ بل لا يرضي إمام المذهب الذي حنَّ إليه، وقَدَّم كلامه على ما صح من سُنَّة رسول الله ﷺ.

❁ ومن ذلك أن يدرس كتاباً في الفكر السلفي كـ«جلاء العينين في مُحَاكِمَةِ الأحمدين» أو «غاية الأمان في الرد على النبهاني»، أو «صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان»، أو «الأصول العلمية للدعوة السلفية» أو «محاضرات في السلفية»، أو «قواعد المنهج السلفي»، أو «خصائص أهل السنة والجماعة»، ويتربى تربية فكرية صحيحة.

❁ ومن ذلك أن يدرس كتابًا مبسوطًا في الأصول الحديث، وكذا أصول الفقه وينصح «بنظم الدرر» أو «تيسير مصطلح الحديث»، أو «نزهة النظر»، وفي «أصول الفقه الواضح» للأشقر أو «الوجيز» لعبد الكريم زيدان، ومما ينبغي الاهتمام بدراسته علم التفسير وينصح بقراءة مقدمة في «علم التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية وكذا «مقدمة الإمام ابن كثير للتفسير»، و«البيان في آداب حملة القرآن» للنووي، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، أما كتب التفسير التي يُنصح بدراستها ف«تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، وكذا «محاسن التأويل» للقاسمي، ولا يستغني طالب العلم كذلك عن كتاب «أضواء البيان» للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ، فلا بد أن يكون للفرد المسلم برنامج علمي يسعى به في تثقيف نفسه والارتفاع بها عن مجانسة البهائم، والتزهد بها عن الجهل. ولا شك في أن التحصيل من الكتب قد يكون فيه صعوبة، ولكن ينبغي على الطالب أن يستعين بمن يثق فيه من أهل العلم على توضيح ما أشكل عليه، ولا ينسى المسلم كذلك حفظه من دروس العلم، وخاصة دروس العلماء والدعاة الذين صفت مشاربهم وصحت عقيدتهم ودعوتهم، وبخاصة الدروس المنهجية التي يُدرس فيها كتاب بعينه أو مادة علمية محددة، فإن هذا يسهل كثيرًا على الطالب دراسة العلم والله الموفق.

٢- المجال التعبدية: ونقصد به أن يكون للفرد المسلم برنامج تعبدية يسير عليه، ويزداد به إيمانًا ورفعة ودرجة في الدنيا والآخرة، فلا يليق بالمسلم الملتزم أن يكون ممن يتخلف عن صلاة الفجر فالأصل عنده أنه يصلي بعد الشروق، أو يُقصر في الحفاظ على الجماعة، أو على حضور تكبيرة الإحرام، وهذه أيضًا نصائح في التربية في المجال التعبدية الفردي.

❁ فمن ذلك تعظيم الصلاة لأنها أم العبادات وسيدة الطاعات، فيحرص المسلم على أدائها في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، في أول الوقت وفي الجماعة، مع استكمال الركوع والسجود والخشوع، عن سعيد بن المسيب أنه قال: ما فاتتني الصلاة في

الجماعة منذ أربعين سنة، وعنه قال ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وقال بعضهم: إذا كان الرجل لا يبالي بتكبيرة الإحرام فاغسل يديك منه.

❁ ومن ذلك أن يُخرج العبد زكاة ماله طيبة به نفسه، فإن لم يكن له مال تجب فيه الزكاة فعلياً أن يتطوع في أوجه الخير والبر، فقد كان الواحد من الصحابة يعمل بيديه من أجل أن يكتسب ما لا يتصدق به.

❁ ومن ذلك أن يكون للفرد المسلم حظ من الصيام، وذلك بأن يتعود على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيام الاثنين والخميس، أو صيام يوم وإفطار يوم كما كان صيام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أحب الصيام إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

وأن يحج بيت الله الحرام إن كان يملك حد الاستطاعة، وهو الزَّاد والراحلة ثم يتقرب ويتنفل بالإكثار من التردد على الأماكن المقدسة للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، فقد قال النبي ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»^(١).

❁ ومن ذلك أن يكون له حظ من قيام الليل فقد قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»^(٢)، وورد مرفوعاً وموقوفاً: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة للإثم»^(٣).

❁ ومن ذلك أن يحافظ المسلم على الأذكار الموظفة، كأذكار طرفي النهار، وأذكار النوم، وخاصة في الأوقات التي يُكره فيها مُطلق التنفل بالصلاة، ويُستحب فيها

(١) رواه البخاري (٦٩٨/٣) «العمرة»، ومسلم رقم [١٣٤٩] «الحج».

(٢) رواه مسلم (٥٥/٨) «الصيام»، وأبو داود [٤١٢ عون] «الصوم»، والترمذي (٢٢٧/٢) عارضة «الصلاة»، والنسائي (٢٠٧/٣) «قيام الليل».

(٣) رواه الترمذي [٣٨٠١ شاعر] «الدعوات»، وحسنه الألباني في «الإرواء» رقم [٤٥٢]، وكذا «صحيح الترمذي» [٢٨١٤].

كثرة الذكر، كالوقت الذي بعد صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس، وبعد العصر حتى الغروب.

❁ ومن ذلك أن يتحرى المسلم أوقات الإجابة، فيجتهد في الدعاء كيوم عرفة من السنة، وليلة القدر من بين الليالي، والثالث الأخير من الليل، والوقت بين الأذان والإقامة، وتحري ساعة الجمعة.

❁ ومن ذلك الاجتهاد في الاستغفار خاصة عند السَّحَرِ والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ خصوصاً يوم الجمعة.

❁ ومن ذلك أن يكون له وقت في الأسبوع لصلة أرحامه، ودعوتهم إلى الخير وكذا الدعاء لوالديه.

وبعد فهذه جملة من العبادات والطاعات، ينتعش بها الإيمان، وتترعرع شجرته في قلب المؤمن، ويزداد بها تحبباً إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

٣- المجال الدعوي: وهو أيضاً من مجالات التربية الفردية ومن مارس الدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - يعرف كيف يزداد الإيمان بالدعوة، وكيف يثبت به العبد على طريق الله - عَزَّ وَجَلَّ - وقد قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقهٍ ليس بفقيه، رب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه»^(١).

ونضارة الوجه ثمرة من ثمرات نضارة القلب، بزيادة الإيمان، ولا يطلب من كل مسلم أن يكون خطيباً أو مُحاضراً، فما قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً خطب خطبة، أو أعطى مُحاضرة، ولكن قال: «نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه»، وتبلغ حديث النبي ﷺ يقدّر عليه كل أحد، وكذا يمكن للمسلم أن يأخذ بيد أخيه أو صديقه أو جاره إلى دروس العلم، حتى يذوق حلاوة الإيمان، ويجد

السكينة والرحمة في مجالس العلم، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، والدال على الخير كفاعله، وكذا يمكنه أن يعطي أخاه المسلم شريطاً سمعه فانتفع به، أو كتاباً رقى به قلبه وازداد به علمه وإيمانه، فالدعوة ليست قاصرة على الخطباء والوعاظ، ولكن كل مسلم ينبغي أن يكون له مشاركة في الدعوة بحسب ما وهبه الله - عَزَّ وَجَلَّ - من ملكات ومؤهلات، ومن قدر على واجب وفعله كان خيراً ممن تركه وإن كان معذوراً في تركه، وكذا اشتغال المؤمن بمهام الدعوة يجعله يحمل هم الإسلام، ويشغل قلبه وعقله وجوارحه عن الاشتغال بالحرام، ويقيدها بطاعة النبي ﷺ، ونحن في أزمنة عز فيها من يعمل بطاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وكثرت فيها أمواج الشبهات والشهوات، وأعرض أكثر الناس عن طاعة رب الأرض والسموات.



[٢] منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد)

والمقصود بهذا الباب بيان النشاط التربوي الذي يمكن أن يقوم به المسجد التابع للدعوة، وقد بينا في بداية الفصل الحاجة إلى وجود مسئول تربوي بالمسجد وقد تكون هذه المسئولية على إمام المسجد أو يختار الإمام من يتفرغ لهذه المسئولية التربوية وقد بينا كذلك من يختار لهذه المسئولية، وكذا ما ينبغي على القائمين على الدعوة من الارتقاء بأحوال الذين يقومون بهذه المهمة، فما هي مهمات مسئول التربية، وما هي الوظائف التي يمكنه القيام بها في المسجد؟

١- فمن مسئولياته أن يتابع أحوال إخوانه بالمسجد من حيث المواظبة على الجماعة، ودروس العلم والمشاركة في أنشطة المسجد المختلفة فإذا افتقد أحداً منهم بادر بالسؤال عنه، أو أرسل من يسأل عنه فإن كان مريضاً عاده أو مشغولاً بما يمكنه إعانته أعانه، وإن وجدته في حال فترة وزهد في الخير ورغبة في التفلت من الالتزام والطاعة أخذ بيده، وحجب إليه الرجوع إلى الطاعة، وأعانه بشرط أو رسالة تدعوه إلى الإيمان، والالتزام، وأوصى إخوانه بزيارته والسؤال عنه قبل أن يبتعد كثيراً عن الإيمان والدعوة وتزداد صعوبة عودته مرة ثانية.

٢- ومن مسئولياته أن يتفقد وجوه الإخوة بالمسجد فإن وجد وجهاً جديداً بادر بالتعرف عليه، وعلى عنوانه وعمله وعرفه بإخوانه، وأبدى له اهتماماً خاصاً ومتابعة حتى يقوى عوده في الإيمان، ويزداد محبةً لدين الرحمن، وعليه كذلك أن يهدي له بعض الأشرطة والرسائل التي تزيد قرباً وحباً، وتعرفه بالدعوة حتى يتم ولاؤه وانتماؤه إلى دعوة التوحيد، ويزداد رفعةً وشرفاً بمعرفة العزيز المجيد.

٣- ومن مسئولياته أن ينشئ علاقة مودة ومحبة مع إخوانه بكثرة السؤال عنهم، ومشاركتهم في السراء والضراء وقضاء حوائجهم ومعونتهم بما أمكنه من الخير والجهد.

٤- ومن مسؤولياته تجديد وتعدد اللقاءات الإيمانية التي يزداد فيها هو وإخوانه معرفة وإيمانًا، وذلك بدعوتهم إلى الصيام والالتقاء على الإفطار بالمسجد، أو بأحد بيوت إخوانه، وكذا انتهاز فرص اجتماع الإخوة لقيام الليل والمحظور هو جمع الناس لقيام الليل، ولكن إن اتفق اجتماع الإخوة للإفطار، أو لدرس من دروس العلم فلا بأس بصلاة قيام الليل، حتى ينشط من يتكاسل عن هذه العبادات، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا.

٥- ومن مسؤولياته تواجد حلقة تلاوة المسجد يتصدرها من هو أهل لتعليم التجويد سواء من المسجد أو بالاستعانة بأحد الإخوة أو الشيوخ من خارج المسجد، حتى يقوم بهذه المهمة، ويكون الاهتمام الأكبر بحديثي العهد بالالتزام، لأنهم مظنة قلة البضاعة في القرآن، والجهل بأحكام التجويد.

٦- ومن مسؤولياته إرشاد إخوانه إلى الاهتمام بحضور دروس العلم بالمسجد، وكذا حثهم على الخروج لطلب العلم ومجالسة أهل العلم في المساجد الأخرى، حتى تربى عندهم المهمة في طلب العلم، فقد قال أبو العالية أحد التابعين: كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ فما أقنعنا ذلك حتى رحلنا إليهم، واستمعنا منهم، وينبغي على المسلم أن يكون عالي المهمة في الطلب فقد سافر أحد الصحابة رضي الله عنه شهرًا لسماع حديث بعلو من صحابي آخر.

٧- ومن مسؤولياته تنشيط الإخوة دائمًا بالمسجد، وشغلهم بأعمال إيمانية دعوية، حتى تكثر معاشرتهم لإخوانهم وحتى يصونهم عن الاشتغال بالدنيا وسفاسف الأمور، وذلك بإعداد ندوات عامة في المسجد، والدعوة إليها، وكذا الإعداد لرحلات هادفة، أو أيام إسلامية يعد برنامجها ويتدرب فيها الإخوة كيف يعيشون يومًا إسلاميًا كاملاً بالمحافظة على فرائضه، والاهتمام بنوافله، وحتى يسعدوا بالمجتمع الإسلامي الصغير، حتى يتم الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليهم نعمته ويمتتعهم بالمجتمع الإسلامي الكبير.

٨- ومن مسؤولياته أن يكون هو ومن معه من أهل المهمة في العبادة والطاعة نواة خير وبركة، فيجلسون في المسجد بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشمس ثم صلاة سنة الشروق، وكذا بعد العصر أو قبل المغرب لأذكار المساء، وكذا التذكير لصلاة الجمعة في الساعات الأولى، وتحري ساعة الإجابة في آخر ساعة من عصر يوم الجمعة، فهم يذكرون الناس وينشطونهم بأقوالهم وكذا بالمسابقة إلى الطاعة والعبادة، حتى يكونوا أسوة في الخير.

٩- ومن مسؤولياته أن يقوم هو أو يكلف من يقوم بتدريس كتاب تربوي عقب بعض الصلوات كصلاة العشاء أو صلاة الفجر، ولو لدقائق معدودة ككتاب «رياض الصالحين» أو «زاد المعاد» أو «مختصر منهاج القاصدين»، أو «البحر الرائق في الزهد والرفائق»، وكان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ أدومه وإن قل، لأن القليل بالمداومة عليه يصير كثيرًا، والله تعالى يحب أن يوالي فضله ويُدِيم إحسانه فيحب من العبد أن يُداوم على الطاعة حتى يدوم الفضل عليه من الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

١٠- ومن مسؤولياته تنظيم خروج بين الحين والآخر لزيارة المستشفيات لعيادة المرضى ودعوتهم إلى الطاعة والخير، وتعليمهم صلاة وطهارة أصحاب الأعدار، ومساعدة المحتاجين منهم، وتقديم الهدايا من الكتب والأشرطة والأطعمة لهم، وكذا زيارة المقابر، فقد قال النبي ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

١١- ومن ذلك الاهتمام بجيران المسجد، وتذكيرهم بفضل الجماعة، وفضل حضور دروس العلم، والمشاركة في الخير، وتمنيتهم في المناسبات، ومواساتهم في الملمات.

١٢- ومن ذلك تنظيم بعض المسابقات في الرياضة المباحة أو المستحبة بين أفراد المسجد، فيكون في ذلك ترفيهًا مباحًا لهم، وتدريبًا على الرياضة، والإعداد البدني.

وبعد فهذه جملة من مهمات مسئول التربية بالمسجد يظهر فيها بجلاء الأنشطة التربوية التي تقام في المسجد، وأكثر ما ذكرنا إن لم يكن جميعه قد جرب بفضل الله - عَزَّ وَجَلَّ - في مساجد الدعوة، وأعطى ثمرة طيبة، والله الموفق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات.



٤] المنهج العام للتربية

والمقصود بالمنهج العام للتربية المنهج الذي تقوم به الدعوة للوصول إلى الهدف التربوي المنشود وهي تربية جيل على النمط الأول، وعلى هدى الصحابة رضي الله عنهم، وإن كان المنهج الفردي وكذا نشاط المسئول التربوي بالمسجد لا بد أن يكون كذلك بتوجيه من القائمين على الدعوة فما الواجب على الدعوة في النشاط التربوي العام.

١- لا بد أن تتبنى الدعوة منهجًا علميًا يدرس في مساجد الدعوة، حتى يُثمر الثمرات المطلوبة، والمنهج العلمي من صميم المنهج التربوي؛ لأن المنهج التربوي يُربي أفرادًا بعقائد صحيحة وفهم سليم للكتاب والسنة فلا بد من اختيار كُتب بعينها تدرس في مساجد الدعوة، أو يَكَلَّف بدراستها الذين ينتمون إلى الدعوة المباركة، ويشترط في هذه الكتب أن تكون أمثل الكتب وأن تكون على مستوى الدعوة، وأن تكون لمن ينسب إلى الفهم الصحيح والعقيدة السليمة، وكذا ينبغي أن تكون أكثر من مستوى أو طبقة، فمن يدرس منهج المستوى الأولي يترقى إلى الثاني ثم الثالث حتى يتأهل بعد ذلك لممارسة الدعوة على بصيرة ويقبل تكليف الدعوة له بالبذل والجهد في المكان الذي تختاره الدعوة.

٢- لا بد أن تغرس الدعوة المفاهيم الصحيحة وما تتبناه من فكر ومعتقد ومواقف تجاه الواقع والأحداث الجارية في قلوب أبنائها، وأن توحد فكرهم، فيتربى الصغار على ما تربى عليه الكبار.

ويمكن للدعوة الوصول إلى هذا الهدف التربوي بأمور:

(أ) الدورات المكثفة: ويقصد بها تحديد موضوع معين أو قضية معينة مصيرية من قضايا الدعوة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الجهاد، أو التطرف، وإقامة مخيم لأئمة المساجد والدعاة الذين ينتمون للدعوة لعدة أيام، يُحاضر في هذه الأيام شيوخ الدعوة، بعد تقسيم عناصر القضية عليهم، وفتح باب النقاش عقب كل محاضرة، للرد

على الشبهات والتساؤلات، حتى يخرج الأفراد من المخيم وقد توافقت مفاهيمهم وأفكارهم مع أفكار شيوخم.

(ب) نشرات دورية باسم الدعوة لتوحيد الفكر وبيان موقف الدعوة كذلك من الأحداث المتجددة حتى يكون للأفراد الذين ينتمون إلى الدعوة نفس مواقف القائمين عليها.

(ج) مجلة تصدر باسم الدعوة أو كتاب متعدد الموضوعات، أو مجموعة أبحاث ومقالات، ويتولى الإشراف عليها شيوخ الدعوة، ويكون في كل عدد مقال خاص بفكر الدعوة، وموقفها من القضايا، أو الأحداث المتجددة.

(د) ندوات عامة يعلن عنها في مساجد الدعوة في قضية من القضايا لبناء الفكر أو موقف الدعوة من أحداث الساعة يُحاضر في هذه الندوات أكثر من مُحاضر لتغطية الموضوع ويعلن عنها في مساجد الدعوة بطريقة لائقة.

٣- إذا وجد خلل تربوي معين، أو هجمة شرسة على الدعوة والدُّعاة ينبغي أن يكون هناك توجيه عام لمساجد الدعوة، للتركيز على مُعالجة الخلل بالخطب والدروس والمحاضرات العامة، وكذا الرد على هجمات أعداء الإسلام، والشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من العلمانيين أو غيرهم.

٤- إقامة معسكرات تربوية يقصد بها تربية الناس على ما تربي عليه الصحابة عليهم السلام، فإذا كانت الدورات المكثفة لتوحيد الفكر ونشر الفكر الصحيح فهذه المعسكرات يُقصد بها الارتفاع بالأحوال الإيمانية فتركز فيها على العبادات الواجبات والنوافل، وكذا التدرب على الالتزام بالأذكار الموظفة وغير الموظفة، والصيام، وكذا تعلم الآداب والسنن النبوية، والتخلق بالأخلاق المصطفوية ولا بأس كذلك بأن يجمع المعسكر بين الهدف التعليمي والتربوي، ويَحْسُنُ أن تكون هذه المعسكرات في الخلاء وبين أحضان الطبيعة، حتى ينال الإخوة حظًا من عبادة التفكير، وكذا يتعودون على

الخشونة وترك التنعم والترفيه، وتحمل المسؤولية حيث يقومون بحراسة أنفسهم، وتجهيز طعامهم وأماكنهم، ولا بأس كذلك من التدريب على بعض الرياضة المباحة والترفيه المباح، وفي هذه المعسكرات يزداد تعايش الإخوة وتربطهم ومحبتهم في الله - عَزَّ وَجَلَّ - ويظهر فيها كذلك الكفاءات العلمية والقيادية والدعوية والرياضية المختلفة.

٥- تنظيم رحلات هادفة يقصد بها زيادة الترابط بين الإخوة، وتوثيق أواصر المحبة بينهم، والترويح المباح، وكذا إعطاء بعض الدروس التربوية عقب الصلوات، والرياضة المباحة، ويراعى في الرحلات أن تكون في أماكن خلوية خالية من الاختلاط الماجن واللهو والعبث.

كما يقصد بهذه الرحلات كذلك تأليف قلوب الإخوة الجُدد وليعلموا أن في ديننا فسحة، ولا شك في أن من أولى الأماكن، الأماكن المقدسة للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي، وكذا الرحلة للقاء بعض شيوخ الدعوة للاستفادة منهم، والتعرف عليهم.

٦- تنظيم قوافل للدعوة مع تجنب المحاذير التي تقع فيها بعض الجماعات من خروج من ليس أهلاً للدعوة يبيث الأحاديث الضعيفة، ويكون ما يفسد أكثر مما يصلح، ويتجنب كذلك الكيفيات الثابتة، والمدد المحترمة للخروج كأنها من الشرع وليست منه، وكذا ترك تسمية هذا الخروج خروج في سبيل الله، لأن مصطلح في سبيل الله يُطلق على الجهاد وليس الخروج للدعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ -، كذا ينبغي متابعة من يُؤْتَى بهم إلى المسجد حتى لا يفترسهم الشيطان من جديد.

٧- ومما ينبغي أن تهتم به الدعوة نشر الأشرطة والرسائل والكتب التي تتبنى منهج السلف عليه السلام، وأن توفرها للطلاب وعوام الناس بأسعار طيبة أو تُوزع مجاناً بحسب الظروف والأحوال وخاصة على الوعاظ والمشتغلين بالدعوة والذين لا يتمكنون من شراء الكتب والأشرطة اللازمة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من جهز غازياً فقد

غزا^(١). فالذي لا يستطيع أن يدعو بنفسه لفقد أهلية وملكات الدعوة يمكنه أن يعين داعية بمراجع أو أشرطة، فإن هذا يعود خيره وبره على عموم المسلمين ويدخر الله - عَزَّ وَجَلَّ - ثوابه وفضله لمن أعان عليه من المنفقين.



(١) رواه البخاري (٥٨/٦) «الجهاد»، ومسلم [١٨٩٥] «الإمارة».

قال النووي: أي حصل له أجر بسبب الغزو وهذا الأجر يحصل بكل جهاد وسواء قليلة وكثيره ولكل خالف له في أهله خير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم ويختلف قدر الثواب بقلّة ذلك وكثرته وفي هذا الحديث حث على الإحسان إلى من فعل المصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم. «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/٦٠-٦١).

الفهارس

- ١- فهرس المراجع.
- ٢- فهرس الموضوعات.

١- فهرس المراجع

- ١- «أصول التربية الإسلامية» لعبد الرحمن النحلاوي ط. دار الفكر.
- ٢- «الآداب النبوية» لصالح بن علي ط. مكتبة أمها.
- ٣- «الإحسان في تقريب ابن حبان» بتحقيق الأرنؤوط ط. الرسالة.
- ٤- «الإصابة في معرفة الصحابة» للحافظ ابن حجر العسقلاني ط. دار الكتب العلمية.
- ٥- «الأمثال» للحكيم الترمذي. ط. دار التراث.
- ٦- «تاريخ الطبري» ط. دار المعارف.
- ٧- «تربية الأولاد في الإسلام» للدكتور/ عبد الله ناصح علوان. ط. دار السلام.
- ٨- «تربية المراهق» للدكتور/ محمد السيد الزعبلأوي. ط. مكتبة التوبة للكتب الثقافية.
- ٩- «تفسير الطبري» لمحمد بن جرير الطبري. ط. دار المعرفة.
- ١٠- «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير. ط. دار المعرفة بيروت.
- ١١- «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» لابن مسكويه. ط. المكتبة العصرية.
- ١٢- «تهذيب موعظة المؤمنين» للقاسمي.
- ١٣- «تيسير المنان في قصص القرآن» للمصنف. ط. دار ابن الجوزي الطبعة الأولى.
- ١٤- «التربية الجادة ضرورة» لمحمد بن عبد الله الدويش. ط. دار الصفوة.
- ١٥- «التربية النبوية» لعثمان قدرى مكانسي. ط. دار ابن حزم.
- ١٦- «التفكر في الأسماء طريق العلماء» لضياء الدين الجماس. ط. دار الهجرة.
- ١٧- «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي. ط. مركز صالح بن صالح.
- ١٨- «جوامع الآداب» لجمال الدين القاسمي. ط. قرطبة.
- ١٩- «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني. ط. السعادة.
- ٢٠- «حتى يعلم الشباب» للدكتور/ عبد الله ناصح علوان. ط. دار السلام.
- ٢١- «الحل الإسلامي» ضرورة للدكتور/ يوسف القرضاوي. ط. مكتبة وهبة.
- ٢٢- «خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية» للشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق.

- ٢٣- «روضة المحبين» لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مطبوعات دار الصفا، مكتبة الجامعة.
- ٢٤- «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للعلامة/ ناصر الدين الألباني. ط. المكتب الإسلامي.
- ٢٥- «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للعلامة/ ناصر الدين الألباني. ط. المكتب الإسلامي.
- ٢٦- «سنن ابن ماجه» لابن ماجه القزويني بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. ط. دار الكتب العلمية.
- ٢٧- «سنن الترمذي» بتحقيق أحمد شاكر. ط. دار الكتب الحديث.
- ٢٨- «سنن النسائي شرح السيوطي وحاشية السندي» ط. دار الكتب العلمية.
- ٢٩- «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي. ط. مؤسسة الرسالة.
- ٣٠- «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» ط. الكليات الأزهرية.
- ٣١- «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي. ط. دار الكتب العلمية.
- ٣٢- «السنن الكبرى» لليبيهقي. ط. المعرفة.
- ٣٣- «السنة» لابن أبي عاصم ومعها «ظلال الجنة» للعلامة الألباني. ط. المكتب الإسلامي.
- ٣٤- «شجرة الإيمان» للمصنف. ط. دار العقيدة للتراث.
- ٣٥- «شرح حديث ما ذُبحان جائعان» لابن رجب الحنبلي. ط. دار الفتح..
- ٣٦- «شرح الطحاوية» لأبي العز الحنفي بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد المحسن التركي. ط. مؤسسة الرسالة.
- ٣٧- «شرح السنة» للإمام البغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط. ط. دار بدر.
- ٣٨- «شعب الإيمان» لليبيهقي زغلول. ط. دار الكتب العلمية.
- ٣٩- «صحيح ابن ماجه» للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.
- ٤٠- «صحيح سنن أبي داود» للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.
- ٤١- «صحيح سنن الترمذي» للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.
- ٤٢- «صحيح سنن النسائي» للعلامة ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي.
- ٤٣- «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للعلامة ناصر الدين الألباني. ط. المكتب الإسلامي.
- ٤٤- «صلاح الأمة في علو الهمة» لسيد حسين العفاني. ط. دار الرسالة.

- ٤٥- «الطبقات الكبرى» لابن سعد. ط. دار صادر.
- ٤٦- «عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذي» لابن العربي المالكي. ط. دار الوحي.
- ٤٧- «عون المعبود بشرح سنن أبي داود» لشمس الحق أبادي. ط. المكتبة السلفية بالمدينة.
- ٤٨- «العفة ومنهج الاستعفاف» ليحيى بن سليمان العقيلي. ط. دار الوفاء ودار الدعوة.
- ٤٩- «العقيدة في ضوء الكتاب والسنة» للدكتور / عمر سليمان الأشقر. ط. دار النفائس ومكتبة الفلاح.
- ٥٠- «غذاء الألباب» للسفاريني. ط. دار العلم للجميع ومكتبة البيان.
- ٥١- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني. ط. السلفية.
- ٥٢- «فصول من السياسة الشرعية» للشيخ / عبد الرحمن عبد الخالق.
- ٥٣- «فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد» لفضل الله الجيلاني.
- ٥٤- «في ظلال القرآن» للأستاذ / سيد قطب رحمه الله. ط. دار العلم بجدة.
- ٥٥- «كيف نربي أولادنا» لمحيى الدين عبد الحميد. ط. مؤسسة بدران.
- ٥٦- «الكشاف» للزمخشري. ط. الريان.
- ٥٧- «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي. ط. دار الجليل.
- ٥٨- «لماذا أعدموني» مذكرات لسيد قطب رحمه الله.
- ٥٩- «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي. ط. وقفية للاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.
- ٦- «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان. ط. مكتبة المعارف.
- ٧- «مجلة الوعي الإسلامي» مقال بعنوان (قيم هي أساس التربية) لمحمد رجاء حنفي عبد المتجلي.
- ٦٢- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» لنور الدين الهيثمي. ط. دار الفكر العربي.
- ٦٣- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط. مكتبة ابن تيمية.
- ٦٤- «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي. ط. دار الفكر.
- ٦٥- «محاسن الدين الإسلامي» لعبد العزيز محمد السلمان، الطبعة الثانية وقفية.
- ٦٦- «محاضرات الجامعة الإسلامية» موسم ثقافي ١٣٩٦-١٣٩٧ هـ.

- ٦٧- «مختصر منهاج القاصدين» لأحمد بن قدامة. ط. دار الإمام.
- ٦٨- «مدراج السالكين» لابن قيم الجوزية.
- ٦٩- «مسئولية الأب المسلم» لعبدنان حسن باحارث. ط. دار المعرفة.
- ٧٠- «مستدرك الحاكم ومعه تلخيص الذهبي» ط. دار المعرفة.
- ٧١- «مسلم بشرح النووي» ط. المطبعة المصرية ومكتبتها.
- ٧٢- «مسند أحمد بفهرس الألباني» ط. المكتب الإسلامي.
- ٧٣- «مسند أحمد» بتحقيق أحمد شاكر. ط. دار المعارف.
- ٧٤- «معارج القبول» للحافظ بن أحمد حكيمي. ط. مركز الهدى للدراسات.
- ٧٥- «معالم السنن» للخطابي. ط. المكتبة العلمية.
- ٧٦- «معالم في الطريق» للأستاذ/ سيد قطب رحمه الله. ط. دار الشروق.
- ٧٧- «من أخلاق النصر في جيل الصحابة (رضي الله عنهم)» لسيد محمد نوح. ط. دار ابن حزم.
- ٧٨- «من أعلام السلف» للمصنف. ط. مكتبة الإيمان بالإسكندرية.
- ٧٩- «منهج الإسلام في تزكية النفس» للدكتور/ أنس كرزون. ط. ابن حزم، ودار نور المكتبات.
- ٨٠- «منهج التربية الإسلامية» للأستاذ/ محمد قطب. ط. دار الشروق.
- ٨١- «منهج السنة النبوية في تربية الإنسان» للدكتور/ بدير محمد بدير، توزيع مكتبة الدعوة الإسلامية. بالمنصورة.
- ٨٢- «منهج القرآن في التربية» لمحمد شديد. ط. مؤسسة الرسالة.
- ٨٣- «منهج المؤمنين العلم والتطبيق» للدكتور/ عدنان علي رضا النحوي. ط. دار النحوي.
- ٨٤- «موطأ مالك» بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. ط. عيسى البابي الحلبي.
- ٨٥- «المراهقون دراسة نفسية إسلامية» د/ عبد العزيز محمد النغميشي.
- ٨٦- «نقض المنطق» لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٨٧- «واقعنا المعاصر» للأستاذ/ محمد قطب. ط. مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر.

فهرست

- المقدمة..... ٥
- البطلان الأول - معنى التربية وأهميتها..... ١٥
- البطلان الثاني - المؤهلات التي أهلت الصحابة عليهم السلام لقيادة البشرية..... ٣٥
- ١ - تعظيمهم لأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم..... ٤٠
- ٢ - صدقهم عليهم السلام في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم..... ٤٢
- ٣ - زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة..... ٤٣
- ٤ - شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا..... ٤٥
- ٥ - قطع حبال الجاهلية وموالاة الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسوله صلى الله عليه وسلم..... ٤٥
- والمؤمنين..... ٤٦
- ٦ - استهانتهم بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء..... ٤٧
- ٧ - حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف..... ٤٨
- ٨ - مسارعتهم إلى التوبة والإنابة إن بدرت منهم معصية..... ٥٠
- ٩ - تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم..... ٥٠
- ١٠ - اتهمهم أنفسهم دائماً بالتقصير..... ٥٢
- ١١ - أنفتهم واستعلاء الإيمان في قلوبهم..... ٥٣

- ١٢- تزكية نفوسهم بالعبادات..... ٥٣
- ١٣- ثباتهم أمام المطامع والشهوات..... ٥٤
- ١٤- حرصهم على الأخذ بأسباب القوة..... ٥٥
- ١٥- استنصارهم بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وطلبهم العزة بما أعزهم الله عَزَّ وَجَلَّ به... ٥٦
- ١٦- ثقتهم بنصر الله عَزَّ وَجَلَّ..... ٥٨

البَقِيَّةُ مِنَ التَّالِثِ

أنواع التربية المطلوبة

لتربية جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم

- [١] التربية العائلية..... ٦١
- [٢] التربية الفكرية..... ٧٣
- (أ) مفاهيم صحيحة ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم..... ٧٣
- ١- الأدب مع الله عز وجل ومع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٧٣
- ٢- الأخذ بظاهر الكتاب والسنة ورفض التأويل..... ٧٤
- ٣- ألا يرفعوا أحدًا من علماء الأمة إلى منزلة لا تنبغي إلا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٧٥
- ٤- محبة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآل بيته الكرام..... ٧٦
- ٥- المحافظة على الجمع والجماعات والأعياد..... ٧٧
- ٦- الاهتمام بتعليم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية بأدلتها من الكتاب والسنة..... ٧٨

- ٧- محبة العلماء العاملين والأئمة المجتهدين..... ٧٩
- ٨- تعظيم حرّات المسلمين..... ٨٠
- ٩- تحمل المسؤولية والمشاركة في العمل الجماعي..... ٨١
- ١٠- حب الجهاد والرغبة في الاستشهاد..... ٨٢
- ١١- التورع عن الفتوى..... ٨٣
- ١٢- معرفة قيمة الأوقات وتعميرها بالطاعات..... ٨٤
- ١٣- فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بواجبه بحسب القدرة والطاقة..... ٨٥
- ١٤- معرفة مراحل الدعوة إلى الله عز وجل والعبودية المطلوبة في كل مرحلة... ٨٦
- ١٥- الثقة بنصر الله عز وجل واليقين بوعدده..... ٨٧
- ١٦- معرفة الحضارة الإسلامية والمخططات اليهودية والنصرانية والماسونية التي تستهدف الشباب المسلم..... ٨٨
- ١٧- ينبغي أن يتربى الشباب المسلم على الخشونة والرجولة وترك التمتع.... ٩٠
- (ب) مفاهيم خاطئة يتربى عليها الشباب المسلم ينبغي التنبيه عليها والحذر منها..... ٩١
- ١- استهانة بعض الجماعات بأمر العقيدة..... ٩١
- ٢- غرس بذور التقليد في قلوبهم..... ٩٢
- ٣- اعتقادهم بأن كل مجتهد مصيب وأن الحق متعدد..... ٩٣
- ٤- قولهم: لا إنكار في الخلافات..... ٩٤
- ٥- تقديم الآراء والأقيسة الفاسدة على النصوص الصريحة الواضحة..... ٩٥

- ٦- التعصب للجماعة وقادتها وقطع الموالاة بينهم وبين أفراد بقية الجماعات... ٩٥
- ٧- تقسيم الدين إلى قشور ولباب..... ٩٦
- ٨- قول بعض المفكرين بأن النجاح بحسب الثقل السياسي والاقتصادي..... ٩٧
- ٩- الغلو والتنطع والتكفير..... ٩٩
- ١٠- التهور الحركي وسرعة الانجراف في عمليات بائسة يائسة..... ١٠٠
- ١١- اعتقاد بعضهم أن إنكار المنكر واجب باليد واللسان ولو ترتب على إزالته منكر أكبر..... ١٠١
- ١٢- قول بعضهم: ألا نتكلم في أمراض الأمة..... ١٠٢
- ١٣- قول بعضهم: إن الصحابة لم يكن فيهم من العلماء إلا أربعة..... ١٠٣
- ١٤- قول بعضهم بأن أصل الأصول الحب في الله..... ١٠٣
- ١٥- عدم الاهتمام بالهدى الظاهر واعتباره من سفاسف الأمور..... ١٠٤
- ١٦- عدم التوازن في تحصيل العلوم الشرعية..... ١٠٥
- [٣] التربية الإيمانية..... ١٠٧
- ١- تعميق معرفتهم بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته..... ١١١
- ٢- تدبر القرآن وأحاديث النبي ﷺ..... ١١٣
- ٣- معرفة النبي ﷺ..... ١١٥
- ٤- دراسة محاسن الإسلام..... ١١٦
- ٥- التفكير في مخلوقات الله عز وجل..... ١١٧
- ٦- الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض..... ١١٨
- ٧- الحياة في أجواء إيمانية والبعد عن أجواء المعاصي والشهوات..... ١١٩

- ٨- كثرة ذكر الله عز وجل..... ١٢٠
- ٩- المشاركة في الدعوة إلى دين الله..... ١٢١
- [٤] التربية الخلقية..... ١٢٣
- معنى التربية الخلقية..... ١٢٣
- أقوال السلف - رحمهم الله - في حسن الخلق..... ١٢٦
- الأحاديث النبوية الشريفة في فضل حسن الخلق..... ١٢٩
- أمثلة من حسن خلق السلف عليهم السلام..... ١٣٠
- مسئولية المربين..... ١٣٣
- جملة من الأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها الشباب المسلم..... ١٣٤
- [٥] التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية..... ١٣٩
- ١- آداب بر الوالدين..... ١٤٠
- ٢- آداب صلة الرحم..... ١٤١
- ٣- آداب الضيافة..... ١٤٣
- ٤- آداب الجوار..... ١٤٤
- ٥- آداب طلب العلم..... ١٤٥
- ٦- آداب النظر..... ١٤٦
- ٧- آداب اللسان..... ١٤٧
- ٨- آداب الخلطة..... ١٤٨
- ٩- آداب الذكر..... ١٤٩
- ١٠- آداب الطعام..... ١٥١

- ١١- آداب النوم..... ١٥٣
- ١٢- آداب السلام..... ١٥٥
- ١٣- آداب السواك..... ١٥٧
- ١٤- آداب العطاس والتثائب..... ١٥٨
- ١٥- آداب الاستئذان..... ١٦٠
- ١٦- آداب المجلس..... ١٦١
- ١٧- آداب السفر..... ١٦٣
- ١٨- آداب الكسب والمعاش..... ١٦٤
- [٦] التربية الجسدية الجهادية..... ١٦٧
- [٧] التربية على العفة والاستعفاف..... ١٧٥
- معنى العفة..... ١٧٥
- ثمرات العفة..... ١٧٩
- الطريق إلى العفة..... ١٨١
- ١- تقوية الإيمان..... ١٨٢
- ٢- إحياء الآداب الإسلامية..... ١٨٢
- ٣- البعد عن المثيرات الجنسية..... ١٨٣
- ٤- التبكير بالزواج..... ١٨٥
- ٥- اختيار الصحبة الصالحة..... ١٨٦
- ٦- التسامي والاستعفاف..... ١٨٧
- ٧- معرفة بعض المواقف..... ١٨٧

الفصل الرابع

الهدى القرآنى فى التربىة

- ١- القرآن ىربى فى قلوب الناس عقيدة التوحىء..... ١٨٩
- ٢- القرآن ىربى فى قلوب العباء ملكة المراقبة والتقوى..... ١٩٠
- ٣- القرآن ىربى المسلم على أن تكون علاقته مباشرة مع الله عزَّ وجلَّ..... ١٩١
- ٤- القرآن ىربى المسلم على التفكير فىما يقع تحت حواسه..... ١٩٢
- ٥- القرآن ىربى المسلم على الثقة بنصر الله عز وجل والىقين بوعدہ..... ١٩٢
- ٦- القرآن ىربى المسلم على الاستعداد للقاء الله عز وجل..... ١٩٣
- ٧- القرآن ىربى المؤمن على معرفة الغاية التى خلق من أجلها..... ١٩٤
- ٨- القرآن ىربى المسلم على أن التفاضل بين الناس لىس بالحسب ولا بالنسب ولا بالمال ولا بالشهرة وإنما هو بتقوى الله عزَّ وجلَّ..... ١٩٥
- ٩- القرآن ىربى المسلم على الآداب الإسلامىة..... ١٩٥
- ١٠- القرآن ىربى المؤمن على الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة..... ١٩٧
- ١١- القرآن ىربى فى المسلم العواطف الربانىة الوجدانىة..... ١٩٧
- ١٢- القرآن ىربى المؤمن على المحبة الشدیده لله - عزَّ وجلَّ - التى تدفعه للبذل فى سبیل الله..... ٢٠٠

الفصل الخامس

الهدى النبوى المبارك فى التربىة

- ١- من هدىه المبارك فى التربىة الحوار، واغتنام الفرص..... ٢٠١
- ٢- من هدىه المبارك فى التربىة أنه كان إذا أمر بأمر ینفذه على نفسه..... ٢٠٢

- ٣- من هديه المبارك في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم..... ٢٠٣
- ٤- من هديه المبارك أنه كان يرغب الصحابة في الدرجات العالية والرتب السامية..... ٢٠٤
- ٥- من هديه في التربية أنه كان يلفت نظر الصحابة إلى ما كان يهمهم..... ٢٠٥
- ٦- من هديه المبارك في التربية أنه إذا بلغه شيء من أصحابه يكرهه يقول:
- «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا»..... ٢٠٦
- ٧- من هديه المبارك أنه كان يربي أصحابه على السمع والطاعة ومعرفة بركة الانقياد..... ٢٠٧
- ٨- من هديه التربوي أنه كان يربي الصحابة على الطاعة المطلقة لولي الأمر مقيدة بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ..... ٢٠٧
- ٩- من هديه في التربية أنه كان يشي على من ظهر منه ما يستحق الثناء ويُبشّره بالخير والرفعة..... ٢٠٨
- ١٠- من هديه المبارك في التربية أنه كان يربي الصحابة على احترام من له سبق وبذل في الإسلام..... ٢٠٩
- ١١- من هديه أنه كان يربي الصحابة على محبة البذل والتضحية بأموالهم وأنفسهم..... ٢١٠
- ١٢- من هديه أنه كان يربي الصحابة الكرام على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة..... ٢١٠
- ١٣- من هديه المبارك أنه كان يربي أصحابه على علو الهمة..... ٢١١
- ١٤- من هديه أنه كان يربي الصحابة على الصبر على البلاء ويعلمهم أن الابتلاء سنة ماضية..... ٢١٢

- ١٥- من هديه المبارك أنه كان يربي الصحابة الكرام على حُسن الخلق مع
القريب والبعيد، والعدو والصديق..... ٢١٢
- ١٦- من هديه المبارك في التربية أنه كان يربي الصحابة بتنشيط أذهانهم
واختبار ذكاءهم وعلمهم..... ٢١٣
- ١٧- من هديه أنه كان يشوق الصحابة للعلم ويسهل عليهم حفظه..... ٢١٤
- ١٨- من هديه أنه كان يرغب الصحابة في الاجتهاد في الطاعة والعبادة..... ٢١٤
- ١٩- من هديه أنه كان يداعب الصحابة أي أحياناً ولكنه لا يقول إلا حقاً..... ٢١٥
- ٢٠- من هديه المبارك في التربية أنه كان يحذر الصحابة من أسباب الغواية
ويسد دونهم أبواب الفتن..... ٢١٦
- ٢١- من هديه المبارك أنه كان يدعو لأصحابه عليهم السلام..... ٢١٧
- ٢٢- من هديه المبارك أنه كان يربي أصحابه على الاستعفاف والاستغناء
عن الناس..... ٢١٧
- ٢٣- من هديه أنه كان يحرص على مؤاخاة الصحابة بعضهم لبعض..... ٢١٨
- ٢٤- من هديه أنه كان يربي أصحابه على النصح لكل مسلم..... ٢١٨
- نماذج من ملاحظاته وتفقداته صلى الله عليه وسلم لأصحابه..... ٢١٩

البَقِيَّةُ السَّالِصَةُ

وسائل التربية

- ١- التربية بالقدوة..... ٣٢٢
- ٢- التربية بالموعظة..... ٣٢٩
- ٣- التربية بالقصة الهادفة..... ٣٣٩

- ٢٤٧..... ٤- التربية بضرب الأمثال
- ٢٥٥..... ٥- التربية بدراسة تراجم العلماء

البَقِيَّةُ مِنَ السَّائِلَاتِ

التطبيق العملي التربوي

- ٢٦١..... ١- اختيار المربين والارتقاء بأحوالهم العلمية والإيمانية
- ٢٦٥..... ٢- منهج التربية الفردية
- ٢٧٣..... ٣- منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد)
- ٢٧٧..... ٤- المنهج العام للتربية

الفهارس

- ٢٨٣..... ١- فهرس المراجع
- ٢٨٧..... ٢- فهرس الموضوعات